وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
قسم / اللغة العربية

مَبَاحِثُ عِلْمِ المَعَانِي فِي تَفْسِيْرِ (مِنْ هُدَى القُرْآنِ) للسَّيِّدِ مُحَمَّدِ تَقِيِّ المُدَرِّسِي

رسالة تقدم بها

خالد عبد النبي عيدان الأسدي

إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية في جامعة كربلاء
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة **الماجستير**
في لغة القرآن وآدابها

بـــإشـــــــــراف

الأستاذ المساعد الدكتور

حازم علاوي عبيد الغانمي

١٤٣٨هـ **٢٠١٧م**

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيْمُ

[الإسراء (٩)]

ترشيح رسالة للطبع

نظرا لانجاز مباحث وفصول (الرسالة) الموسومة (**مباحث علم المعاني في تفسير من هدى القرآن للمدرسي**) لطالب الماجستير (خالد عبد النبي عيدان) فاني أرشحها للطبع .

التوقيع:

المشرف: أ.م.د. علاوي عبيد لفاتر

مكان العمل : كلية العلوم الإسلامية

التأريخ: ٧ / ٢ / ٢٠١٧ م

إقرار المشرف

اشهد أن الرسالة الموسومة بـ **(مباحث علم المعاني في تفسير من هدى القرآن للمدرسي)** **التي قدمها الطالب (خالد عبد النبي عيدان)** قد تم اعدادها تحت إشرافي في جامعة كربلاء/ لإسلامية وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية.

التوقيع:

المرتبة العلمية :

الاسم :

مكان العمل :

التأريخ:

بناء على توصية المشرفين والمقوم العلمي أرشح هذه الرسالة:

التوقيع:

الاسم :

التأريخ:

إقرار لجنة المناقشة

نشهد إننا أعضاء لجنة المناقشة قد اطلعنا على الرسالة الموسومة بـ (**مباحث علم المعاني في تفسير من هدى القرآن للسيد محمد تقي المدرسي**) المقدمة من قبل طالب الماجستير (**خالد عبد النبي عيدان**) وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها ونعتقد انها جديرة بالقبول بتقدير(جيد جدا) لنيل درجة الماجستير في لغة القرآن وآدابها .

أ.م.د عباس علي حسين الفحام
رئيسا

أ.م.د قصي ابراهيم نعمة
عضوا

أ.م.د جاسم عبد الواحد راهي
عضوا

أ.م.د حازم علاوي عبيد
عضوا ومشرفا

تمت مصادقة مجلس كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء على قرار اللجنة

التوقيع:

العميد: أ. د هاشم ناصر حسين ألكعبي

التاريخ: 2017/7/19

الإهداء

إلى

الذِّينَ أَذْهِبَ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطُهِّرُوا تَطْهِيْراً

مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِيْنَ الطَّاهِرِيْنَ . . ولاءً وإنتماءً

الذي لو شُفِّعَ في كلِّ مذنبٍ على وجهِ الأرضِ لشفَّعهُ اللهُ فيه

سيدي أبي طالب (عليه السلام) . . عرفاناً بجميلك

شمعة الامل وعنوان الحنان ؛ **أمي وأبي** . . قبلةً بين عينيكما

التي لمَّا ترل عينُها ترقبني وكل ما فيها يدعولي ؛ **زوجتي** . . مودةً ورحمة

إليك أيها **القارئ** العزيز فانت قمينٌ بذلك . . .

تفضلوا بقبول ما رشح من عقلي . . .

مع وافر حبي وعرفاني . . .

خـالـد

شُكْرٌ وَامْتِنَانٌ

اللهم حمداً لك على جزيل نعمائك بأن أنعمتَ فأسبغتَ مع علمي أن حمدي لك يستوجب الحمد.

وعملاً بقول خير خلقه محمد بن عبد الله " صلى الله عليه وآله وسلم " ((من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق)) ، أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المساعد الدكتور **(حازم علاوي عبيد الغانمي)** الذي تفضل بالإشراف على رسالتي ، ولمستُ فيه الجدَّ في الإشراف والتأني في القراءة والحنو على الطالب القاصر .

وشكري وامتناني وخالص تقديري إلى الأستاذ الدكتور (**مكي محي عيدان الكلابي**) الذي ضحى بكثير من وقته في متابعتي وتقويم رسالتي ، انحني إجلالاً لكرمه وتفضله .

وشكري وامتناني إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة الذين تجشموا العناء وتفضلوا بتقويم الرسالة وإرشادي إلى الصواب ، فشكراً جزيلاً لهم رئيساً وأعضاءً ، وكذلك شكري إلى السيد الخبير العلمي، جزاهم الله عني خير الجزاء.

ولا يفوتني أن اقدم شكري وامتناني إلى السيد رئيس قسم اللغة العربية في كلية العلوم الإسلامية الأستاذ المساعد الدكتور (**مسلم مالك الأسدي**) الذي لم يبخل عليَّ بنصحه وعلمه .

وكذلك إلى أساتذتي في قسم لغة القرآن وآدابها الذين أكرموني بمعلوماتهم ولم يتوانوا عن دعمي في مراحل كتابة الرسالة كلها وأخصُ بالذكر الأستاذ الدكتور **(عباس علي إسماعيل)** والأستاذ المساعد الدكتور **(أمجد حميد الفاضل)** والدكتور **(حازم فاضل)** فلهم وافر الشكر .

وإلى مدير مكتب السيد المدرسي في كربلاء المقدسة سماحة الشيخ (**إبراهيم حسين إبراهيم الأشتري)** الذي أكرمني بتوفير المصادر ، وعقد اللقاء مع السيد المدرسي والمواظبة منه معي طيلة رحلتي في الرسالة ، فجزاه الله عني كل خير .

وإلى السيد **(هاشم التميمي)** الموظف في مكتب السيد المدرسي الذي تفضل عليَّ بتوفير تفسير (من هدى القرآن) .

وإلى السيد **(محمد مهيد حسن)** الموظف في المكتبة المركزية / جامعة كربلاء / شعبة الأطاريح، الذي تفضل عليَّ بتوفير مجموعة من الأطاريح ، فشكراً جزيلا له .

وإلى زملائي طلبة الدراسات العليا في قسم لغة القرآن وآدابها ، واخصُّ منهم : أخي العزيز **(عادل حريجة كَزار الخفاجي)** الذي لازمني طيلة كتابتي الرسالة .

ولا يسعني في هذا المقام إلاَّ أن أتقدم بالشكر والامتنان الى كل من كانت له عليَّ يد بيضاء في اتمام هذه الرسالة مشورةً وتوجيهاً .

الباحث

الخلاصة

تحاول هذه الرسالة دراسة أهم المباحث البلاغية الخاصة بعلم المعاني عند السيد محمد تقي المدرسي في تفسيره الموسوم ((من هدى القرآن)) ومعرفة أهم العناصر اللغوية التي استعملها لإضفاء أبعاد دلالية اخاذة تسهم في توسعة الدلالة . واستعمل في هذه الرسالة المنهج الاستقرائي أولاً في تفسير((من هدى القرآن)) وتحديد المواضع التي تخص علم المعاني فيه .

وقد أعتمد أيضاً على المنهج المقارن في مقارنة آرائه مع آراء من سبقه من المفسرين.

ضمت الرسالة تمهيداً ومقدمة وثلاثة فصول اهتم الفصل الأول بدراسة الخبر وأضربه ، مؤكداته والأغراض التي يخرج إليها الخبر، فضلاً عن دراسة الإنشاء الطلبي وأساليبه المتعددة ، وفي الفصل الثاني تم دراسة أحوال الجملة بين أهل اللغة وأهل الأصول أما الفصل الثالث فقد اهتم بدراسة الإيجاز والإطناب والحذف ومعرفة أثر كل منهما في تحقيق الجمالية المطلوبة في الاسلوب المستعمل من لدى السيد المدرسي .

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	١ ـ٣
التمهيد	٤ ـ ١٣
المحور الأول : علم المعاني	٤ ـ ٦
المحور الثاني : **المطلب الأول** : السيد محمد تقي المدرسي	٧
اسمه ونسبه	٨
نشأته	٨
أساتذته وتلامذته	٩
مؤلفاته	٩
المطلب الثاني : تفسير من هدى القرآن	١١
منهجيته	١٢
مصادره	١٢
طبعاته	١٣
مميزاته	١٤
الفصل الأول : الخبر والإنشاء	١٥ ـ ٧٥
المبحث الأول : الخبر : حده وأضربه وأغراضه البلاغية	١٥ ـ ٣٦
أضرب الخبر	١٧
أغراض الخبر	١٩
أنواع الجملة الخبرية	٢١
مؤكدات الخبر	٢٣
الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الخبر	٣٠ـ ٣٦
المبحث الثاني : **الإنشاء** : أقسامه والأغراض التي يخرج إليها	٣٧ ـ٧٥
الإستفهام	٣٨
الأغراض التي يخرج إليها الإستفهام	٣٩ ـ ٤٨
الأمـــر	٤٩
الأغراض التي يخرج إليها الأمر	٥٢ ـ ٥٩
النهي	٦٠
الأغراض التي يخرج إليها النهي	٦١ ـ ٦٧
النداء	٦٨
الأغراض التي يخرج إليها النداء	٧٠ ـ ٧٢

التمني	٧٣
الأغراض التي يخرج إليها التمني	٧٤ ـ ٧٥
الفصل الثاني : دراسة أحوال الجملة	٧٦ ـ ١٥١
مدخل	٧٦
المبحث الأول : **التقديم والتأخير** : أنواعه وأغراضه البلاغية	٧٨ ـ ٩٢
أنواع التقديم والتأخير	٨٠ ـ ٨٤
الأغراض التي يخرج إليها التقديم والتأخير	٨٥ ـ ٩٢
المبحث الثاني : **القَصْر** أركانه وطرقه	٩٣ ـ ١٠٣
المبحث الثالث : **الفصل والوصل** مواضعهما وتطبيقاتهما	١٠٤ ـ ١١٨
المحور الأول : الفصل ، مواضعه وتطبيقاته	١٠٥ ـ ١١١
المحور الثاني :الوصل ، مواضعه وتطبيقاته	١١٢ ـ ١١٨
المبحث الرابع: **التعريف والتنكير** :أقسامهما وأغراضهما البلاغية.	١١٩ ـ١٣٨
المحور الأول : التعريف : أقسامه ، أغراضه البلاغية	١١٩ ـ ١٣٢
المحور الثاني : التنكير : أقسامه ، أغراضه البلاغية	١٣٣ ـ ١٣٨
المبحث الخامس : **الإلتفات** : صوره ، اغراضه وفوائده	١٣٩ ـ ١٥١
الفصل الثالث : الإيجاز ، الإطناب ، الذِّكْر	١٥٢ ـ ٢٠٧
المبحث الأول : **الإيجاز** : أقسامه ، تطبيقاته ، فوائده البلاغية	١٥٢ ـ ١٧٥
إيجاز القِصر	١٥٤ ـ ١٥٨
إيجاز الحذف	١٥٨ ـ ١٧٥
المبحث الثاني : **الإطناب** : أشكاله ، فوائده البلاغية	١٧٦ ـ ١٩٣
المبحث الثالث : **الذِّكْر** : أقسامه ، مواضعه وأغراضه البلاغية	١٩٤ ـ ٢٠١
الخاتمة	٢٠٢ ـ ٢٠٤
مصادر البحث ومراجعه	٢٠٥ ـ ٢٢٠
ملخص باللغة الإنجليزية	٢٢١ ـ٢٢٢

المقدّمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

المقدِّمة

الحَمْدُ للهِ مالكِ المُلْكِ ، مُجري الفُلكِ ، مسخِّرِ الرِّيَاحِ ، فالقِ الإصْبَاحِ ، دَيَّانِ الدِّينِ ، ربِّ العَالَمِين، والصلاةُ والسلامُ على عبدهِ ورسولهِ ، وأمينهِ وصفيِّهِ ، وحبيبهِ وخيرتهِ من خلقه ، وحافظِ سرهِ ، ومُبلِّغِ رسالاتهِ ، محمد بن عبدِ الله ، وعلى آلهِ الغرِّ الميامينَ ، والسادةِ المنتجبينَ ، الذينَ نَالوا مِنَ الكَرامَةِ أعْظمها ، ومِنَ الفَصاحةِ أعْلاها ، ومِنَ البلاغةِ أرفعها ، فاللازمُ لهم لاحق ، والمتقدِّمُ عليهم زاهق ، والمتأخرُ عنهم مارق ، وعلى صحبهِ الحافظينَ العهد إلى يومِ الدين .

أما بعد ..

فالبحث في القرآن الكريم له مذاق خاص ، فضلاً عن أن الباحث فيه ـ مع صدق النية ـ يُصيبُ أجراً عظيماً ، فكان دأبي أن نبحث موضوعاً بلاغياً في كتاب الله العزيز الذي أبهر فحولَ البلاغة بأسلوبه ، عند عالمٍ دينيٍّ كربلائي معاصر ، لمعرفة مدى التقارب بين المعارف الحوزوية والمعارف الأكاديمية، فاخترنا تفسير (**من هدى القرآن**) للسيد محمد تقي المدرسيّ ، وسعة الموضوع حدت بنا إلى حصر ميدان الدراسة بواحد من علوم البلاغة فتم اختيار العنوان (**مباحث علم المعاني في تفسير من هدى القرآن للسيد محمد تقي المدرسيّ**) ، لما وجدنا فيه من مادة علمية وافية ، فكان موضوع البحث جديداً إذ لم تسبقْ هذه الدراسةَ دراسةٌ في تفسير (**من هدى القرآن**) سوى دراسة دلالية واحدة أشرنا إليها في التمهيد ، ولعل في تفرق موضوعات (**علم المعاني**) في هذا الكتاب الكبير والقيمة العلمية لآراء المؤلف وكونه إضافة معرفية للمكتبة العربية والإسلامية كل هذا كان الدافع الرئيس للشروع في هذه الدراسة ، وليضيء جانباً من القيمة العلمية لها .

واعتمدنا في البحث على المنهج الاستقرائي أولاً في قراءة تفسير **(من هدى القرآن)** وتحديد المواضع التي تخص علم المعاني فيه ، ثم الانتقال إلى المنهج الوصفي والتحليلي معاً لتصنيف المباحث في هيكلية البحث وخطته الأولية والمطورة في أثناء البحث و الدراسة .

وقد اعتمدنا أيضاً على المنهج المقارن في مقارنة آرائه مع آراء من سبقه من المفسرين ، لنقف على تقويم علمي لما جاء به من آراء ، معضدين ذلك بما جاء من آراء لعلماء البلاغة السابقين في الموضوعات ذات الصلة بـ **(علم المعاني)** .

ولا يفوتنا أن نذكر أن التفسير طُبع ثلاث طبعات ، الطبعة الأولى عام (١٤٠٦هـ) بـ (١٨ جزء) من (دار الهدى) ، قم المقدسة ، والطبعة الثانية عام (١٤٠٩هـ) بـ (١٨جزء) من (مكتبة العلامة المدرسي) ، قم المقدسة ، والطبعة الثالثة عام (١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م) بـ (١٣ جزء) من (دار القارئ)، بيروت ، وهذه الطبعة الأخيرة هي المعتمدة في الدراسة لكونها مزيدة ومنقحة .

أما الصعوبات التي واجهتنا خلال هذه الرحلة العلمية ، فهي تكمن في تفرُّق مباحث (علم المعاني) في هذا التفسير القيم .

ومما ضاعف من جهد الباحث أننا عمدنا إلى تصحيح الأخطاء المطبعية التي وجدناها في طبعة الكتاب مما دعانا إلى تصحيحها من اجل ان تكتمل الفائدة منها .

أما روافد الدراسة فكانت خليطاً بلاغياً نحوياً تفسيرياً ، لقرب علم المعاني من علم النحو ولأن دراستنا في تفسير من تفاسير القرآن الكريم ، فكان لابد لنا من الولوج إلى التفاسير الأخرى ، وكان من أبرز كتب البلاغة (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١هـ) ، و(مفتاح العلوم) للسكاكي ت(٦٢٦هـ) وتلخيص المفتاح ، و(الإيضاح) للخطيب القزويني ت(٧٣٩هـ) وغيرها ، ومن كتب النحو (الكتاب) لسيبويه ت(١٨٠هـ) وكتب ابن هشام الأنصاري ت(٧٦١هـ) ، و(شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك) لإبن عقيل ت(٧٦٩هـ) ، أما التفاسير فاخترنا مجموعة من المفسرين الذين ينتمون لطوائف ومذاهب متعددة ، اذ اخترنا من كل طائفة مفسراً أو مفسرين اثنين (١) .

فكانت هذه التفاسير هي الأكثر رفداً للدراسة من خلال الإستقراء والمقارنة بين (**من هدى القرآن)** وهذه التفاسير ، لبيان مدى التوافق والإختلاف والتأثر بالسابقين ، فعمدتُ بذكر جميع الإختلافات الحاصلة بين آراء هؤلاء المفسرين وبين السيد المدرسي في تفسيره ،أما اذا كان بينهم توافق فإننا نذكر الأبرز منهم مشيرين إلى الآراء المشابهة في الهامش لئلا تصاب الرسالة بالترهل .

أما الدراسات السابقة حول تفسير (**من هدى القرآن**) فهي دراسة واحدة دلالية لنيل شهادة الماجستير في كلية التربية للبنات / جامعة بغداد ، بعنوان (**المباحث الدلالية في تفسير من هدى القرآن للمدرِّسي)** للطالبة : (**زينب عبد الزهرة التميمي**) ، بإشراف الأستاذ المساعد الدكتورة (**زينب عبد الحسين السلطاني)** عام ٢٠١٥م .

جاءت الدراسة متوزعة بين مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول .

جاء **التمهيد** بمحورين :-

المحور الأول : درستُ فيه اللمسات الأولى لوضع علم المعاني حتى استوائه علماً متكاملاً من علوم البلاغة ، والفرق بينه وبين علم النحو .

المحور الثاني : درستُ فيه حياة المؤلِّف وأبرز محطات حياته وسرد بعض مؤلفاته ، ومن ثم انتقلنا إلى التعريف بالتفسير ومنهجيته وكل ما له علاقة به مما يفيد الدراسة .

---

(١) أكثر التفاسير التي تمثل المذاهب والطوائف الإسلامية استعمالاً هي : (الكشاف) للزمخشري ت(٥٣٨هـ) ، و(المحرر الوجيز)لإبن عطية ت(٥٤٦هـ) من **المعتزلة** ، (التفسير البسيط) للواحدي ت(٤٦٨هـ) ، و(التفسير الكبير) للفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) من **الأشاعرة** ، (الكشف والبيان) للثعلبي ت(٤٢٧هـ) ،و(تفسير البيضاوي) للقاضي البيضاوي ت(٦٨٥هـ) من **الشافعية** ، (تفسير القرآن العظيم) لإبن كثير ت(٧٧٤هـ) ، و(اللباب في علوم الكتاب) لإبن عادل ت(٨٠٨هـ) من **الحنابلة** ، (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي ت(٦٧١هـ) من **المالكية** ، (حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي) (للشيخ زاده) ت(٩٥٠هـ) من **الحنفية** ، (البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي ت(٧٤٥هـ) من **الظاهرية** ، (الميزان في تفسير القرآن) للسيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) من **الإمامية الإثني عشرية** .

و **الفصل الأول** جاء بمبحثين :

المبحث الأول : درستُ فيه الخبر ، أضربه ، مؤكداته ، والأغراض التي يخرج إليها الخبر .

المبحث الثاني : درستُ فيه الإنشاء الطلبي فقط ، أساليبه : الإستفهام ، الامر، النهي ، النداء ، التمني .. ، وتطبيقاته وخروجه عن مقتضى الظاهر .

وفي **الفصل الثاني** درستُ أحوال الجملة وجاء هذا الفصل بمدخل وخمسة مباحث :

المدخل : درستُ فيه أحوال الجملة بين أهل اللغة والأصوليين وتحديد المنهج الذي يتبعه صاحب التفسير.

المبحث الأول : درستُ فيه التقديم والتأخير ، أنواعهما وأغراضهما البلاغية ، وتطبيقاتهما في التفسير.

المبحث الثاني : درستُ فيه أسلوب القَصْر ، أركانه وأنواعه وطرقه .

المبحث الثالث : درستُ فيه أسلوب الفصل والوصل مواضعهما وتطبيقاتهما في التفسير .

المبحث الرابع : درستُ فيه أسلوب التعريف والتنكير ، أقسامهما وتطبيقاتهما في التفسير .

المبحث الخامس : درستُ فيه أسلوب الالتفات ، صوره وأغراضه وفوائده البلاغية .

ثم جاء **الفصل الثالث** بثلاثة مباحث :

المبحث الأول : درستُ فيه الإيجاز ، أقسامه ، تطبيقاته ، فوائده البلاغية .

المبحث الثاني : درستُ فيه الإطناب ، أشكاله ، وفوائده البلاغية .

المبحث الثالث : درستُ فيه الذكر ، أقسامه ، مواضعه ، أغراضه البلاغية .

وقد جاءت الخطة على هذا الشكل ؛ لأن الفصل الأول درستُ الجملة وبيان نوعيتها ، فهي دراسة شكل الجملة ، والفصل الثاني جاءت الدراسة فيه داخلية ، تدرس تقلبات الجملة وأحوالها . في حين جاء الفصل الثالث لدراسة طول الجملة وقصرها ، فكان لابد من التقسيم على هذا الشكل .

وفي الختام لا يسعني إلاّ أن أتقدم بالشكر والامتنان الجزيل إلى من ضحَّيا في جلِّ وقتيهما في قراءة الرسالة لغرض تقويمها وتحديد مكامن الخطأ لإخراجها على أكمل وجه ، الأستاذ المشرف الأستاذ المساعد الدكتور (**حازم علاوي الغانمي**) و الأستـــاذ الـدكتور (**مكي محي عيدان الكلابي**) اللذين أخذا بيدي منذ بداية البحث حتى استوائه ، فجزاهما الله عني خير الجزاء ، ولا يفوتني أن اذكر أني لا أدعي الكمال لأن الكمال لله وحده ، ولكنِّي قدمت هذه الدراسة آملا أن يفيد غيرها من صوابها ويعمد من يرى سلبياتها إليَّ ببيان عيوبها و(رحم الله من أهدى إليّ عيوبي).

والله ولي التوفيق ..

التمهيد

المحور الأول :عِلْمُ المَعَانِي

المحور الثاني : المطلب الأول : المؤلف حياته ،

نشأته ، آثاره

المطلب الثاني : تفسير من هدى القرآن

منهجيته ، مميزاته

المحور الأول : علم المعاني

مـــدخـــل :

المعاني في اللغة : هو ما يتضمنه اللفظ من قصد فيما يصير اليه حاله (١)، فما يصوره اللفظ صورة في الذهن هو المعنى .

المعاني في الإصطلاح : هو العلم الذي أطلقه علماء العربية على الموضوعات البلاغية التي تتصل بالجملة من تقديم وتأخير ، وفصل ووصل ، وقصر ، وتعريف وتنكير وذكر وحذف ... الخ (٢) . وقد ذكر مصطلح المعاني قديما بتغييرات بسيطة مثل : المعنى ، او معاني الكلام ، او اللفظ للمعاني (٣) ، وقد جاءت كتب تحمل مصطلح المعاني مثل : معاني القرآن للكسائي ت (١٨٩هـ) ، ومعاني القرآن للفراء ت(٢٠٧ هـ)،ومعاني القرآن للأخفش الاوسط ت(٢١٥هـ)،وتُعدُّ هذه الكتب أساساً لعلم المعاني ، وذكر ابن فارس ت(٣٩٥ هـ)في كتابه الصاحبي باباً بإسم [معاني الكلام] ويقصد به علم المعاني ، قال:((هي عند اهل العلم عشرة: خبرٌ ، واستخبارٌ وأمرٌ ونهيٌ ودعاءٌ وطلبٌ ، وعرضٌ وتحضيضٌ وتمنٍّ وتعجبٌ))(٤)،ويُعدُّ علم المعاني من الركائز التي ترتكز عليها البلاغة العربية ، كما أنه من اهم أركانها لاتساع مباحثه ، اذ ليس للبلاغة من وجود بلا علم المعاني ؛ لأنه يدرس النص من كافة جوانبه ، ومن ثمَّ تأتي جماليات النص ، ولم يكن علم المعاني حديثاً ، فهو ممتد الجذور الى تأسيس علم البلاغة العربية،وكان ارتباطه في النحو أكثر منه في البلاغة فـ ((نشأ علم النحو وهو على صلة وثيقة بالمعاني، فكانت للنحاة الأوائل عنايتهم الفائقة بدراسة الكلام العربي والوقوف على أساليب التعبير به، والبحث فيما يعرض لها من تعريف وتنكير، وتقديم وتأخير، وإضمار وإظهار، وفق ما تقتضيه معاني الكلام وظروف

---

(١) ينظر : مفردات الفاظ القرآن مادة (عنا)، الراغب الاصفهاني (ت٤٢٥هـ) تحقيق صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت : ص٥٩١ ، لسان العرب مادة (عنا) ، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت٧١١هـ)،دار صادر ، بيروت- ط١: ج١٥ : ص١٠٦.

(٢) ينظر : مصطلحات بلاغية، د. احمد مطلوب ، المجمع العلمي العراقي ،بغداد ، ط١ ، ١٩٧٢ م :ص٥٣ ، المعاني في ضوء اساليب القرآن ، عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف ، مصر : ص٨٩ ..

(٣) ينظر : الكتاب ، سيبويه ، الأعلمي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٠: ج١:ص١٥ .

(٤) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ،احمد بن فارس ت(٣٩٥هـ)، تحقيق: مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران للطباعة ، بيروت ، لبنان، ١٣٨٣هـ ،١٩٦٤ م :ص١٧٩ .

القول ومناسباته)) (١) ، وقد كان علم المعاني العمود الفقري الذي بنيت عليه نظرية النظم ، إذ إنّ اللفظ المفرد لا يمكن ان يكون له قيمة معنوية الا عن طريق النظم، قال عبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١هـ): ((وهل تجد أحداً يقول: هذه اللفظة فصيحة، الا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها))(٢) ، ونجد أن أشمل تعريف لعلم المعاني هو ما قاله السكاكي ت(٦٢٦هـ) من إنَّه((تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليتحرز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره))(٣) ، وتبعه في ذلك القزويني (ت ٧٣٩هـ) في تعريفه لعلم المعاني بأنّه ((علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي يطابق مقتضى الحال))(٤) ، وقد حصر علم المعاني في ثمانية أبواب هي: أحوال الإسناد الخبري، وأحوال المسند إليه، وأحوال المسند، وأحوال متعلقات الفعل، والقصر، والإنشاء، والفصل والوصل، والإيجاز والأطناب، والمساواة ، وتبعه في ذلك جلّ علماء البلاغة المتأخرين .

والنحو العربي يعتمد اعتماداً كلياً على المعنى في موقع كل كلمة في الجملة ((وإذا كان النحاة قد وقفوا عند دراسة الجملة وتحليلها ورصد ما يطرأ عليها من تقديم، أو تأخير، أو ذكر أو حذف، فإنَّ دور البلاغيين لم يكن مجرد التوقف عند بناء الجملة، والتوصيف الأجوف لمحتواها، وانّما كان دورهم متوغلاً في تلك الدواعي لما يطرأ على الجملة من تغيير وما يعتريها من خروج عن النمط التركيبي التقليدي في مجمله)) (٥) ، وهذه الدواعي تطورت شيئاً فشيئاً واكتملت على يد الشيخ عبد القاهر الجرجاني الذي دعا إلى توخي معاني النحو ـ كما ذكرنا ـ من خلال رصده للعلاقة بين الدلالة والنحو(٦) ، ((ومفهوم مصطلح علم المعاني عند السكاكي (ت٦٢٦هـ) ، وبدر الدين بن مالك (ت٦٨٦هـ) لم يخرج عن مفهوم نظرية النظم

---

(١) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ، قيس إسماعيل الأوسي ، مطبعة بيت الحكمة ، بغداد ، ١٩٨٨م : ص٢٥.

(٢) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١هـ) ، تعليق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، مصر ، ط٣ ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢ : ص٤٤ .

(٣) مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي ت(٦٢٦هـ)، حققه وقدم له وفهرسه: د. عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م : ص٢٤٧ .

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني ت(٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر الفاطمي، المكتبة العصرية، ، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م ، : ص٢٤ .

(٥) البحث البلاغي في تفسير البحر المحيط ،(رسالة) ، رائد حامد خضير المرعبي ، جامعة القادسية،٢٠٠٧م :ص١٢.

(٦) ينظر : علم المعاني ودلالات الامر في القرآن الكريم دراسة بلاغية: د. مختار عطية، دار الوفاء، الإسكندرية، جمهورية مصر العربية ، د.ط ، د.ت : ص١٢.

عند عبد القاهر الجرجاني)) (١) ، وهناك اقتراب بين النحو وعلم المعاني ، وهذا الاقتراب لا يعني تمازجاً تاماً بينهما ؛ وإنَّما يوجد فرق وإن كان دقيقاً ، فهذا ما يكشفه السياق ، وهذا الاقتراب يجعله يميل إلى النحو اكثر من البيان والبديع .

(١) البحث البلاغي في تفسير البيضاوي،(رسالة)، مكارم خشان خيون المهنا، جامعة القادسية، ٢٠٠٧ .ص٨.

المحور الثاني : المطلب الأول

- **السيد محمد تقي المدرسي : اسمه ونسبه ، أساتذته ، تلامذته ، مؤلفاته :**

إنَّ القرآن العظيم يكفيه فخراً ومعظمةً ومنزلة أنه كلام الله ، ومعجزة حبيبه المصطفى ، وقد اتخذ مكانة في نفوس المسلمين ، يستلهمون هدايته ، ويستوحون إشاراته ، جعله الله منارة للإعجاز في علومه المختلفة ، من تشريع وبلاغة وعلوم اخرى . وفي سبر أغوار هذا السفر العظيم تضافرت جهود علماء اللغة والمفسرين على الكشف عن مراد الله في كلماته ، مما أدى ذلك إلى ظهور كمّ هائل من التفاسير القرآنية التي تُعدُّ الثراء الكبير للغة والأدب والعلوم الأخرى ، فإنَّ السورة القرآنية تمثل كياناً منسجماً بذاته، و((يُعد من نافلة القول الحديث عن علاقة القرآن بالإنسان ، وهو يُصرح في آيات كثيرة باختصاص توجهه إلى الإنسان ومخاطبته ودعوته للتفاعل معه ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ [التكوير (٢٧ـ٢٨)] .. [إذ] يتجه الخطاب القرآني إلى توصيف الكيفية التي يوقظ فيها الإنسان إحساسه الداخلي وإرادته ووعيه نحو الحق والخير بكل مصاديقهما ، عبر فعل التحرر من سلطة الغفلة والعبودية لغير الله تبارك وتعالى))(١) وهذا ما نجده من اهتمام بالقرآن الكريم من قبل السيد محمد تقي المدرسي من خلال مؤلفاته التي يدعو بها إلى الاهتمام بالقرآن الكريم ، لعلمه أنّ كتاب الله تعالى هو الدستور المنظم لسير الحياة الدنيوية والأخروية ، إذ يقول:((والواقع أنَّ هناك عدة أسباب تفرض علينا العودة إلى القرآن والتدبر فيه، ونحن إذ نذكر بعضها بصورة مقتضبة لا نملك سوى الإعتراف بعجزنا عن الإحاطة بها جميعا .

١ـ لكل منا رغباته المشروعة التي يتمنى أن يجد سبيلا مستقيما إليها ، والقرآن الحكيم ذلك السبيل المستقيم المؤدي إلى تحقيق مصالح كل شخص ورغباته .....

٢ـ ومصالح الإنسان بدورها ليست سوى بعض تطلعاته الكبيرة ، أما بعضها الآخر فيكمن في بحث الإنسان الدائب عن الحق والخير ، وسعيه المستمر لتحقيقهما .

٣ـ نصطدم في هذه الحياة بعدة مشاكل ، فمن صديق ينقلب علينا ، ومن قريب يُشاكسنا ومن خسارة تفاجئنا، وقد تصل بنا المشاكل إلى حد الخروج عن محور الضبط ثم الانهيار في هاوية اليأس والضياع والإنتحار . ولكن القرآن الحكيم يضع الحلول الحاسمة للمشاكل جميعا ، بل وأكثر من هذا ، إنه يصنع الإنسان الذي يضع الحلول المناسبة لأية مشكلة طارئة)) (٢) فجاء تأكيده على البحوث القرآنية والحث على التدبر في آيات الله تعالى ، وأن لا يغفل الإنسان عن هذا السفر العظيم الذي أهدته له السماء لتنظيم

---

(١) ثقافة القراءة وقراءة الثقافة ، نظرة في أدوات الفهم القرآني ،د. علي مجيد البديري ، مجلة مآب ، ٢٠٠٩م،العدد(١١):ص١٢١.

(٢) بحوث في القرآن الحكيم ،السيد محمد تقي المدرسي ، دار محبي الحسين (عليه السلام) ، ط٣ ، ٢٠٠٤ :ص٩ـ١٠.

أموره ، والسعي في تعلُّمِه وتعليمه ، فهو غزير العلم ، غزير المعرفة وقال أمير المؤمنين ومولى الموحدين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في فضل القرآن : ((وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب ، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور ، وأحسنوا تلاوته فإنه أنفع القصص . وإنَّ العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله ، بل الحجة عليه أعظم ، والحسرة له ألزم ، وهو عند الله ألوم)) (١)، ولعلي الآن أستطيع أن ادخل إلى أحد هذين المحورين في التمهيد ، فأُعرِّف بصاحب هذا التفسير محل الدراسة لاعتقادي أنَّ معرفة جوانب شخصيته تسهم في تقديم تصور دقيق لجهده البلاغي في التفسير .

١ـ **اسمهُ نسبهُ**: هو السيد محمد تقي بن السيد محمد كاظم بن السيد محمد باقر بن السيد محمد جواد الحسيني المدرسي ولد في مدينة كربلاء المقدسة في العراق عام ١٣٦٤ هـ ، ١٩٤٥ م ، والده السيد محمد كاظم المدرسي الذي عُرف وسط الحوزات العلمية في كربلاء المقدسة وحوزات ايران بالعلم والفقه والمعرفة، عالم رباني ، وأستاذ حوزوي ، وعارف ، وجده السيد محمد باقر المدرسي ، كان مرجع زمانه(٢) .

٢ـ **نشأته :** كان تأثير العائلة العالمة العاملة واضحاً جداً على شخصية السيد محمد تقي المدرسي ، فنشأ في بيت يزخر بجهابذة الحوزة العلمية ، إذ التحق بصفوف الدراسة الحوزوية وهو ابن الثامنة فتعلم القرآن الكريم، وحفظ من أشعار العرب مما ادى إلى صقل موهبته وإبداعه ، فدرس العلوم التي تُدرس في الحوزة العلمية من فقه ، وأصول الفقه ، وشريعة ، ونحو ، وصرف ، وبلاغة ، فحفظ (ألفية ابن مالك) وحفظ متون كتاب (الصمدية) في الصرف والنحو ومتون كتاب (تبصرة المتعلمين) وغيرها مما يُدرَّس في الحوزة العلمية (٣) . والجو الأسري الذي عاش فيه السيد المدرسي جو مملوء بالعلم والمعرفة ، فللأسرة تأثيرٌ مباشرٌ على حياة الفرد ، فتكون إسقاطاتها على حياته واضحة جلية من خلال تطور مهاراته، وحبه لعمله ، ومدى استقباله للعلم ، مما يؤشر مؤشرات إيجابية ((وذلك خلاف النمط القسري في التنشئة الإجتماعية ، والذي يؤدي إلى خلق شخصية متمردة قلقة ، مشحونة بالتوتر النفسي تجاه الآخر، فالأسرة وما تختزنه من قيم إنسانية وحضارية تؤدي دوراً مهماً في فاعلية وتشكيل الأنماط السلوكية التي تنعكس على حركية الفرد ، وتنمية وعيه المجتمعي ، والتعامل مع الآخر مستقبلاً)) (٤) فأسرة السيد محمد تقي المدرسي زرعت فيه بذرة العلم منذ نعومة أظفاره لذلك وجب التمهيد للبحث بمعرفة هذا العالم الجليل والأجواء المحيطة بها ، وشيوخه ، ومؤلفاته ، وتفسيره (من هدى القرآن) وهو موضوع البحث ، ومنهجه في تفسيره.

---

(١) نهج البلاغة ، الإمام علي(عليه السلام)،شرح محمد عبدة ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٨ :ص١٧٣.
(٢) يُنظر : محمد تقي المدرسي سيرة ومسيرة، هيئة قائم آل محمد ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٩ :ص١ ، محمد تقي المدرسي، نبذة مختصرة عن حياته الشخصية ومسيرته العلمية ، دار الهدى ، كربلاء ، ط١ ، ٢٠٠٥:ص٣.
(٣) يُنظر : محمد تقي المدرسي ، نبذة مختصرة عن حياته الشخصية ومسيرته العلمية : ص٣ـ ٤ .
(٤) الفكر السياسي عند المرجع المدرسي ، رغد إبراهيم علوان، مركز العصر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٤:ص٣٧.

٣ـ أساتذته : درس المؤلف في حوزة كربلاء المقدسة على يد كبار أساتذتها ، مثل:

أ- والده العالم العارف الفقيه آية الله السيد محمد كاظم المدرسي (قدس سره) ت(١٤١٤هـ) .

ب - آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (سُلطان المؤلفين) (قدس سره) ت(٢٠٠١م) .

ج - آية الله العظمى الشيخ يوسف الخراساني البيارجمندي (قدس سره) ت(١٣٩٧هـ).

د - آية الله الشيخ جعفر الرشتي (قدس سره) ت(١٣٩٤هـ) .

وقد تابع دراسة البحث الخارج (البحوث الإجتهادية) على يد خاله الراحل السيد محمد الشيرازي (قدس سره) . والشيخ يوسف الخراساني البيارجمندي (قدس سره) (١) ، حيث كانا من كبار علماء الحوزة العلمية وقتئذٍ .

٤ـ تلامذته : تتلمذ على يد السيد محمد تقي المدرسي كثير من الطلاب ؛ أبرزهم :

أ ـ آية الله الشيخ الشهيد نمر باقر النمر الذي أعدمه النظام السعودي بسبب مواقفه الوطنية عام(٢٠١٦م).

ب ـ آية الله السيد هادي المدرسي شقيق السيد محمد تقي المدرسي .

ج ـ آية الله السيد عباس المدرسي الشقيق الأصغر للسيد محمد تقي المدرسي .

دـ العلامة الشيخ محمد علي داعي الحق ؛ وهو وكيل المراجع العظام ، واستاذ المعارف الدينية المختلفة ، مدير حوزة الامام الجواد (عليه السلام) في كربلاء المقدسة .

وغيرهم كثير (٢) ، إذ إنَّ درسه مستمرٌ حتى الآن .

٤ـ مؤلفاته :

لليسد المدرسي مؤلفات كثيرة ، في الفقه والأصول ، واللغة ، والسياسة ، والإجتماع ، إلاَّ أن البحوث القرآنية مهيمنة على كتبه ، إذ كانت متناثرة في أغلب كتبه ، ومنها ما كان خاصاً في القرآن الكريم ، ومنها ما كان فقهياً ، وغيرها اخلاقياً واجتماعياً وتاريخياً ، لذا سنقسمها إلى الكتب القرآنية ، والفقهيات ، والإجتماعيات ، والسياسيات ، فنذكر مجموعة منها :

---

(١) يُنظر :المرجع والامة (إطلالة على السيرة العلمية والعملية للسيد محمد تقي المدرسي)، دار الهدى ، كربلاء ، ط٦ ، ٢٠٠٩ :ص٢٦ ، الفقه التشجيري عند السيد محمد تقي المدرسي (النية إنموذجاً) ، الشيخ إبراهيم الأشتري ، (مخطوط) : ص٢٤ .

(٢) يُنظر : الفقه التشجيري عند السيد محمد تقي المدرسي (النية إنموذجاً) (مخطوط) : ص٢٦ .

أ ـ الكتب القرآنية :

١ـ تفسير من هدى القرآن (١٨ مجلدا) وطبعة اخرى (١٣ مجداً) وهو الكتاب محل هذه الدراسة وسنذكر نبذة عنه بعد احصاء مؤلفات السيد محمد تقي المدرسي .

٢ـ بينات من فقه القرآن (١٤٢٢هـ) .

٣ـ بحوث في القرآن الحكيم (١٣٩٢هـ).

٤ـ بصائر القرآن في التحرك الإسلامي (١٤٠٨ هـ).

٥ـ في رحاب القرآن (١٤٢٢ هـ).

٦ـ مقاصد السور في القران الكريم (١٤٣٤هـ) .

٧ـ رؤى في طريق العودة د.ت .

٨ـ القرآن حكمة الحياة (١٤١٥ هـ) .

ب ـ الكتب الفقهية :

١- الفقه الاسلامي (فقه العبادات) الجزء الاول من الرسالة العملية للسيد المدرسي،(١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥م) ط٨ .
٢- الفقه الاسلامي (فقه المعاملات) الجزء الثاني من الرسالة العملية للسيد المدرسي،(١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥م) ط٢ .
٣- الفقه الاسلامي (فقه الولايات) الجزء الثالث من الرسالة العملية للسيد المدرسي،(١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م) ط ١ .
٤- الفقه الاسلامي (تعليقات على العروة الوثقى ومهذب الاحكام) ٤ أجزاء (١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦ م) ط١ .
٥- الوجيز في الفقه الاسلامي (تضم فتاوى السيد محمد تقي المدرسي في جميع ابواب الفقه الى جانب الآيات والروايات المرتبطة بالأبواب المختلفة) ستة أجزاء،(١٤٣٥ هـ ، ٢٠١٤ م) ط١ .
٦- الفقه الاسلامي (قسم المعاملات - الاصول العامة (كتاب استدلالي في الاصول العامة للمعاملات)(١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٢ م) ط ١.
٧- الفقه الاسلامي (قسم المعاملات - بحوث في البيع) عدد الاجزاء ٢ ، ط١ (١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م).
٨- الاستفتاءات الشرعية ، الجزء الأول (١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٢ م) ط١.
٩- الاستفتاءات الشرعية ، الجزء الثاني (١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٢ م) ط١.

١٠ـ الفقه الاسلامي (بحث استدلالي في فقه الخمس) (١٤٣٤ هـ ، ٢٠١٣م)ط١.

ج ـ كتب المعارف والفكر الإسلامي:

١-الحكم الاسلامي في مدرسة الامام علي (عليه السلام) (١٤٣١ هـ) .

٢-تأملات في شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام) (١٤٢٨هـ).
٣- تأملات في دعاء الافتتاح (١٤٢٣هـ) .
٤-شرح زيارة وارث (١٤١٤هـ).
٥-شرح الحديث النبوي لشمعون بن لاوي عن العقل (ضمن كتاب المنطق الاسلامي) (١٤٣٠هـ) .

٦ـ تزكية النفس سبيل المؤمنين (شرح لحديث الامام الصادق (عليه السلام) فيما افترضه الله على الاعضاء من الايمان بدءا بالقلب) (١٤٢٣هـ) .

د ـ كتب التاريخ :

١- ميلاد الأمة الاسلامية متى وكيف ؟ (١٤٠٢ هـ) .
٢- نعم لحركات الاصطدام (١٤٠١ هـ) .
٣- هكذا نحول المأساة الى انتصار (١٤٠٧ هـ) .
٤- أضواء على أزمة الخليج (١٤١١ هـ) .
٥- كل الحراب ضد الطاغوت (١٤٠١ هـ) .
٦- كيف انطلقت الثورة الاسلامية في إيران ولماذا ؟ (١٤٠٠ هـ) .
٧- كيف تكون القيادة الرسالية (١٤٠١ هـ) .

هـ ـ الكتب الإجتماعية :

١- جهاد النفس (بصيرة العقل واستقامة السلوك) .(١٤٢٧ هـ) .
٢- الاخلاق عنوان الايمان ومنطلق التقدم . (١٤٢٣ هـ) .
٣- لكي نواجه النفاق . (١٤٢٠ هـ) .
٤- الابتلاء مدرسة الاستقامة . (١٤٢٣هـ) .
٥- معالم التربية الاسلامية . (١٤٢٣هـ) .
٦- لنكن من التائبين . (١٤٢٦ هـ) .
٧- كيف نحقق ثبات النفس . (١٤٠١ هـ) .

٨ـ حوار عن الأسرة وقضايا المرأة د.ت (١) .

---

(١) ينظر : تطلع أمة ، عبد الغني عباس ، دار محبي الحسين ، طهران ، ط١ ، ١٩٩٩م :ص٧ـ٨ ، المرجع والأمة : ص٦٨ ـ ٧٢ ، سيرة ومسيرة : ص٢٣ ، الفكر الإسلامي مواجهة حضارية :ص١٥٠ .

- **المطلب الثاني : تفسير من هدى القرآن : منهجيته ، مصادره ، مميزاته :**

قام السيد محمد تقي المدرسي بتأليفه في دولة الكويت بعد أن هاجر من العراق وبدأ به ١٣٩٨/٤/١هـ الموافق١٩٧٨/٣/١١م وانتهى من تأليفه ١٤٠٥/١٢/١٣ هـ الموافق ١٩٨٥/٨/٣٠ م ومرَّ تفسيره بمرحلتين : الأولى: بخط يده من بداية سورة الحمد إلى نهاية سورة النحل ، والمرحلة الثانية: عن طريق التسجيل الصوتي لمحاضراته على طلابه في درسه القرآني الذي كان يعقده في الحوزة العلمية(١) .

والمكتبة الإسلامية تزخر بالتفاسير القرآنية منذ بدء نزول القرآن الكريم حتى يومنا هذا، فلم ينقضِ جيلٌ إلاَّ وظهر فيه مفسرٌ لكتاب الله الحكيم ، بيد أن كلمة التفسير لم تأتِ في القرآن إلاّ مرة واحدة في سورة الفرقان في قوله تعالى:﴿ ولا يأتونَكَ بمثلٍ إلاَّ جئناكَ بالحقِّ وأحسنَ تفسيراً ﴾ [الفرقان(٣٣)] ،ومع ذلك كانت عناية المسلمين بتفسير القرآن الكريم عناية منقطعة النظير ، وأفضل من جاء التفسير عنهم ،هم الصفوة المختارة (محمد وآل محمد) ، وجاء أيضا من غيرهم عن طريق صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فكانت للتفسير أهمية كبيرة في نفوس المسلمين بعد عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

- **منهجية تفسير (من هدى القرآن) :**

كان المنهج التدبري واضح المعالم في تفسير من هدى القرآن أكثر من بيان معاني الكلمات الواردة في الآيات المباركة وقال السيد المدرسي في مقدمته : ((اعتمدتُ فيه على منهج التدبر المباشر ، ... أي منهج الاستلهام مباشرة من الآيات ، والعودة الى القرآن ذاته ، كلما قصرنا عن فهم بعض آياته وفق المنهج الذي علَّمنا إياه الرسول الكريم "صلى الله عليه وآله وسلم " وأئمة أهل البيت "عليهم السلام" حيث أمرونا بتفسير القرآن ببعضه)) (٢) فكان السيد المدرسي يحاول ربط الواقع بالقرآن الكريم ، وتفسير القرآن بالقرآن ، والسمة الغالبة عليه هي التدبر في كلام الله اكثر من التفسير السطحي للآيات المباركة ، ما نجده في تفسير (من هدى القرآن) نهج يختلف عن التفاسير السابقة فهو شبيه بالتفسير الموضوعي الذي دعا إليه السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) ت (١٩٨٠ م) ، فالسيد المدرسي يضع عنوانا معينا لتفسير مجموعة من الآيات القرآنية المباركة ،فقال عنه المحقق الكبير الشيخ محمد هادي معرفة (قدس سره): إنه ((تفسير تربوي تحليلي شامل ، يبحث فيه المؤلف عن الربط الموضوعي بين الواقع المعاش وبين الحقائق الراهنة والدلائل البينة التي أبانها القرآن الكريم منذ خمسة عشر قرناً ، كمنهج تربوي وأخلاقي ،

---

(١) يُنظر : تفسير من هدى القرآن :ج١ :ص٦ـ ٧ ، طبعة دار الهدى ، وهذه المقدمة غير موجودة في طبعة بيروت .

(٢) تفسير من هدى القرآن : ج١ : ص١٢ .

يستهدف وضع الحلول الناجعة لكل مشكلات العصور المختلفة حتى قيام الساعة (*))(١) ، وما استنتجناه من خلال اطلاعنا على التفسير وجدنا إنَّ المنهج الاستقرائي والتحليلي هو الغالب على التفسير في أغلبه والمقارن كان له حضور لكن بأماكن قليلة بالإضافة إلى رأيه ـ أي رأي السيد المدرسي ـ المتمثل بالتدبر في الآية ، فكان يتخذ من هذه المناهج وسيلة لربط الآيات القرآنية بالواقع ، فكان اسلوب السيد المدرسي في تفسيره للآيات أسلوب ربط بين الآيات القرآنية والواقع الإجتماعي .

- **من مصادر تفسير من هدى القرآن :**

لم يكن السيد المدرسي منغلقاً على التراث الشيعي بل كان انفتاحه على ثقافة المذاهب الأخرى واضحاً جداً ، اذ كان مطلعاً على آراء علماء المذاهب الإسلامية بطوائفها وفرقها المختلفة فنجده يذكر رأي المذهب المالكي والمذهب الحنفي والمذهب الحنبلي والمذهب الشافعي لكن كان تراث أهل البيت " عليهم السلام " واضحاً في مصادره فأكثر مصادره من المذهب الشيعي . وإن لم يكن موافقاً للرأي ، فيكون ناقداً له ، وأبرز روافده التفسيرية حسب التسلسل الهجائي :

١ـ التبيان في تفسير القرآن ، للطوسي . ٢ـ تفسير البيضاوي المسمى (انوار التنزيل وأسرار التأويل) .

٣ـ التفسير الكبير المسمى (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي . ٤ـ تفسير الكشاف للزمخشري

٥ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للآلوسي .

٦ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ، للطبرسي .

٧ـ الميزان في تفسير القرآن ، للطباطبائي .

٨ـ وغيرها من الروافد في السير والتفسير ، سنن ، كتب الحديث ، الرجال ، وغيرها ، وعدد روافد بحثه تبلغ (١٣٢) مصدراً ومرجعاً، وهناك مصادر غير مذكورة إكتشفتها الدراسة مثل التأثر بنظرية منهج التفسير الموضوعي للسيد محمد باقر الصدر في كتابه المدرسة القرآنية (٢).

(*)الساعة المذكورة في القرآن الكريم المحلاة بالألف واللام هو يوم ظهور الإمام الحجة محمد بن الحسن المهدي (عليه السلام) وليست يوم القيامة ، للإستزادة ، يُنظر : الإحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور في القرآن الكريم على ضوء التحليل اللساني ، (أطروحة) ، د. مجيب سعد أبو كَطيفة ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة كربلاء ، ٢٠١٥ : ص١٥٥ ـ١٦٧ .

(١) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ، محمد هادي معرفة ، دار الهدى ، ط١ :ج٢: ص٤٧٣ .

(٢) ينظر : من هدى القرآن :ج١٣:ص٢٧٩ ـ ٢٩١ .

*** طبعات التفسير :** طُبع التفسير مرات عديدة منها :

١ـ طبعة دار الهدى ، الطبعة الأولى (طبعة ورقية ١٨ جزء) ، عام ١٤٠٦ هـ .

٢ـ طبعة مكتبة العلامة السيد محمد تقي المدرسي (طبعة مجلدة ١٨ جزء)، عام ١٤٠٩ هـ .

٣ـ طبعة دار القارئ ، بيروت ،(طبعة مجلدة ١٣ جزء) ، عام ١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م ، وهذه الطبعة التي سنعتمدها في البحث إن شاء الله .

- **مميزات تفسير من هدى القرآن :**

ما يميز هذا التفسير (من هدى القرآن) عن غيره بشكل مختصر هو :

١ـ يتبع السيد محمد تقي المدرسي في أسلوب كتابة تفسيره منهجاً خاصاً وإبداعياً غير موجود في التفاسير الأخرى، فموضوعاته مبسطة ومحببة للقلوب وفي الوقت نفسه مرتبة ومنظمة .

٢- يحاول المؤلف الإبتعاد عن تكرار الموضوعات التي ذكرتها التفاسير الأخرى ، لا سيما الأقوال المحتشدة فيها والمكررة في أغلبها ، ليُركز على المعنى المقصود من الآية فقط .

٣- منهج التحليل النفسي واضحٌ جداً في التفسير ، فيُركز المؤلف على الجوانب التربوية في القرآن الكريم.

٤- يكتفي في نقل الأحاديث بقدر الضرورة ويتجنب ما يؤدي إلى حيرة القارئ .

٥- يكتفي بالنقاط المستفادة من القصة القرآنية ، وعدم سرد القصة التي وردت في القرآن ، وكذلك يتجنب القصص أو الروايات الإسرائيلية التي ترد في ذيل القصص القرآنية في التفاسير الأخرى .

٦ - والتمهيدات التي ذكرت في بداية التفسير تحتوي على موضوعات جديدة مثل : التعريف بالقرآن على ضوء القرآن والسنة، الأحرف السبعة ، ضرورة التدبر في القرآن ، المحكم والمتشابه ، وغيرها من الموضوعات القرآنية (١) .

---

(١) يُنظر : من هدى القرآن : ج١ : ص٣١ـ ١٣٧ ، المرجع والامة : ص٦٣ .

الفصل الأول

الخبر

و

الإنشاء

الفصل الأول

المبحث الاول

الخبر

حدّه

أضربه

أغراضه البلاغية

المبحث الأول

الخبر : حدَّه وأضربه وأغراضه البلاغية

الخبر في اللغة: الخاء ، والباء ، والراء تعني : العلم بالشيء (١) ، ((فالخبيرُ في صفاته [تعالى] بمعنى العالم ببواطن الأمور وظواهرها ، وبما كان منها ، وما يكون : والخبر : النبأ ، وهو الكلام الذي يُفيد به المتكلم السامع واقعةً من الواقعات)) (٢) .

الخبر في الإصطلاح: تحدث العلماء كثيراً في الخبر وأشبعوه تفصيلاً (٣) ، وربّما يكون المبرد (ت ٢٨٥هـ) من أوائل الذين عرَّفوا الخبر على أنَّه ((ما جاز على قائله التصديق والتكذيب))(٤) لذا فإن الخبر لا يُقطع بصحته ، لكن هذا التعريف لا ينطبق على القرآن الكريم لأنه ﴿لا يأتيه الباطلُ مِنْ بَينِ يَديهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ﴾[فصلت (٤٢)] ، ولا على قول الرسول الاعظم " صلى الله عليه وآله وسلم" لأنه " لا ينطق عن الهوى " ولا على كلام أهل البيت " عليهم السلام " ؛ لأن أللهُ تعالى اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، والكذب من الرجس ، فكلامهم صدق ولا يحتمل غير ذلك والمراد بالصدق هو ما طابق الواقع ، والكذب ما خالفه(٥) ، وقد ذكر الخطيب القزويني ت(٧٣٩هـ) غرضين للخبر في قوله : ((من المعلوم لكل عاقل أن قصد المخبر بخبره، إفادة المخاطب أمّا نفس الحكم كقولك: (زيد قائم) لمن لا يعلم أنّه قائم، ويسمى هذا فائدة الخبر، وامّا كون المخبر عالماً بالحكم، كقولك لمن زيد عنده، ولا يعلم انك تعلم ذلك (زيد عندك) ويسمى هذا لازم فائدة الخبر))(٦) ((فضلاً عن ذلك فقد ذكر البلاغيون أنّ الخبر غالباً ما يتجاوز

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة مادة (خبر) ابن فارس (ت٣٩٥هـ)- تحقيق عبد السلام محمد هارون- دار الفكر – ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م : ج٢ : ص٢٣٩. ، لسان العرب مادة (خبر) ج٤ :ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٢) المعجم القرآني ، دراسة معجمية لألفاظ القرآن الكريم ، د. حيدر علي نعمة ، د. أحمد علي نعمة ، مطبعة السيماء ، بغداد ، د.ط ، ٢٠١٣ م :ج٢:ص٥ .

(٣) مثل (سيبويه ت١٨٠هـ) ، الكتاب :ج١:ص٣١٤ ، و (أبي عبيدة ت٢١٠هـ) مجاز القرآن :ج١:ص٧٤، و (ابن قتيبة ت ٢٧٦ هـ) تأويل مشكل القرآن :ص٢١٣-٢١٤ ، و (المبرد ت٢٨٥هـ) المقتضب :ج١:ص١٢-٢١ ، و (ابن فارس ت٣٩٥هـ) الصاحبي في فقه اللغة :ص١٧٩ ، و (عبد القاهر الجرجاني ت٤٧١هـ) ، دلائل الإعجاز:ص٥٢٨ .

(٤) المقتضب : ج٣ : ص٨٩ ، ويُنظر : جواهر البلاغة : ص٣٦.

(٥) يُنظر : المصدر نفسه :ص٣٦ .

(٦) الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر الفاطمي، المكتبة العصرية، ، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م: ص٢٩.

حدود الفائدة ولازمها إلى أغراض مجازية أخرى منها: إظهار الضعف، التوبيخ، الأمر، النهي، الدعاء، التحسر، المدح، الفخر ، وغيرها كثير تفهم من سياق الحال وقرائن الاحوال))(١) وهذا ما سنراه في أقسامه إن شاء الله .

- **الخبر عند السيد المدرسي:**

لم يُعَرِّفْ السيدُ المدرسي الخبرَ في تفسيره (من هدى القرآن) وإنما عرَّفه بكتابٍ آخر ، فيقول : ((الجملة الإخبارية هي التي تحكي واقعاً خارجياً كقولنا : ذهبَ القطارُ ، أو ، سيذهب القطار ، أو القطار ذاهب الآن ، فإن الجملة التي فيها نسبة تامة حيث أسندنا الذهاب إلى القطار في أحد الأزمنة الثلاث (الماضي ، المستقبل ، الحال) إنّها جملة إخبارية ، وميزتها أنها قد تكون صادقة إذا كان القطار فعلاً قد ذهب ، ... وهكذا عرَّفوها تحكي واقعاً خارجياً قد تطابقه فتكون صادقة أو لا فتكون كاذبة))(٢)، فهو يوافق الذين سبقوه في تعريف الخبر ، وأنه يحتمل الصدق والكذب بحسب الواقع الخارجي.

- **الخبر في القرآن الكريم:**

الدارسون لكتاب الله الكريم من قدماء ومحدثين ، يتهيبون من اقحام بعض المفاهيم البلاغية في دراسة القرآن الكريم ، ومن هذه المفاهيم (الخبر) . والمتأمل فيما جاء في كتب البلاغة والتفسير يخلص إلى أن الخبر في القرآن الكريم سواء كان من عند الله ابتداء أو ما حكاه عن الخلق لا يخرج على منهج الصدق ، فما كان معجزا لا يطاله الكذب (٣) ، فللخبر في القرآن الكريم مستويات لابد من مراعاتها ، لأنه الدستور الابدي الذي جعله الله حياً ما قامت السماوات والأرض حيث قال فيه تعالى : ﴿ **لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون** ﴾ [الأنبياء(١٠)] ويستلزم من هذه الآية عدم دخول الكذب في أخباره . وقد أشار السيد المدرسي إلى خبر القرآن الذي لا يحتمل الكذب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **لا ريب فيه**﴾ [(البقرة (٢)] قال:((ولا يرقى إليه الشك . حقيقي لأنه غير متناقض في ذاته ولا مع الإنسان ولا بالنسبة إلى هدى العقل))(٤)،فهو حقٌ في ذاته ، وللناس أجمعين .فمفهوم الخبر في اللغة يختلف عن مفهومه في القرآن الكريم وكذلك ما صحَّ عن الرسول الأكرم وأهل البيت "عليهم السلام" فلا يحتمل الكذب.

---

(١) البحث البلاغي في تفسير البحر المحيط : ص١٦ .

(٢) فقه الإستنباط ، السيد محمد تقي المدرسي ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٣م : ج٢ : ص١٤٨.

(٣) يُنظر : سورتا المائدة ومريم ، موازنة بلاغية ضمن علم المعاني ، (رسالة)،حسين علي عزيز الطائي ، جامعة الموصل ،٢٠٠٤ م :ص٥٥

(٤) من هدى القرآن :ج١:ص١٥٨ .

* أضرب الخبر :

١ـ الخبر الابتدائي :- وهو الخبر الذي يخلو من كل المؤكدات ـ أدوات التوكيد ـ ، لأن المخاطب به يكون خالياً ذهنيًا من الحكم (١) ، ومستعداً لاستقبال الخبر ، ونجد الخبر الابتدائي عند السيد المدرسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً ﴾ [النساء (٩٩)] بقوله : ((ولذلك عبر القرآن عن سقوط واجب الهجرة عن هؤلاء بقوله: [عَسَى] للدلالة على الاحتمال القوي دون التأكيد، حتى لا ينام المظلومون على الظلم تحت تأثير مخدر اليأس، وتبرير عدم القدرة على الهجرة أو الثورة)) (٢) ، فلم يحتج الخبر هنا إلى تأكيد ، فلذلك جاءت الآية المباركة بصيغة الخبر الابتدائي، فالسيد المدرسي لم يخرج عن قواعد البلاغيين في الخبر الابتدائي، في مفهومه البلاغي وهو ذاته عند السيد المدرسي .

٢ـ الخبر الطلبي :- هو الخبر الذي يكون بحاجة إلى مؤكد لتقويته ورفع الشك عنه ، بسبب تردد المتلقي في قبول الحكم ، و يكون طالباً لمعرفته ، فيُستحسن تأكيد الكلام المُلقى اليه تقوية للحكم ليتمكن من نفسه ، مثل : (إنَّ الأميرَ منتصرٌ) (٣) فهو الخبر الذي يحتاج لتقويته لحرف توكيد ، مثل اللام ، أو إنّ ، لكن إذا كانت الجملة إسمية فهي آكد من الجملة الفعلية لذا لا تحتاج إلى حرف لتوكيد خبرها حتى تزول الحيرة من الملقى عليه الخبر لأنَّ الجملة الإسمية تفيد الثبوت كما هو معروف ، وقد عرض السيد المدرسي لهذا اللون من الخبر في تفسيره لقوله تعالى:﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾[النحل (٢١)] يقول السيد المدرسي : ((﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾ وربما جاء التأكيد على أنهم غير أحياء ، لأن المراد بالأموات ليس حقيقة الموت وإنما المراد بالأموات هو الموت المعنوي لذهابهم عن الحق والدين. فوجب التأكيد)) (٤) فهذا الجزء من الآية لم يحتج الى حرف توكيد، فالجملة اسمية كانت مؤكدة بذاتها لذلك قال : (جاء التوكيد) ، وكذلك في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وما يستوي البحران هذا عذبٌ فراتٌ سائغٌ شرابه وهذا ملحٌ أجاج ﴾ [فاطر (١٢)]، يقول السيد المدرسي : ((الفرات والأجاج تأكيد لشدة العذوبة والملوحة)) (٥) فكان التوكيد لفظي بالبدل التفصيلي لماهية البحرين .

---

(١) ينظر: مفتاح العلوم : ص٣٥٣ ، البلاغة والتطبيق ، د. احمد مطلوب ، د. كامل حسن البصير ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٢،ص١٠٧ ، الأساليب البلاغيـــة في تفسير نظـم الدُّرر في تناســب الآيـــات والسّـــور)،(اطروحـة) ، عقيد خالد العزاوي ، جامعة بغداد ، ابن رشد ، ٢٠٠٢ م :ص٢٦ .
(٢) من هدى القرآن : ج٢:ص١٠٦.
(٣) يُنظر : جواهر البلاغة :ص٣٨ .
(٤) من هدى القرآن : ج٤:ص٣١٨.
(٥) المصدر نفسه : ج٧ : ص٣٢٥ .

٣ـ الخبر الإنكاري :ـ هو الخبر الذي يكون فيه المخاطَب منكراً للخبر ويعتقد خلافه فيحتاج الى اكثر من مؤكد كـ(إنَّ ، لام الإبتداء ، نوني التوكيد ، ضمائر الفصل ، وغيرها) لتثبيته وإزالة الشك من ذهن المتلقي (١) ، وهذا اللون من الخبر كثيراً ما نجده في القرآن الكريم لأنه جاء متحدياً للعرب ومحاولا اثبات وجوده ، لذا جاء في كثير من آياته بألفاظ توكيدية ، تارةً يؤكد حفظ القرآن ، وتارةً يؤكد ارساله الرسل ، واخرى يؤكد الاحكام الشرعية ، وغيرها كثير ، وقد أشار السيد المدرسي في أكثر من موضع إلى كثرة المؤكدات منها في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **لا إله الاَّ هوَفأنَّى تؤفكون** ﴾ [فاطر (٣)] يقول السيد المدرسي : ((أين تذهبون ؟! وإلى أي إفكٍ وكذبة يدفعكم شياطين الجن والإنس الذين يوحون إليكم بأنهم رازقوكم)) (٢) هذا الإنكار ، فيجيبهم في الآية الأخرى: ﴿ **وإن يكذبوك فقد كُذبت رسل من قبلك** ﴾ [فاطر (٤)] فيقول السيد المدرسي : ((في الآيات القرآنية تأكيدات كثيرة على هذه الفكرة : ونستوحي من ذلك : أنّ آراء الناس ليست مقياسا سليماً لمعرفة الحق ، ذلك أن الإنسان يجعل ـ عادةً ـ آراء الآخرين مقياساً ، فيقول : ما دام الناس يقولون : هذا كذب فهو كذلك ، ومن هنا يؤكد ربنا : ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾ [يوسف (١٠٣)] وإنّ أكثر الناس قاوموا رسالات الله فأظهرها الله بالرغم من ذلك)) (٣) .

وكذلك في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **قالوا إنا كفرنا بما أرسلتم بهِ وإنَّا لفي شكٍ مما تدعوننا إليه مُريب** ﴾ [إبراهيم(٩)] اذ يقول السيد المدرسي : ((وكفرهم سبق شكهم . لأنهم قرروا الكفر عناداً ، ثم ارتابوا بعدئذ، كما جاء في الحديث : **" لا تجعلوا علمكم جهلاً ، ويقينكم شكاً . إذا علمتم فاعملوا ، وإذا أيقنتم فأقدموا "** (*)... ، أما الرسل فقد ربطوا بين رسالاتهم وبين الذي أوحى بها وهو الله ، وبدأوا من نقطة البداية قائلين : أفي الله شكٌّ ؟! فمن إذاً خالق السماوات والأرض وفاتقهما بعد ان كانتا رتقا ؟!)) (٤).

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ **إنَّا فتحنا لك فتحاً مُبينا** ﴾ [الفتح (١)] ،يقول السيد المدرسي : ((قال بعض المفسرين (**) : إنَّ الآية وإنْ كانت نزلت قبل فتح مكة إلاَّ أنها تعنيه وتؤكده وتبشر المؤمنين به ، وقال

---

(١) يُنظر : علم المعاني ، دراسة وتحليل ، كريمة محمود أبو زيد ، دار التوفيق النموذجية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٨ :ص٤٢ ، البلاغة فنونها وأفنانها ، فضل حسن عباس ، دار الفرقان ، الأردن ، ط٤ ، ١٩٩٧ :ص١١٣ .
(٢) من هدى القرآن : ج٧ :ص٣١٧.
(٣) المصدر نفسه : ج٧ : ص٣١٧ .
(٤) المصدر نفسه : ج٤: ص٢٣٤ .
(*) نهج البلاغة : حكمة : ٢٧٤ .
(**) من المفسرين الذين قالوا أنها نزلت قبل الفتح لكنها تعنيه : الواحدي في التفسير البسيط ، تحقيق ، علي السحيباني ، مكتبة الملك فهد ، الرياض ، ١٤٣٠ هـ :ج٢٠ : ص٢٨١ ، وابو حيان الأندلسي في البحر المحيط ، تحقيق عادل احمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣ :ج٨ : ص٨٩ ، وابن كثير الدمشقي في تفسير القرآن العظيم ، تحقيق ، مصطفى السيد ، وآخرون ، مؤسسة قرطبة ، مصر ، الجيزة ، ط١ ، ٢٠٠٠ : ج١٣ :ص٨٤ .

آخرون : إنها تنصرف إلى فتح خيبر (*) ، ولكن الآية تدل كما يبدو على الفتح السياسي والثقافي لمكة والذي سبق فتحها العسكري ...، وقد تجسد ذلك في صلح الحديبية الذي مهد لفتحها عسكرياً ومنه انطلق انتصار الاسلام وانتشاره في الجزيرة العربية ، ذلك لأنّ أية حركة ناشئة ــ وبالذات تلك التي تعاكس أفكار المجتمع وعاداته ــ تسعى نحو اكتساب الإعتراف من المجتمع المحيط حتى تتحرك بحرية في التوسعة والإنطلاق)) (١) فقد بين الخبر الإنكاري من خلال تعدد المؤكدات ـ إنَّ ، والجملة بذاتها مؤكدة ، وقد وافق السيد المدرسي أصحاب البلاغة والمفسرين في كيفية معرفة الخبر الإنكاري .

أغراض الخبر :

للخبر غرضان لابد من حصولهما في إلقاء الخبر وهما :

*** فائدة الخبر :**

هو إذا كان المخاطب بالخبر يجهل مضمون الخبر قبل اخباره به ، أو قبل أن يقرأه ، وهو غرض يكون مباشراً (٢) ، فالفائدة منه تقديم المعرفة أو العلم للآخرين ، ففي قوله تعالى : ﴿ إنّ الذينَ جاءوا بالإفكِ عصبةٌ منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خيرٌ لكم ..﴾[النور (١١)] يقول السيد المدرسي عن فائدة الخبر الذي ورد في آية الإفك ، عن الجماعة التي جاءت بالإفك : ((فقد كان هدفها التنقيص من كرامة الرسول "صلى الله عليه وآله" والعصبة هم الذين يتعصبون لبعضهم على أساس المصالح المادية ، لا على أساس القيم ، ولاحتمال أن يعتري المؤمنين تصورٌ خاطئ حول الأمر ، فإن القرآن يوجههم ، لأنّ العاقبة سوف تنتهي الى خير ، باعتبارها امتحاناً للمجتمع المؤمن فإذا تغلب المؤمن على هذا الأمر وأمثاله ، فإنه سيكون مجتمعهم فاضلا وقادرا على مقاومة الضغوط والمشاكل المختلفة)) (٣) ، فكانت فائدة خبرهم بمجيئهم بالإفك هو زعزعة ثقة المؤمنين بالرسول الأعظم ، وهذه الفائدة لم تتحقق لهم؛ لأنَّ القرآن الكريم دحض خبرهم بالآية المباركة، من خلال قوله : (التنقيص من كرامة الرسول).

وكذلك يشير السيد المدرسي إلى فائدة الخبر بالمضمون وليس مصرحاً بالمصطلح في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ تبارك الذي نزّلَ الفرقانَ على عبدهِ ليكونَ للعالمين نذيراً ﴾ [الفرقان (١)] ،يقول السيد المدرسي : ((وعندما تبدأ آيات هذه السورة المباركة بكلمة [تبارك] والتي تعني التكامل في الحياة ، فلكي تشير إلى حقيقة عظيمة تهم الإنسان كمسؤول عن حياته ومصيره ، فلو طمح يوماً الى التكامل ، فلا بدَّ له من إدراك هذه الحقيقة ، وإلا فإنه سيظل عاجزا عن بلوغ الهدف الكبير .)) (٤) ، فالهدف من إلقاء الخبر بالتكامل هو لشحذ الهمم حتى يرقى الإنسان إلى التكامل، فيشير إلى المغزى من الفائدة التي جاء بها الخبر ألا

(*) والآخرون الذين قصدهم صاحب التفسير منهم : جلال الدين السيوطي في الدر المنثور ، تحقيق ، عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مركز هجر للبحوث والدراسات ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٣ م : ج١٣ : ص٤٥٧ .

(١) من هدى القرآن : ج٩ : ص٢٥٨.

(٢) ينظر : مفتاح العلوم للسكاكي : ص٣٥٥ ، البلاغة والتطبيق :ص١١٥ ، البلاغة الإصطلاحية ، عبدة عبد العزيز فلقيلة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٢:ص١٣٩.

(٣) من هدى القرآن : ج٦ :ص٢٥.

(٤) المصدر نفسه : ج٦ : ص٩٦ .

وهي ادراك حقيقة التكامل للوصول إليه .

- **لازم الفائدة :**

فهو الخبر الذي لا يضيف جديد إلى المُخاطَب وإنما يفيد أن المتكلم عالم بالحكم (١) ،و ((إفادة المخاطب أنّ المتكلم عالم بالحكم ويسمون هذا الغرض لازم الفائدة مثل قولهم : "سمعت إلى قصيدتك الرائعة في حفل الأمس)) (٢) ، ونجد هذا عند السيد المدرسي في تفسيره لقوله تعالى :﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ(١١) ﴾ [الشعراء(١٠-١١)]، يقول السيد المدرسي : ((و من آيات رحمة الله أنه بعث أنبياءه إلى عباده الظالمين، أو ليس الظلم ينغص النعم، ويستدرج العذاب؟ فمن أولى من الرب الرحيم بأن يبعث إلى عباده من ينذرهم عاقبة ظلمهم وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ النداء الواضح الذي لا يرتاب فيه السامع، ولا يختلط بحديث النفس أو وساوس القلب، يهبط هذا النداء إلى موسى من الرب الذي لا تزال نعمه تتواتر على البشر، طوراً فطوراً، ومرحلة بعد أخرى. والهدف واضح هو مقاومة الظلم، ليس لمصلحة المظلومين فقط، وإنما أيضا لمصلحة الظالمين الذين سيهلكهم ظلمهم ...)) (٣) ، فالمخاطب ـ موسى (عليه السلام) ــ يعلم بظلم فرعون وقومه ، إذ ظلموا أنفسهم ، ففائدته ملازمة لمعرفة المخاطب به .

---

(١) ينظر : مفتاح العلوم : ص٣٥٥ ، البلاغة والتطبيق : ص١١٥ ،الأساليب البلاغية في تفسير الدرر في تناسب السور (اطروحة) :ص٢٧ .

(٢) البلاغة العربية، تأصيل وتجديد، د. مصطفى الصاوي، منشأة دار المعارف ،الإسكندرية ، د.ط. ،١٩٨٥ :ص١٢.

(٣) من هدى القرآن : ج ٦ : ص١٧٣.

*** أنواع الجملة الخبرية /** الجملة الخبرية على نوعين :

*** الجملة الفعلية :**

وهي الجملة التي تفيد بمعناها التجدد والحدوث في زمن معين انطلاقا مما يُفيد الفعل بحسب وضعه (١) ، ((وقد تفيد الجملة الفعلية الاستمرار التجددي شيئا فشيئا بحسب المقام وبمعونة القرائن لا بحسب الوضع بشرط ان يكون الفعل مضارعاً)) (٢) ، والقرائن لها تأثير واضح في تغيير مفهوم الجملة ، من حيث المعاني ، وهذا التجدد نجده عند السيد المدرسي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾[لقمان (٢٩)]إذ يقول : ((والتعبير القرآني "يولج" دقيقٌ جداً من الناحية العلمية ، إذ يُشير إلى الحركة الفصلية على مدار السنة ، فإذا ولج الليل في النهار ـ دخل فيه وأخذ منه ـ حتى اذا تعادلا صار الربيع ، وهكذا يستمر دخوله في النهار حتى يصير أطول منه فيحيل الفصل شتاء ، ثم يمتد النهار شيئا فشيئا ـ يلج في الليل وينتقص منه ـ إلى أن يصير أطول منه فيكون الفصل صيفاً)) (٣) ، فالحركة التي أعطاها الفعل [يولج] أبانت عن المعنى المراد من الفعلية ، لذا كان الإخبار بهذه الجملة الفعلية واضح جداً . وكذلك في قوله تعالى : ﴿ليأكلوا مِنْ ثَمَرِهِ وما عملتهُ أيديهم أفلا يَشكُرون ﴾ [يس (٣٥)] يقول السيد المدرسي : ((إنّ التناسق بين حاجات البشر وصنع الله في الطبيعة دليل دقة التقدير ، وحسن التدبير ، فالبشر بحاجة الى رزق يأتيه رغداً والى هامش من الحرية يستفيد منها في تنويع مصادر غذائه وإظهار ابداعه وفنه ، كما يحتاج إلى تنمية وعيه ومعرفته ، والسكينة النفسية .. وكل تلك الحاجات متكاملة في الجنات والعيون)) (٤) ، فهذه الحركة الفاعلية في الدنيا مستمرة عند الإنسان لأنه يحتاج الى التكامل والإكتفاء ، وهذا لا يحصل إلا بحركته وعمله حتى يحقق مراده ، فيحتاج الى تجدد الحركة يومياً للوصول الى مبتغاه . وتعدُّ الجملة الفعلية عند البلاغيين ((الدرجة الدنيا في سُلَّم البيان)) (٥) لأنها أقل تأكيداً من الجملة الإسمية ، وهذا لا يعني أنها أقل أهمية من الجملة الإسمية ، وإنما هذا من حيث الثبوت والتجدد ، فالجملة الفعلية من حيث التجدد والإستمرارية أقوى من الجملة الإسمية .

---

(١) يُنظر : المباحث البلاغية في تفسير أبي السعود ، (رسالة) ، هناء عبد الرضا الربيعي ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٠م: ص٤٧ .

(٢) جواهر البلاغة : ص٤٥ .

(٣) من هدى القرآن : ج٧ : ص١١٤ .

(٤) من هدى القرآن : ج٧ : ص٣٧٧ .

(٥) البلاغة العربية ، اسسها وعلومها وفنونها ،عبد الرحمن حسن حبنَّكة الميداني ، دار القلم ،دمشق،ط١، ١٩٩٦:ج١: ص٣٥١.

* الجملة الإسمية :

الجملة الإسمية هي ((تفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء ليس غير ، بدون نظر إلى تجدد ولا استمرار ، نحو: الأرض متحركة ـ فلا يُستفاد مها سوى ثبوت الحركة للأرض ، بدون نظر إلى تجدد ذلك ولا حدوثه)) (١) . والغرض من القاء الخبر بصيغة الجملة الإسمية ، هو للتثبت والتأكيد ولفت النظر إلى الإسم المبدوء به ، ((فإذا عمدتَ إلى الذي أردتَ أن تحدِّث عنه بفعل فقدَّمت ذكره ، ثم بنيتَ الفعل عليه فقلت : "زيدٌ فد فعل " و "أنا فعلتُ" و " أنت فعلتَ " اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل)) (٢) ، والقصد من ذلك لا يخرج عن أمرين :

١ـ حصر الفعل بالفاعل ، والحصر هنا ليس بطرق المعرفة ، وإنَّما هو أن تجعل فعلا وتنص فيه على واحد فتجعله له وتزعم أنه فاعله دون واحد آخر .

٢ـ هو إزالة الشك عن ذهن السامع أن الفعل قد فعله هذا الفاعل وانتهى ، لذلك الابتداء بالذكر يحتم ذلك(٣) .

ونجد هذا المعنى ويورده السيد المدرسي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **أللهُ لا الهَ إلاَّ هوَ الحيُّ القيُّوم لا تأخذهُ سنةٌ ولا نوم** ... ﴾[البقرة (٢٥٥)]، فيقول السيد المدرسي : ((سمى العرب ربهم بـ (إله) لأنهم يألهون إليه ، ويتوسلون به أشد التوسل ، عندما تصيبهم الضراء . والكلمة المفضلة في لغة القرآن للدلالة على ربنا هي { الله } وهنا تبدأ آية الكرسي بهذه الكلمة لاستثارة ضمير الإنسان بأنَّ الذي تجأر إليه وتتوسل به ، هو وحده الجدير بأن يكون ربك الحقيقي)) (٤) ، لذلك ابتدأت الآية المباركة بكلمة [الله] لحصر فعل التوسل به سبحانه .

- **مؤكدات الخبر في تفسير من هدى القرآن :-**

وأصل التوكيد :[وَكَدَ] ، و((الواو والكاف والدال كلمة تدل على شدٍّ وإحكام ، وأوكِدْ عقدكَ ،

---

(١) جواهر البلاغة : ص٤٦ .

(٢) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تعليق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني،القاهرة،ط٣، ١٩٩٢م :ص١٢٨.

(٣) يُنظر : دلائل الإعجاز : ص١٢٨ .

(٤) من هدى القرآن : ج١ :ص٣٣٨ .

أي : شُدهُ))(١) ،فهو ((التقوية والإحكام ، يُقال : وكدتُ القول وأكدته ، نحو : ورَّخَ وأرَّخَ))(٢) ، والتوكيد من المفردات الفذة في القرآن الكريم (٣) ، وللخبر مجموعة من الأحرف أو الأحرف المشبهه بالفعل تقوي من معناه الأصلي يسمُّونها أصحاب البلاغة والنحو [بالمؤكدات] ، فهي مثبتات المعنى ومن خلالها يرتفع الشك عن صحة الخبر ، فـ ((لتوكيد الخبر أدواتٌ كثيرة ، وأشهرها إنَّ ؛ لام الإبتداء وأحرف التنبيه ؛ والقسم ؛ نونا التوكيد ، والحروف الزائدة " كتفعل واستفعل " والتكرير؛ وقد ، وأمَّا الشرطية ، وإنَّما ؛ وإسمية الجملة . وضمير الفصل ؛ وتقديم الفاعل المعنوي ــ نحو : الأميرُ حضر.))(٤) ، ففوائد التوكيد هي :

١ــ دفع توهم الغلط أو التجوز وذلك بتكرير اللفظ فتقول : جاءني زيدٌ زيدٌ ، فلا يبقى توهم بعد تكرار اللفظ ، ولا يتبادر إلى الذهن أن غير زيد الذي جاء ، كأن يكون عمرو مثلا .

٢ــ دفع توهم التجوز فقط ، لا دفع توهم الغلط ، وهذا هو التوكيد المعنوي ، فلو قلتَ : جاءني زيدٌ ، فقد يُتوهم أنك أردتَ غلامه ، فتدفع بزيادة هذه الألفاظ توهم التجوز (٥) . ففي قوله تعالى " **إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ الْكَٰفِرُونَ** " [المؤمنون (١١٧)] ، ((يفيد من القوة في نفي الفلاح عن الكافرين ، ما لو قيل : " إنَّ الكافرين لا يُفلحون " ، لم يُستفد ذلك . ولم يكن ذلك كذلك إلا لأنَّك تُعلِمُه إياه من بعد تقدمة وتنبيه ، أنت به في حكم من بدأ وأعاد ووطد ، ثم بنى ولوَّح ثم صرَّح ، ولا يخفى مكان المزية فيما طريقه هذا الطريق))(٦) . ويُقسم التوكيد على قسمين :

أ- توكيد لفظي :-

وهو التوكيد الذي تُكرر فيه الكلمة لتزيد من معنى الإخبار بها ورفع الشك عن مصداقيتها . فيقول إبن مالك في ألفيته :

وما من التوكيد لفظيٌ يجي مُكررا كقولك ادرجي ادرجي (٧)

ويستشهد الشارح بهاء الدين بن عقيل ت(٧٦٩هـ) بقوله تعالى : ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾

---

(١) معجم مقاييس اللغة :ج٦ : ص١٣٨ .

(٢) المعجم القرآني : ج٣ :ص٧٨١ ، وينظر : تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد الأزهري الهروي ت(٣٧٠هـ) ، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي ، محمد فرح العُقدة ، بلا معلومات نشر ، د .ط ، د.ت :ج٣ : ص٣٩٨ ، مفردات غريب القرآن :ج١ :ص٥٣١ .

(٣) يُنظر : المفردات الفذة في القرآن الكريم ــ دراسة لغوية (البحث التكميلي الثاني لنيل شهادة الماجستير من كلية الآداب ــ الجامعة الإسلامية ببغداد) ، الباحث : خالد حامد عطية الربيعي ، ٢٠٠٣م: ص١٣ .

(٤) جواهر البلاغة : ص٣٨ .

(٥) يُنظر : مُوضح أسرار النحو ، محمد بن الحسن (الفاضل الهندي) ت (١١٣٥هـ) ، تحقيق : د. علي موسى الكعبي ، مجمع الامام الحسين العلمي لتحقيق تراث أهل البيت (عليهم السلام) ، كربلاء ،الطبعة الأولى ، ٢٠١٥ م : ص٣٨٩ .

(٦) دلائل الإعجاز : ص١٣٣ .

(٧) شرح بن عقيل على ألفية ابن مالك ، بهاء الدين بن عقيل ت(٧٦٩هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار التراث ، القاهرة ، ط٣ ، ٢٠٠٥م : ج٣ :ص١٦٥ ، .

[الفجر(٢١)] بأنها جاءت من التوكيد المعنوي لكن المحقق محمد محيي الدين عبد الحميد يعرض آراء العلماء من دون ذكر أسمائهم انّ((من العلماء من منع أن يكون قوله تعالى: ﴿كلاإذا دُكَّتِ الأرضُ دَكًّا دكًّا﴾من باب التوكيد اللفظي ، وعلل ذلك بأن التوكيد اللفظي يشترط أن يكون اللفظ الثاني دالا على نفس ما يدل عليه اللفظ الأول والأمر في الآية الكريمة ليس كذلك ، فأن الدك الثاني غير دال على الأول ، والمعنى دكا حاصلا بعد دك))(١) ، ولم يستشهد بالآية إبن هشام ت(٧٦١هـ)في شرحه لألفية ابن مالك(٢) ، مما يدلل على أنه لا يعدها من التوكيد اللفظي ، كذلك أنَّ السيد المدرسي لا يجعلها من باب التوكيد اللفظي ، وذلك بقوله : ((فإذا بالأبنية التي هي نتيجة تراكمات جهد الملايين تنهار بفعل الزلزال الرهيب الذي يدك الأرض فيسويها ويدعها قاعا صفصفا . قالوا : أي زلزلت الأرض فكسر بعضها بعضاً وتكسرت الأشياء على ظهرها (*) ، وقال بعضهم : بل دُكت جبالها وأنشازها حتى استوت(**) . وأنى كان فإنّ الأرض تنبسط كالأديم لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ، ولا حفرة ولا ارتفاعا))(٣) . فهي ليست توكيداً لفظياً عند السيد المدرسي موافقاً لبعض العلماء الذين يقولون : أن الدك بعد دك ، لا بمعنى اللفظ الثاني مؤكداً للأول ، بل التوكيد فيه توكيد معنوي يُفهم من خلال السياق . وتذهب إلى ذلك أيضا عائشة عبد الرحمن في تفسيرها (٤) .

وأشار السيد المدرسي إلى التوكيد اللفظي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ(٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ [النبأ (٤ ـ٥)] ، يقول : ((إنهم سيجدون الجزاء في الدنيا قبل الآخرة ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ وقال بعضهم : إنَّ هذه الآية تشير إلى أنَّهم سيعلمون الحق في الآخرة والآية السابقة تشير إلى ما يعلمونه في الدنيا . ويحتمل أن تكون الآيتان بمفهوم واحد للتأكيد))(٥) ، ففي هذه الآية أشار إلى التوكيد اللفظي، من خلال قوله (ويحتمل أن يكون الآتيان بمفهوم واحد للتأكيد) .

وكذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ﴾ [المائدة (٢٤)]، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((واستخدموا أنواعاً من التأكيد اللفظي في رفض دخولهم المدينة لقتال

---

(١) شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك : ج٣ :ص١٦٦ ، هامش التحقيق .
(٢) يُنظر : أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك ، ابن هشام الأنصاري ، ت (٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ذوي القربى ، قم ، ط١ ، ١٤٣٢هـ :ج٣ : ص٢٨٦ ـ ٢٩٤ .
(*) منهم الواحدي يُنظر: تفسيره البسيط ، أبو حسن علي بن احمد الواحدي ، ت (٤٦٨هـ) ، تحقيق : د. نورة بنت عبد الله الورثان ، مكتبة الملك فهد ، الرياض ، ط١ ، ١٤٣٠هـ ، ج٢٣ : ص٥١٧ ،
(**) منهم الزمخشري يُنظر: الكشاف ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد عوض ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٨م : ج٦ : ص٣٧٣ ، وأبو حيان الأندلسي ت (٧٤٥هـ)، يُنظر: البحر المحيط ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد عوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م : ج٨:ص٤٦٦.
(٣) من هدى القرآن :ج١٢ :ص١٩٠ .
(٤) يُنظر : التفسير البياني للقرآن الكريم ، عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٥ ، د.ت : ج٢:ص١٥٤ .
(٥) من هدى القرآن : ج١١ : ص٤٥٧ـ٤٥٨.

الجبارين فيها فقالوا: (لَنْ) الدالة على نفي الأبد، وأضافوا إليها كلمة (أبداً) للدلالة على أن كل المحاولات المبذولة لإقناعهم بضرورة الجهاد، ستذهب سدى، وان الحل الوحيد هو صنع النصر وإعطاؤهم إياه جاهزاً))(١) ، فقد أشار السيد المدرسي إلى التوكيد اللفظي ، فهو يرى أن التوكيد اللفظي ليس بالضرورة أن يكون إعادة اللفظ ، وإنما بالمعنى ، وهذا ما وجدناه في تفسيره للآية المذكورة ، حيث عدَّ معنى (لن) وهو التأبيد ، ولفظ (أبداً) جاء توكيداً لفظياً .

وكذلك باستعمال الاسم الآخر للفظ يُعتبر عنده من التوكيد اللفظي ، وذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتْ الْوَاقِعَةُ ﴾ [الحاقَّة(١٥)] ، يقول السيد المدرسي : ((والتعريف بالألف واللام يعظمها في ذهن السامع، ويؤكد أن للإنسان معها عهدا أودعه الله في فطرته، فهي ليست نكرة للبشر السوي .. وإن في تسميتها (القيامة) بالواقعة يأتي للتأكيد باللفظ على كونها حقيقة لا بد من حصولها، فكون الشيء الواقعي في الغيب ويفصل الإنسان عنه الزمن المستقبل لا ينفي أصل وجوده))(٢) ، فمن توكيد اللفظ عنده ما كان فيه ذكر الاسم الآخر ، وهذا الرأي خاص به لم نجد هذا المعنى عند غيره (٣) .

ب ـ التوكيد المعنوي :

كما تقدم أن التوكيد المعنوي يتحقق من خلال السياق الذي يحمل بين طياته توكيدا ، يُعرف من خلال الذوق البلاغي الرفيع ، إذ يُستنبط من معاني السياق ، كما جاء في قوله تعالى : " وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً "[مريم (٣٢)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((وإن في هذه الآية تأكيد على دور الأم وضرورة البر بها، وقد وصى أنبياء الله جميعاً بها خيراً، والبر بها دليل الإيمان ووسيلة الزلفى إلى الله، وقد أكد الإسلام على دورها، وضرورة البر بها، فهذا النبي محمد "صلى الله عليه واله" يسأله رجل: **يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صِحَابَتِي ؟ قَالَ: أُمُّكَ ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟، قَالَ "صلى الله عليه واله" : أُمُّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ "صلى الله عليه واله" : أَبُوكَ**))(٤) ، فقد تنبه السيد المدرسي إلى التوكيد على برّ الأم من خلال استقرائه للآية المباركة وربطها بقول رسول الله "صلى الله عليه وآله " ، والتوكيد المعنوي ههنا واضح.

وهنالك ألفاظ يأتي بها التوكيد المعنوي ، وهي :

١ـ **نفس وعين** / وهما من ألفاظ التوكيد المألوفة عند النحاة مع [كلا وكلتا] (٥) ، وقد أولوها النحاة عناية كبيرة في موضوع التوكيد ، وقد وردتا كثيرا في القرآن الكريم ، ولكن لا بمعنى التوكيد وإنما بمعنى نفس الإنسان [ذاته] لا التأكيد عليه ، ولكن ورد في أمثال النحاة الكثير مثل : (قوموا أنتم أنفسكم) و (قام الزيدون أنفسهم) وغيرها (٦) ، فهي من مؤكدات الخبر . ومما جاءت هذه الألفاظ

---

(١) من هدى القرآن: ج٢ : ص٢١٢ .
(٢) المصدر نفسه : ج١١ : ص١٩٠ .
(٣) يُنظر : الكشاف : ج٦ : ص١٩٧ ، البحر المحيط : ج٨ : ص٣١٨ .
(٤) من هدى القرآن : ج٥ : ص١٣٠ .
(٥) يُنظر : في النحو العربي نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٦ : ص٢٣٤ .
(٦) ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ج٣ : ص١٦٠ ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ج٣ : ص٢٨٦ ، وغيرها من كتب النحو في باب [التوكيد] .

مؤكدة عند السيد المدرسي في قوله : ((فهذا التفسير يحتوي على موضوعات بسيطة ومحببة إلى القلوب، وفي الوقت نفسه مرتبة ومنظمة))(١) ،أفادت [نفس] التوكيد عنده .

٢ـ **كلا وكلتا** / من الألفاظ التي تفيد توكيد الخبر ملحقات المثنى [كلا وكلتا] فهما ((مفردان لفظاً مثنيان معنىً مضافان أبداً لفظا ومعنى إلى كلمة واحدة معرفة دالة على إثنين إما بالحقيقة والتنصيص ... وإما بالحقيقة والإشتراك))(٢) ، مثل قوله تعالى : ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا ﴾ [الكهف (٣٣)] ، فأفادت كلتا هنا التأكيد بالإفاضة من النعم التي أنعمها الله على الرجل ، ولكن لم يشر السيد المدرسي إلى الأداة بإفادتها التوكيد (٣) .

٣ـ **كل ، جميع ، عامة** / وهي من الألفاظ التوكيدية التي تؤكد الخبر حينما ترد في سياقه ، ففي تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[ص (٨٢)] ، يقول الناشر لتفسير من هدى القرآن فيها : ((وهذه هي الفكرة المركزية في سورتي " ص والصافات " إذ تؤكد السورتان : أنَّ من بين عباد الله عباد خلصوا لله من كل العلاقات المادية والشركية ، فلا سبيل للشيطان عليهم (*)))(٤) ، فهذه الألفاظ [كل ، جميع ، عامة]، تأتي لتأكيد ألخبر، وقد وردت بمعنى التوكيد في التفسير كثيراً (٥) ، وهذه للنماذج لا للحصر .

ج ـ التوكيد بالحرف :

١ـ **إنَّ** / حرف مشبه بالفعل يفيد التوكيد ، ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ [يوسف (٥٣)] ، يقول السيد المدرسي : ((أكد يوسف "عليه السلام" ان كلامه لا يعني انه من أنصاف الآلهة ، وأنَّه ليس من جنس البشر ، وان الذين يعملون السيئات هم من الشياطين . كلا .. بل ان النفس لأمارة بالسوء ، وأنَّ السقوط في أوحال الرذيلة ليس بعيدا عن طبيعة البشر، وإنّما يعني ان التمسك برسالات الله والتسليح بقوة الإيمان والتقوى يمنع من هذا السقوط))(٦). فالتوكيد المعنوي الذي حملته الأداة [إنَّ] تبين من خلالها التوكيد المعنوي المراد من الآية المباركة .

ومما جاء التوكيد بـ (إنَّ) في تفسير من هدى القرآن ، ما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ [يس(٣٢)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((إن حرف (**إنْ**) هنا أصلها إنَّ بالتشديد، وإن كلمة (**لَمَّا**) جاءت للتأكيد، وهكذا يكون التأكيد يتبع التأكيد: لَمَّا للتأكيد، و كُلٌ مبتدأ والتنوين عوض المضاف وهو يفيد معنى التأكيد أيضاً و لَمَّا اللام هي الفارقة بينها وبين النافية،

---

(١) من هدى القرآن : ج١ : ص١٤ .
(٢) مغني اللبيب : ج١ : ص١٧٧ ، يُنظر : المنهاج في القواعد والإعراب ، محمد الأنطاكي ، دار التربية ، بغداد ، د.ط ، ١٩٨٨ : ص٢٨٤ .
(٣) يُنظر : من هدى القرآن : ج٥ : ص٥٣ .
(*) كذا في الأصل ، والصواب : إليهم .
(٤) المصدر نفسه : ج٨ : ص١٢٧.
(٥) يُنظر : المصدر نفسه : ج١ : ص١١ .
(٦) المصدر نفسه : ج٤ : ص١٣٦ .

ولمَّا فريدة للتأكيد. و جَمِيعٌ مجموع وهو الخبر وفيها معنى زائد على (كُلٌ) وهو الاحاطة، وهو تأكيد أيضا، أي أنّ كلهم مجموع لدينا))(١) ، فقد أشار السيد المدرسي إلى مجموعة من المؤكدات في هذه الآية المباركة ، حيث اجتمعت أكثر ألفاظ التوكيد فيها ، ومن هذا المؤكدات (إنَّ) ، ولعلَّ الجمع بين المؤكدات هنا جاء ليُبين أنَّ حضورهم سيكون رغماً عنهم ، وإنَّ القوي العزيز سيُجبرهم على الإتيان كرها، لذا جاءت المؤكدات متوالية .

٢ـ لام الإبتداء / وهي لام تدخل على المبتدأ لتزيد من تأكيده ، وإذا دخلت على خبر { إنّ } تتزحلق اللام إلى الخبر فتسمى [المزحلقة] لأنّ العرب تكره أن يأتي مؤكدان بالترتيب، والآية السابقة فيها لام مزحلقة في قوله تعالى عن لسان النبي يوسف " عليه السلام " : ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ ، في [لأمَّارةٌ] .

٣ـ أحرف التنبيه / مثل :

أ ـ الهاء في [هذا] / إذ يرى ابن مالك أنَّ هاء التنبيه فصلها عن إسم الإشارة [ذا] كثير بضمائر الرفع المنفصلة ، مثل : [ها أنذا] ،و [ها نحن أولاء] ، ولكن فصله بغيرها قليل ، ومنه قول النابغة الذبياني : [من البسيط]

هَا إنَّ ذِي عِذْرَةٌ إن لَا تَكُنْ نفَعَتْ فَإن صاحِبَها مُشَارِكُ النّكَدِ (٢)

إذ فُصل بين [ها] التنبيه وإسم الإشارة [ذي] بحرف التوكيد [إنَّ] (٣) . ولا يوجد فصل بين الهاء واسم الإشارة في التفسير عند السيد المدرسي بل عنده ضمير واحد غير مجزء.

ب ـ ألا / أداة ((للتنبيه ؛ فتدل على تحقق ما بعدها ، وتدخل على الجملتين ... ويقول المعربون فيها : حرف استفتاح فيبينون مكانها ويهملون معناها))(٤) ، فيُبين ابن هشام ت(٧٦١هـ) أن المعربين يهملون معناها وافادتها .

ج ـ التوكيد بالقسم :

وهو أحد المؤكدات للخبر ، وحروف القسم هي : [الباء ، الواو ، والتاء] ، وهناك ألفاظ تدل على القسم غير هذه الحروف مثل : [لعمرك]، والفرق بين القسم والحلف ، هو أن الحلف يكون للأيمان الكاذبة ، والقسم للأيمان الصادقة ، ففي قوله تعالى : ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ

---

(١) من هدى القرآن : ج٧ : ص٣٧٢ .

(٢) يُنظر : ديوان النابغة الذبياني ، أبو أمامة زياد بن معاوية الملقب بالنابغة الذبياني ، تحقيق : حمدو طمّاس ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٥ : ص٣٧ .

(٣) يُنظر: شرح التسَّهيل- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، جمال الدين محمَّد بن عبد الله بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني الاندلسي، (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، وطارق فتحي السيّد ،ط٢ ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ٢٠٠٩: ج١ : ص٢٤٥ .

(٤) مغني اللبيب عن كُتُب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) :خرج آياته وعلق عليه : ابو عبد الله علي عاشور الجنوبي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ،ط٢، ٢٠٠٨م : ج١ :ص٦١ .

﴿ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ [يوسف(٨٥)] ، يقول السيد المدرسي : ((يبدو أن قلب أبنائه القاسي بدأ الآن يلين لوالدهم الحزين فجاؤوا اليه يواسونه ويطلبون منه التقليل من الحزن للإبقاء على صحته لكي لا يكون فاسد الجسم أو هالكاً .﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ أي إننا نقسم عليك بالله ألاَّ تستمر على ذكر يوسف فتعجل مرضك أو موتك))(١)،لكنَّ السيد المدرسي يرى أنَّم أقسموا على أبيهم أن ينسى يوسف ، بيد أن الآية المباركة توحي بأنَّ قسمهم هذا للتضجر من بكاء أبيهم ولم يُقسموا عليه أن يترك ذكر يوسف ، فهم بيمينهم هذا صادقون ، وهذا من باب تأكيد الخبر بخوفهم على أبيهم .

وفي قوله تعالى:﴿ . . وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [طه (٧٢)] ، يقول السيد المدرسي : ((وأقسموا: ﴿ وَالَّذِي فَطَرَنَا ﴾ تأكيد لقرارهم ودعماً لموقفهم، وإنه الموقف الحاسم، وأضافوا رداً على تهديداته .. وهكذا يجب أن يكون المؤمن مستعداً لتحمل تبعات إيمانه واستقلاله))(٢) . فجاء القسم بذلك تأكيدا لخبرهم وتصديقهم.

وكذلك جاء القسم للتوكيد في قوله تعالى : ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ(٤) ﴾ [الصافات(١-٤)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((ينطلق لتأكيد حقيقة التوحيد قائلا: ﴿ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾ ويلاحظ ورود ثلاثة تأكيدات على هذا الأمر، هي: القسم وهو أعظمها وإن التوكيدية واللام في عبارة لواحد، الواقعة في جواب القسم))(٣) ، فقد أشار السيد المدرسي إلى التوكيد في القسم من خلال توالي الأقسام ، وقد أشار إلى غير مورد في هذا المعنى ، وما ذكرناه كنماذج لا للحصر .

هـ ـ التكرير/ ((مصدرٌ على صيغة " تفعلل " مأخوذ من كرر ويفيد كذلك الإعادة وترديد الصوت))(٤)، وقد جاء التكرار بشكل كبير في القرآن الكريم ، إما على مستوى مواضيع كقصة موسى" عليه السلام " التي وردت كثيرا في سور مختلفة ، أو على شكل آيات مثل ما ورد في سورة الرحمن الآية المباركة ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ التي وردت إحدى ثلاثين مرة ، فقد ذكر الله تعالى هذه

---

(١) من هدى القرآن : ج٤ : ص١٥٥.

(٢) المصدر نفسه : ج٥ : ص٢٢٤ .

(٣) المصدر نفسه : ج٨ : ص١٥ .

(٤) التكرار مظاهره وأسراره، (رسالة)،عبد الرحمن محمد الشهراني ، جامعة أم القرى ، السعودية ، ١٩٨٣:ص٢.

الآية المباركة بأقسامٍ مختلفة ((ثمانية منها ذُكرت عُقيب آيات منها تعداد عجائب خلق الله ..... ثمَّ سبعة منها عُقيب آياتٍ فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم وبعد هذه السبعة ثمانية بوصف الجنان وأهلها على عدد أبواب الجنة وثمانية أخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما فمن اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها استحق كلتا الثمانيتين من الله ووقاه السبعة السابقة والله تعالى أعلم))(١) وسر تكرارها هو تأكيد الخبر، فيقول السيد المدرسي : ((فلا يقول أحدٌ وقد كذَب بآلاء الله إنها مجهولة لديه . وبعد هذا البيان والتأكيد لن يكون قصور الإنسان عن الشكر ، ومعرفته ربه ، بغفلة وقد سبق اليه منه الذكر بفضله ، ولا بجهل وقد تقدم منه اليه العلم برحمته))(٢) ، وهذا التكرار الوارد هو من باب تعدد نعم الله ، فبعد كل نعمة يأتي سؤال الله بأن لا تكذبا بهذه النعم .

و- إسمية الجملة / وقد توضح تأكيد الخبر من خلال الجملة الإسمية ، لأنها تدل على الثبوت كما تقدم في تقسيمات الجملة الإخبارية .

ز- ضمير الفصل / وهذا يعني ضمائر الرفع المنفصلة وضمائر النصب على السواء ، كلاهما يدل على إخبار وتوكيد للجملة ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة (٥)] ، يقول السيد المدرسي : ((لا بدَّ أن نخلص له العبادة ونتوجه اليه في كل صغيرة وكبيرة ونستعين به))(٣)، وللسيد المدرسي بحث في تفسير [هو] في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص (١)] فيشرح ضمير الشأن [هو] شرحاً مفصلاً حتى يصل إلى أن هذا الضمير يعني التوكيد على الذات المقدسة(٤).

ومما جاء به ضمير الفصل للتوكيد ، قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ [الشورى(٣٩)] ، حيث جاء الضمير هنا للتأكيد عليهم ، فيقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ والضمير المنفصل (هُمْ) يأتي هنا للتأكيد على أن المؤمنين لا ينتظرون أحدا لينتصر لمظلمتهم، وإنما يسعون بأنفسهم لرفع البغي عن أنفسهم))(٥) ، وقد ورد من هذا

---

(١) أسرار التكرار في القرآن المسمى :(البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان) ، محمود بن حمزة الكرماني ت(٥٠٥هـ) ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، دار الفضيلة ، لا توجد معلومات أخرى في الكتاب : ص١٩٨ .

(٢) من هدى القرآن : ج١٠ : ص١٤٤.

(٣) المصدر نفسه : ج١ : ص١٤٤.

(٤) يُنظر : المصدر نفسه : ج١٢ : ص٤١١ـ ٤١٤.

(٥) المصدر نفسه : ج٨ : ص٤٠٦ .

النوع الكثير في التفسير وهذا للمثال .

الأغراض التي يخرج إليها الخبر :

شغلت الأغراض التي يخرج إليها الخبر البلاغيين كثيرا لأنها من الأمور الشائكة بين الإسلوب الأصلي والمجازي الذي يُعرف من خلال السياق ، وهذه الأغراض التي نبه عليها البلاغيون هي أغراض مجازية ، أي أن ظاهرها شيء والمراد شيء آخر (١) ، إذ ((يُلقى الخبر على خلاف الأصل لأغراض أخرى تُستفاد من سياق الكلام)) (٢) .

ويرى السيد المدرسي ((أن من ابداعات البلاغة القرآنية في خروجاتها عن مقتضى الظاهر ، كخروج الخبر للأمر والنهي والإستفهام وغيرها ، وكذلك خروج الإستفهام للنهي والنفي .. وهكذا ، فكل هذه الخروجات تستدعي السؤال عنها بـ (لماذا ، كيف) لبيان المراد من عدم مجيئها بهيأتها الأصلية ، وهذا لا يعني خروجها عن الحقيقة وإنَّما هي طرق من طرق الحقيقة ، أي: إنّ هذا الخروج يكون خروجا بلاغياً لا بمعنى مجانب للحقيقة))(٣) ، وبهذا يكون السيد المدرسي موافقاً لعلماء البلاغة السابقين . ومن الأغراض التي يخرج إليها الخبر :

١ـ الأمر (٤):- وهو من الأغراض التي يخرج إليها الخبر ، وذكر السيد المدرسي في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى ﴾ [البقرة (٨٣)] في شطر الآية المباركة ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى ﴾ يقول : ((هؤلاء هم بشر وليسوا بآلهة لذلك لا يجوز عبادتهم .. بل يجب الإحسان إليهم فقط . وفرق كبير بين الإحسان والعبادة إذ ان الإحسان هو العطاء من يد عالية ، والعبادة هي الخضوع لمن هو أعلى)) (٥) ، فهنا ذكر السيد المدرسي الخبر جاء مجازاً والمراد منه الأمر الوجوبي بالإحسان للوالدين ، وقد ذكر ذلك السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) في

---

(١) يُنظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد، ١٩٨٦م :ج٢ : ص٤٦٧ .

(٢) جواهر البلاغة : ص٣٧ .

(٣) اجابة السيد المدرسي لسؤال الباحث : ما هو رأيكم في الخروجات البلاغية (أي عن مقتضى الظاهر) الوارد في القرآن الكريم ، وقد أجاب السيد المدرسي بما اوردناه من معنى . اللقاء في مسجد الإمام موسى الكاظم " عليه السلام " ، كربلاء المقدسة ، برفقة الأستاذ المشرف ، في يوم الأربعاء ، الموافق ٢٠١٦/١٠/١٨.

(٤) وهو من الأغراض التي ذكرها ابن فارس والزمخشري ، يُنظر : الصاحبي في فقه اللغة : ص٢٩٠ ، والكشاف : ج١ :ص٢٩٠ ، في تفسير الأية (٨٣) من سورة البقرة .

(٥) من هدى القرآن : ج١ : ص٢٠٦.

إيراد هذا المعنى(١). اذ وافق السيد المدرسي السيد الطباطبائي في تفسير هذه الآية المباركة .

ومن الآيات التي خرج بها الخبر إلى الامر ، ما جاء في قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾ [النساء (١١)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((ويبدو هذا التعبير رؤية حياتية أكثر من أن يكون قاعدة قانونية. فالذكر في طبيعته ودوره الفطري الذي خلق له، هو أن يصبح له مثل حظ الأنثيين في المجال الاقتصادي، كما أن الأنثى تملك مثل حظ الذكرين في المجالات الأخرى العاطفية والجاذبية، والقدرة على التربية. واستعاض الله (بالوصية) عن صيغة الأمر فقال (يوصيكم) للدلالة على أن في ذلك فائدة كبيرة لكم قبل أن يكون أمراً عليكم))(٢) ، فقد جاء الخبر في الآية المباركة يُراد منها الأمر والفائدة ، لذا جاء بصيغة الخبر ، فقد تنبه السيد المدرسي إلى ذلك من خلال تتبعه لألفاظ الآية الشريفة .

وإلى هذا المعنى ذهب الزمخشري ت(٥٣٨هـ) من قبل في تفسيره لهذه الآية المباركة ، فيقول : ((﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ ﴾ يعهد اليكم ويأمركم))(٣) ،وكذلك ابن عطية في تفسيره لهذه الآية المباركة ، فيقول : ((وقوله تعالى : (يوصيكم) ، يتضمن الفرض والوجوب ، كما تتضمنه لفظة (أمر) كيف تصرفت))(٤) ، وكذلك أبو حيان الأندلسي ت(٧٤٥هـ) والسيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) في تفسيرهما لهذه الآية ، لا يخرجان عن هذا المعنى (٥) ، فالسيد المدرسي وافق المفسرين الذين سبقوه في أن هذه الآية خرج فيها الخبر إلى معنى الامر .

٢ـ النهي :ـ يخرج الخبر النهي عن الفعل في سياقات كثيرة ، وقد ذكر غير واحد من البلاغيين هذا الغرض (٦)، والسيد المدرسي يذكره في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا

---

(١) يُنظر: الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي ، الأعلمي ، بيروت ، ط٣ ، ١٣٩١هـ : ج١ : ص٢٢١ .

(٢) من هدى القرآن : ج٢ : ص٢٧ .

(٣) الكشاف : ج٢ : ص٣٢ .

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي ت(٥٤٦هـ) ، تحقيق : الرحّالة الفاروق ،عبد العال السيد إبراهيم ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، ط٢ ، ٢٠٠٧ م: ج٢ : ص٤٨٠ .

(٥) يُنظر : البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض ، (دار الكتب العلمية)، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م : ج٣ : ص١٨٩ ، الميزان في تفسير القرآن : ج٤ : ص١٩٨ .

(٦) وهو من المصطلحات التي ذكرها ابن فارس ، يُنظر : الصاحبي :ص٢٩٠ ، والزمخشري ، يُنظر : الكشاف : ج١:ص٣٨٧ ، واحمد مطلوب ، يُنظر : معجم المصطلحات : ج٢:ص٤٧١ .

﴿ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا .... ﴾ [البقرة(٢٣٣)]، في جزء الآية المباركة ﴿ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ﴾ هو خبر بصيغة النهي ، فيقول : ((لا يجوز أن يستخف بعاطفة الأبوين فيلحق بهما ضرر عبر الولد . كأن يتمانعا من زيارة المولود ، أو يمنع الرجل زوجته أو العكس من لذة الجنس رعاية لحق الولد . جاء في الحديث المأثور عن الصادق [جعفر بن محمد] " عليه السلام " في تفسير الآية ﴿ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ﴾ قال "عليه السلام" : كانت المرأة ممن ترفع يدها إلى الرجل إذا اراد مجامعتها فتقول : لا أدعُك إني أخاف على ولدي ، ويقول الرجل للمرأة : لا أجامعُكِ إني أخاف أن تعلقي فأقتل ولدي ، فنهى الله عن أن يُضار الرجلُ المرأةَ والمرأةُ الرجلَ(*)))(١) ، وممن ذهب إلى هذا الرأي من قبل ؛ أبو حيان ت(٧٤٥هـ) فيقول: ((وهذه خبرية لفظاً منهية في المعنى))(٢) ، وكذلك أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) في إعرابه للآية فيقول : ((قرأ أبو عمرو(**) : لا تضار بالرفع ، جعله بمعنى النهي وهذا مجازاً)) (٣) ، وكذلك وإليه ذهب كل من الزمخشري ت(٥٣٨هـ) والقرطبي (ت٦٧١هـ) (٤) من قبل ، فالرأي للإمام الصادق"عليه السلام" وإن لم يذكروا ، فقد وافق السيد المدرسي هذا الرأي .

(*) ينقل السيد المدرسي هذا الحديث من تفسير العياشي أبي النضر محمد بن مسعود العياشي ت (٣٢٠هـ) ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة ، قم ، د.ت : ج١: ص١٢٠ ، ومن بحار الأنوار : ج١٠٠ : ص٢٩٤ .

(١) من هدى القرآن : ج١ : ص٣٢٠ .

(٢) البحر المحيط : ج٢ : ص٢٢٥ .

(**) أبو عمرو بن العلاء بن عبد الله بن الحصين التميمي ، البصري ، وأشهر القرّاء السبع وله باع طويل في اللغة والأدب ، عربي محض ، توفي في الكوفة سنة (١٥٤هـ) ، ينظر : التيسير في القراءآت السبع ، أبو عمر الداني ، تحقيق : د. حاتم الضامن ، مكتبة الصحابة ، الإمارات ، الشارقة ، ط١ ، ٢٠٠٨م : ص٩٩ .

(٣) إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) ، تحقيق: د. زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ، ط٢، ١٩٨٥:ج١:ص٢٦٨.

(٤) يُنظر : الكشاف : ج١ : ص٢٧٦ ، الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٥ : ج٣ : ص١١٠ .

٣ـ الدعاء (١) :-

وهو من الأغراض التي يخرج إليها الخبر مجازاً، ففي قوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[المسد(١)] ، فيرى السيد المدرسي أنها خبر وخرج للدعاء في قوله : ((أما الكلمة الثانية ﴿وَتَبَّ﴾ فهي خبر ، أي أن أبا لهب قد هلك فعلا ، وبذلك وقعت اللعنة المتوقعة عليه . ويبدو لي أن الكلمة الأولى دعاء على صفقة يديه وما تكسبه من فعل ، والثانية عليه شخصياً ، أو أن الثانية توضيح وتأكيد للأولى ، ذلك ان سبب هلاك الإنسان ما تجنيه يده ، فاللعنة تتوجه اليها ، ثم اليه لأنه المسؤول عن فعلهما))(٢) ، وذهب أبو حيان ت(٧٤٥هـ) من قبل إلى هذا المعنى في تفسيره لهذه الآية المباركة فيقول:((الظاهر أن التب : دعاء وتب إخبار بحصول ذلك)) (٣) ، من خلال هذا الطرح فقد وافق السيد المدرسي أبا حيان في تفسير هذه الآية ، فهذه الآية خرجت من الخبر إلى الدعاء.

٤ـ التهديد والوعيد(٤) :

وهو من الأغراض المجازية التي يخرج إليها الخبر في القرآن الحكيم ، ففي قوله تعالى : ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ [القيامة (٣٤)] ، يقول السيد المدرسي : ((وأصل الكلمة وعيد وتهديد ، ومعناه : أنّ المكروه يقترب منك وأنت صاحبه وجاءت الرواية أن رسول الله " صلى الله عليه وآله " أخذ بيد أبي جهل ثم قال له ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ * ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ فقال أبو جهل : بأي شيء تهددني لا تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئاً وإني لأعز أهل هذا الوادي ، فأنزل الله سبحانه كما قال له رسول الله " صلى الله عليه وآله" ، وقال القرطبي : " وقيل : معناه الويل لك "))(٥) ، فهذه الآية خرجت إلى التهديد ، والسيد المدرسي كان موافقا في رأيه للمفسرين الذين سبقوه كما تبين لنا .

---

(١) ذكر هذا الغرض كل من ابن فارس في الصاحبي : ص٢٩٠ ، والزمخشري في الكشاف : ج١ : ص٦٢٧ .

(٢) من هدى القرآن : ج١٢ : ص٤٠٥. وينظر في ذلك أيضاً بنفس المعنى : السراج المنير : ص٤١٣ .

(٣) البحر المحيط : ج٨ : ص٥٢٦ .

(٤) هذا الغرض ذكره القاضي عبد الجبار (ت٤١٥هـ) يُنظر: تنزيه القرآن عن المطاعن ، قاضي القضاة عماد الدين ابي الحسن عبد الله بن احمد (ت ٤١٥ هـ)، مطبعة دار النهضة الحديثة ، بيروت ، لبنان ، د٠ت : ص١٠٤ .

(٥) من هدى القرآن : ج١١ : ص٤٠٢ ، وينظر : الجامع لأحكام القرآن : ج١٩ : ص١١٥ ، بحار الأنوار : ج١٨ : ص١٦٨ .

٥ـ التحسر (١) :-

وهذا الغرض يخرج اليه الخبر من خلال إظهار التحسر، هذا ما وجدناه من قبل الأنبياء والأولياء والصالحين إلى الله ، فهم يظهرون التحسر إلى الله ، لكن أمام الناس لا يوجد أربط منهم جأشاً ، ففي قوله تعالى على لسان أمّ سيدة النساء مريم ابنة عمران " عليها السلام " : ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى ﴾ [آل عمران (٣٦)]، يقول السيد المدرسي : ((وكانت هذه أمنية امرأة عمران طوال فترة الحمل ، حتى إذا وضعت أنثى صُعقت ، وكأنَّ آمالها قد خابت ، حيث زعمت أن الانثى لا تستطيع ان تتفرغ للعمل الجهادي في سبيل الله ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى ﴾ فهي ليست أنثى كأي أنثى . إنها صديقة تكونت في رحم امرأة عمران المؤمنة الصادقة ، ونمت فيها روح الرسالة بسبب إيمان إمها ، وعملها الصادق أيام حملها لها))(٢) ، وذهب إلى ذلك السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) أيضا للمعنى ذاته ، لكنه يناقش مسألة **" ليس الذكر كالأنثى "** ويثبت أن هذا الجزء من الآية ليس من باب اظهار التحسر(٣) ، فهو في موضع رد على من قال إنَّ امرأة عمران قد تحسرت في هذا الجزء من الآية المباركة (٤)، وبذلك نرى أن هذه الآية المباركة هي خبر في ظاهرها ، تحسر واسترحام في الباطن ، فكان السيد المدرسي يرى فيها اظهار التحسر ، كما كان موافقاً للسيد الطبطبائي .

---

(١) ذكر هذا المصطلح أحمد الهاشمي ، يُنظر : جواهر البلاغة : ص٣٧ .

(٢) من هدى القرآن : ج١ : ص٤٠٢.

(٣) ينظر : تفسير الميزان : ج٣ : ص١٩٨ .

(٤) يُنظر : في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧١م : ج٣ : ص٥٧٩ .

٦ـ الوعد :ـ

من الأغراض التي يخرج اليها الخبر مجازاً هو الحث على الفعل ، ففي قوله تعالى : ﴿ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء(١٤٩)] ، ذكر السيد المدرسي إنه سبحانه وتعالى أراد منها الحث ، فقال في تفسيرها : ((ان الله يحب ذلك المجتمع النظيف من سلبيات الكلام العاكف على عمل الخير سواء كان ظاهراً أو مستتراً ، ومن أبرز أعمال الخير العفو .ولم يقل ربنا في آية أخرى : ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ ما ذا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ [البقرة (٢١٩)] ، إن العفو يربط ألناء المجتمع ببعضه ربطاً ويقتلع جذور النفاق منه . ﴿ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ إن الله يعفو عمن عفا عن الناس ويعفو عمن يعمل الخير للناس . يعفو عنهم بالرغم من قدرته عليهم ، أوَ ليس من الأفضل أن يتخلق العبد بخلق ربه ، وأن يكون هو الآخر عفواً ؟!))(١) ، وذهب البيضاوي ت(٦٨٥هـ) إلى هذا المعنى ، في تفسيره لهذه الآية المباركة يقول : ((وذِكْرُ إبداء الخير وإخفائه تشبيبٌ له ولذلك رتب عليه قوله ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ أي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الإنتقام فأنتم أولى بذلك ، وهو حثٌّ للمظلوم على العفو بعدما رخص له في الانتظار حملا على مكارم الأخلاق)) (٢) ، فهنا الخبر خرج إلى الحث ، وهذا ما تبين من خلال البحث في الآية المذكورة فقد وافق السيد المدرسي البيضاوي في أن الآية خرجت من الخبر للحث ، ولكن السيد المدرسي جاء بالمعنى للحث ، والبيضاوي أورد الكلمة لفظاً .

٨ـ الترغيب :ـ

في تفسير قوله تعالى ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء (١٢٥)] ، يرى السيد المدرسي أن هذا الجزء من الآية فيه ترغيب ، لأن ابراهيم برفضه للعبودية لغير الله تعالى نال هذه المرتبة العليا وهي (الخلّة) مع الله ، فيقول السيد المدرسي : ((فانتفع إبراهيم " عليه السلام " برفضه العبودية للأصنام والشركاء نفعا عظيما ، حيث قربه الله اليه ، وجعله خليلا له))(٣) ، وذهب البيضاوي

---

(١) من هدى القرآن : ج٢ : ص١٥٠.

(٢) تفسير البيضاوي ، ناصر الدين ابي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ت(٦٨٥هـ) ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م :ج١ : ص٣٩٥ .

(٣) من هدى القرآن : ج٢ : ص١٢٩.

ت(٦٨٥هـ) أيضا إلى هذا المعنى (١) ، لكن الزمخشري ت(٥٣٨هـ) يرى أن هذا الغرض يفيد وجوب تأكيد الإتباع (٢) ، والباحث يرى أنها للترغيب كما جاء عند السيد المدرسي والبيضاوي ، ولا يُستبعد رأي الزمخشري ، فمن الممكن أن تحمل المعنيين ، فكلاهما يؤدي للترغيب .

---

(١) يُنظر : تفسير البيضاوي : ج١ : ص٣٨٦ .

(٢) يُنظر : الكشاف : ج١ : ص٥٦٦ .

الفصل الأول

المبحث الثاني

الإنشاء

أساليبه

أغراضه البلاغية

المبحث الثاني
الإنشاء : أقسامه ، تطبيقاته
خروجه عن مقتضى الظاهر

الإنشاء في اللـغـة: الإنشاء في اللغة : الابتداء ، و((النون والشين والهمزة أصلٌ صحيح يدل على ارتفاع في شيء وسموٍّ ونشأ السحاب : ارتفع ، وأنشأه الله : رفعه))(١) إذ يُقال : أنشأ الله السحاب ، أي ابتدأها ، وأنشأ الرجل الخطبة إذا ابتدأ بها ، ويضعها ، وكذلك يعني : الاختراع أو الإيجاد أو الخلق (٢)، فهو متأت من جذره اللغوي : نشأ ينشأ منشأ ، و نشوءاً ، ونشاءة ، فالذي نشئ على شيء وتربى عليه شبَّ عليه(٣)، وحسب اللغة فالإنشاء يعني الابتداء والاختراع ، والإيجاد والخلق والسمو (الرفعة).

الإنشاء في الإصطلاح: وهو أحد الأساليب البلاغية التي تستدعي أمراً غير معروف لحصول المعرفة من خلاله ، عن طريق إحدى الصيغ المخصوصة له (٤) ، وهو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته ، ولا للفظه في واقعه الخارجي إن كان هذا الواقع يطابقه أو لا يُطابقه (٥) ، فهو ((قولٌ لا يُوصف بصدق ولا بكذب ، كأن تقول لإنسان : قِفْ ، فهذا أمر لا يُقال لقائله : صادق ولا كاذب))(٦) ، فالإنشاء يعتمد على الإلقاء من قبل المنشئ اذ لا يمكن ان يقف عليه السامع أو المتلقي إلا من اذا حصل الإلقاء من قبل المنشئ من خلال إحدى صيغه التي خُصصت له (٧) ، وقد قسمه البلاغيون على قسمين : القسم الأول وَسَمُوهُ بـ **[الإنشاء الطلبي]**،وهذا النوع من الإنشاء يُعرف بأساليب أو صيغ متعددة ، فيشمل : الإستفهام ، الأمر ، النهي ، النداء ، والتمني . والقسم الثاني وَسَمُوهُ بـ **[الإنشاء غير الطلبي]** ، وهذا القسم أيضاً له أساليب أو صيغ يُعرف بها ، مثل : المدح ، الذم ، التعجب ، الرجاء ، القسم ، وصيغ العقود(٨) . والقسم الثاني لم يوله البلاغيون عناية كالقسم الأول ، و جاء عدم العناية به من سببين :

---

(١) معجم مقاييس اللغة : ج٥ : ص٤٢٨ .
(٢) يُنظر : لسان العرب ، مادة (نشأ) : ج١ :ص١٧٠ـ١٧١ ، الصحاح في اللغة ، مادة (نشأ) :ج١:ص٧٧، المعجم القرآني : ج٣ : ص٥٣٤ .
(٣) يُنظر : المحكم والمحيط الأعظم ، ابو الحسن علي بن اسماعيل (ابن سيدة) ، تحقيق :عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ط ، ٢٠٠٠ م ، مادة (نشأ) : ج٨ : ص٩٠ .
(٤) يُنظر: الإيضاح : ج٢ : ص١٣٠ ، التلخيص : ص١٥١ ، المباحث البلاغية في حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي،(رسالة) ، سارة علي ناصر العامري ، جامعة ذي قار ، ٢٠١٢:ص٣٤.
(٥) يُنظر : الإيضاح : ج٢ : ص١٣٠ ـ ١٣٢ ، المطوَّل شرح تلخيص مفتاح العلوم ، سعد الدين التفتازاني ت (٧٩٢هـ) ، تحقيق : د. عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٣٣هـ ـ٢٠٠١م :ص٤٠٦ ، التعريفات ، ابو الحسن علي بن محمد (الشريف الجرجاني) ت (٨١٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م :ص٣٨ ، الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م :ص١٣ .
(٦) الكافي في البلاغة ، أيمن أمين عبد الغني ، دار التوفيقية للتراث ، القاهرة ، د.ط ، ٢٠١١م : ص٣٣٠ .
(٧) يُنظر : المباحث البلاغية في حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي ، (رسالة) : ص٣٤ .
(٨) يُنظر: مفتاح العلوم : ص٤١٤ ، المطوَّل شرح تلخيص مفتاح العلوم : ص٣٨ ، الإيضاح : ص١٣١ ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ج١:ص٣٣٢ ، البلاغة الاصطلاحية ، د. عبده عبد العزيز قلقيلة ،دار الفكر العربي، القاهرة ، ط٣ ، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م : ص١٤٧ .

الأول : إنَّ هذه الصيغ هي في الأصل أخبار ونُقلت إلى معنى الإنشاء .
الثاني : استعمالها مقتصرا على معانيها الأصلية التي وضعت لها (١) .
لذا ((لم يحظ بمثل ما حظي به القسم الأول من الاهتمام ، ولهذا تقل المباحث البلاغية فيه))(٢).
ومن الباحثين من جعل للجملة الإنشائية زمن يقترن بها يُعرف من خلال السياق ، منه ما يدلُّ على المضي ، ومنه ما يدلُّ على الحال ، ومنه ما يدلُّ على الاستقبال ، منه ما يدل على الزمن المطلق(٣)، فبذلك يكون السياق له حاكمية على إيراد المعنى من خلال القرائن الواردة فيه .
ومن خلال الإستقراء وجدتُ أنَّ السيد المدرسي لم يخرج عن رأي أصحاب البلاغة وأهل التفسير بأن البلاغة في الإنشاء الطلبي فقط ، لذا سنفسمة حسب تقسيمات البلاغيين .

- ***أساليب الإنشاء الطلبي*:**

قسم أصحاب البلاغة والمعنيُّون بها الإنشاء الطلبي إلى أساليب متعددة ، ولكل أسلوب تفصيلاته وخروجه لمعاني بلاغية لسرٍّ تعبيري ، ومن هذه الأساليب :

أولاً / الإســتــفــهــام :-

في اللغة :هو مأخوذ من فهم الشيء فهماً أي علمه ، ومنه يُقال : فلانٌ إستَفْهَمَنِيْ عن كذا ، أي طلب الفهم مني (٤) ، والسؤال و الإستفهام واحد (٥) ، لأنَّ كليهما يستدعي مطلوباً لغرض الفهم .
إمّا **في الإصطلاح** :فهو ((من أنواع الإنشاء الطلبي ، والأصل فيه طلب الإفهام والاستفسار لمعرفة شيء مجهول))(٦) ، قد يكون حكما في شيء أو لا يكون حكماً له ، وينقسم على قسمين : استفهام تصوري ، واستفهام تصديقي (٧) ، وقد أشار سيبويه ت(١٧٩هـ) إلى أسلوب الإستفهام في كتابه تحت عنوان أسماه" باب الإستفهام " وقد أشار فيه إلى الأدوات الاستفهامية وخروج الإستفهام عن مقتضى الظاهر وضرب كثيراً من الأمثال له (٨) ، وقد ذكره أبو زكريا الفراء ت (٢٠٧هـ) أيضاً و أبو عبيدة ت (٢١٠هـ) ، والأخفش ت (٢١٥هـ)(٩) ، فهو مصطلح قديم يراد به طلب الفهم من خلال أدواته ، وهو المنبع والمنهل الذي ارتوى منه أهل البلاغة وأهل التفسير وأهل النحو على مر العصور .

---

(١) يُنظر: البلاغة والتطبيق: ص١٢٣ ، الأساليب الإنشائية في النحو العربي :ص١٣ ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ج٢ : ص٢٨٢.
(٢) بلاغة التراكيب ، دراسة في علم المعاني ، د. توفيق الفيل ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، د.ط ، د.ت :ص١٩٦ .
(٣) يُنظر: أنماط التراكيب القرآني (دراسة في سور ال حم) ، (رسالة) ، علي ميران جبار ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠٩م :ص١٢٩ ـ١٣١ .
(٤) يُنظر: كتاب العين مادة (فهم)، الخليل بن أحمد الفراهيدي ت (١٧٥هـ) ، تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، د.ط ، ١٩٨١ : ج٤ : ص٦١ ، الصحاح مادة (فهم):ج٤:ص٢٠٠٥ .
(٥) يُنظر: المعجم الوسيط : ج٢ : ص٧٠٤ .
(٦) الكافي في البلاغة: ص٣٤٠ .
(٧) يُنظر: مفتاح العلوم: ص٥٢٤ ، جهود الفراء البلاغية في كتابه معاني القرآن ، (رسالة) ، قيس خلف إبراهيم ألبياتي ، كلية التربية ، جامعة تكريت ، ٢٠٠٤ : ص٤٧ .
(٨) يُنظر: الكتاب، كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م :ج٣ :ص١٧٣ ـ ١٨١ .
(٩) يُنظر: معاني القرآن، الفراء (ت٢٠٧هـ) تحقيق د. محمد علي النجار، واحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٠م : ج١ : ص٢٣ ، مجاز القرآن ، أبو عبيدة (ت٢١٠هـ) ، عارضه بأصوله وعلق عليه : د. محمد فؤاد سركين ، نشر مطبعة سامي الخانجي الكتبي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط١ ، ١٣٧٤هـ -١٩٥٥م : ج٢ :ص٢٣١ ، معاني القرآن (الاخفش الأوسط) (ت ٢١٥هـ) ، تحقيق : د. فائز فارس ، دار الرشيد للنشر ، ط٢ ،١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م :ج١:ص٥٦.

وتفسير (من هدى القرآن) فيه الكثير من الإستفهام ، سنقسمه بحسب تقسيمات البلاغيين ، ونستقي لكل موردٍ مثالاً أو أكثر ، بحسب ما يتطلبه الأمر .

*** أدوات الإستفهام :**

قسم البلاغيون أدوات الإستفهام على قسمين :-

١ـ حروف الإستفهام / وهي [هل ، الهمزة] ، تُستعمل [هل] للاستفهام التصديقي ويعني : ادراك النسبة ، أي الإسناد ، نحو : هل نجَحَ عليٌ ؟ فالمتكلم يجهل حصول النجاح لعلي ، ولذلك يريد معرفة نسبته إليه ، وتستعمل [الهمزة] للتصور والتصديق ، والتصور يعني : ادراك المفرد ، نحو : أزيدُ مسافرٌ أم محمد ؟ فالسائل لا يريد النسبة بل يريد التعيين أيهما مسافر . وهما [هل ، الهمزة] حرفان لا محلَّ لهما من الإعراب .

٢ـ أسماء الإستفهام / وهي [ما ، مَنْ ، متى ، أينَ ، كيف ، كم ، أيٌّ ، أيان ، أنَّى] (١) ، وهذه الأسماء تُعرب حسب موقعها من الجملة .

*** أنواع الإستفهام :** للاستفهام نوعان :

أ ـ **إستفهامٌ حقيقي** / ويعني به الإستفهام الذي يراد منه المعرفة الحقيقية .

ب ـ **الإستفهام المجازي** / يخرج هذا الإستفهام عن معناه الحقيقي إلى أغراض أخرى كالتقريري والإنكاري (٢) وغيرها ، يعده البلاغيون استفهاماً بلاغياً ، وهذا ما يعنينا في البحث البلاغي لأنّه ــ كما يؤكد عليه البلاغيون ــ هو الأسلوب البليغ ، فهو من يدخل في دائرة البحث.

الأغراض التي يخرج إليها الإستفهام عن حقيقته :

١ـ الإستفهام التقريري :

وهو حمل المخاطَب على امر يعرفه ومستقر عنده ، والاستفهام في التقرير يأتي مع النفي ، فدخوله على النفي يُوجب الكلام ـ أي يكون الكلام موجباً ـ ولذا يُعطف عليه الموجب الصريح ويُعطف هو على الموجب الصريح ومنه قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ [الفيل(٢ ـ ٣)] ((والعدول عن الإخبار إلى الإستفهام حمل للمخاطب على الإعتراف بعد التدبر والأناة))(٣)، فالتقرير يعني أنّ كلا الطرفين [المُخاطَب والمُخاطِب] يعرفان الجواب .

ففي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [المجادلة (٧)] ، يقول السيد المدرسي في هذه الآية المباركة : ((وهذا الاستفهام للتقرير، فالمعنى: أنك لا بد أن تعلم يقينا، كما يعلم الذي يرى شيئا بعينه، ولكن كيف نعلم بهذه الحقيقة علم من يرى شيئا نما بالنظر في آيات الله في الخليقة، فكل ما في السماوات والأرض يشهد على أنه سبحانه حي قيوم شاهد حاضر.))(٤) . فالجواب معروف للمُخاطَب والمخاطِب ، هذا هو الإستفهام التقريري .

---

(١) يُنظر : الكافي في البلاغة : ص٣٤٠ ، البلاغة العربية أسسها ، علومها ، فنونها ، عبد الرحمن حسن حبنَّكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٦ م : ج١ : ص٢٥٨ .

(٢) يُنظر : الكافي في البلاغة : ص٣٤٠ ، من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد بدوي ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، الجيزة ، مصر ، د. ط ، ٢٠٠٣م : ص١٦٤ .

(٣) يُنظر : مغني اللبيب : ج١ : ص١٦ ، من بلاغة القرآن : ص١٢٧ .

(٤) من هدى القرآن : ج١٠ : ص٣٣٤ .

وقد ذهب البيضاوي ت(٦٨٥هـ)إلى هذا المعنى في تفسيره فيقول : ((والهمزة للإنكار دخلت حرف الجحد فأفادت الإثبات والتقرير))(١) ، و ذهب أبو حيان ت(٧٤٥هـ) إلى هذا المعنى في تفسير الآية ، فيقول : ((تقرير ؛ لأنَّ الهمزة إذا دخلت على النفي ، كان الكلام في كثير من المواضع تقريراً ، نحو قوله تعالى : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف(١٧٢)]))(٢) ، فمما تتقدم تبَّن لنا أن السيد المدرسي لم يخرج عما جاء به البلاغيون والمفسرون الذين سبقوه ، فعنده التقرير يحمل المعنى ذاته عند البلاغيين والمفسرين ، وهذا للمثال لا للحصر .

٢ـ الإستفهام الإنكاري : فهو من المعاني المجازية التي يخرج اليها الإستفهام ((فيقتضي أنَّ ما بعدها واقعٌ ، وأنَ فاعله ملوم ، نحو : ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ [الصافات (٩٥)]))(٣) ، وقد تنبه السيد المدرسي لهذا الإستفهام في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [الرعد (٥)] ، يقول السيد المدرسي: ((إذا كنت تعجب من شيء فهناك شيء أعجب وهو قول الكفار بإنكار البعث بعد الموت))(٤)، فقد أنكر عليهم نبي الله موسى " عليه السلام " قولهم هذا .

وذهب الفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) في تفسير الآية فيقول : ((وهذا استفهام على سبيل الإنكار))(٥) وكذلك يذهب أبو حيان ت(٧٤٥هـ) إلى المعنى نفسه بقوله : ((وهو تقرير مصمم على إنكار البعث))(٦) ، ، فقد أيَّد السيد المدرسي الفخر الرازي وأبا حيان في أن هذه الآية خرجت من معنى الإستفهام إلى المعنى الإنكاري.

ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية (٦)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((إنكار الله بعد عرض هذه الآيات ليس إنكارا لله فقط، بل هو أيضا إنكار للآيات نفسها، وهل في الكائنات شيء أشد ظهورا من تلك الحقيقة التي تشترك في الشهادة عليها والدلالة إليها كل الكائنات؟! وإذا أنكرناها فقد أنكرنا كل شيء. أوليس في كل شيء آية لله؟.))(٧)، فقد أشار السيد المدرسي إلى معنى الإستفهام هنا وهو الإنكار .

في حين ذهب أبن عطية ت(٥٤٦هـ) إلى معنى التوبيخ والتقريع والتهديد ، وذلك في تفسيره الآية المباركة ، فيقول : ((﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ ...﴾ توبيخٌ وتقريع وفيه قوة تهديد))(٨)، ويذهب أبو حيان ت(٧٤٥هـ) إلى هذا المعنى أيضاً (٩) ، وهذا الرأي أقرب لأن الخطاب المباشر فيه نوع من التهديد والتوبيخ للذين وُجه إليهم الخطاب ، بسبب جحدهم السابق .

---

(١) تفسير البيضاوي : ج١ : ص٨٥ .
(٢) البحر المحيط : ج١ : ص١٥٠ .
(٣) مغني اللبيب : ج١ :ص١٦ .
(٤) من هدى القرآن : ج٤ :ص١٨٣ .
(٥) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، ط٢، د.ت:ج١٧ : ص١١٤.
(٦) البحر المحيط : ج٥ : ص٣٥٩ .
(٧) من هدى القرآن : ج٩ : ص١٢٦ .
(٨) المحرر الوجيز : ج٧ : ص٥٩٠ .
(٩) يُنظر : البحر المحيط : ج٨ : ص٤٤ .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يس(٤٨)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ ﴾ وبالرغم من أن كلمة مَتَى أصلًا للاستفهام، إلا إنها هنا جاءت للاستنكار بدليل قولهم: ﴿ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فهم كانوا يتوقعون جزاءً عاجلا بعد أن أنذروا بالعذاب، وأمروا باتقاء ما بين أيديهم من عذاب الدنيا، و ما خلفهم من عذاب الآخرة))(١) .

وقد ذهب الفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) إلى هذا المعنى فقال : ((هي في صورة استفهام وفي المعنى إنكار ..))(٢) ، وذهب السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) إلى أنها جاءت للإستهزاء مبني على الإنكار فقال : ((كلام منهم وارد مورد الإستهزاء مبني على الإنكار))(٣)، وذهب أبو حيان ت(٧٤٥هـ) إلى أن الإستفهام هنا خرج للإستهزاء فقط، وذلك بقوله : ((حكى تعالى عنهم ما يقولون على سبيل الإستهزاء))(٤).

في حين ذهب ابن عطية ت(٥٤٦هـ) من قبل إلى معنى التقرير ، فقال : ((ثم حكى عنهم على جهة التقرير عليهم ...))(٥) ، وهذا الرأي بعيد عن السياق لأن التقرير يحتاج إلى نفي في السياق ، و الإستهزاء ليس ببعيد عن سياق الآية المباركة فمن الممكن أن تحمل المعنيين معاً ، لذا نرى السيد الطباطبائي قد مازج بين الإستهزاء والإنكار ، فقد وافق السيد المدرسي ما ذهب إليه الفخر الرازي والسيد الطباطبائي في أن الإستفهام جاء للإنكار ، في تفسير الآية المباركة المذكورة على أنها خرجت من الإستفهام الحقيقي إلى الإنكاري .

٣ـ الترغيب : وهو من الأساليب الإنشائية التي يخرج اليها الإستفهام المجازي ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة (٤٥)] ، يقول السيد المدرسي : ((الله واهب ما في الحياة من نعم كما هو واهب الحياة ذاتها ، فهو الذي يوسِّع على من يشاء ويقتِّر على من يشاء ولكن ليس عبثاً ، وانما بمقدار عطاء الفرد في سبيل الله ، وتجارته معه تلك التجارة التي دعا الله اليها في كتابه في أكثر من مناسبة وهنا يدعو اليها ويقول : ﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً . . . ﴾))(٦) ، وهذا من باب الترغيب للفرد بالإنفاق .

وذهب إلى هذا المعنى السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ)في تفسيره للآية ذاتها (٧) ، ((ونلاحظ أنّه أخذ بنظر الفحص وظيفة الإستفهام وأثرها في بعث روح المجاهدة والترغيب في حسن الأعمال))(٨) فالسيد المدرسي تنبه الى الأثر الذي تركه اسلوب الإستفهام في سياق النص وهو الترغيب.

---

(١) من هدى القرآن : ج٧ : ص٣٨٦ .
(٢) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ج٢٦ : ص٨٦ .
(٣) الميزان في تفسير القرآن : ج١٧ : ص٩١ .
(٤) البحر المحيط : ج٧ : ص٣٢٥ .
(٥) المحرر الوجيز : ج٧ : ص٢٥٣ .
(٦) من هدى القرآن : ج١ : ص٣٢٨ .
(٧) يُنظر : الميزان في تفسير القرآن : ج٢ : ص٢٨٨ .
(٨) البحث البلاغي في تفسير الميزان ، (أطروحة) : ص٣٤ .

٤ـ **الإستبعاد** : يخرج الإستفهام عن حقيقته في القرآن الكريم ليفيد الإستبعاد ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة (٦)]، يقول السيد المدرسي في تفسيرها: ((﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ لأن الكفر بالقيامة هو الذي يُبَرِّر له التحلل من المسؤولية، فهو في سعي حثيث وجدل دائم من أجل إنكارها، وصناعة قناعة ولو داهية لنفسه وللآخرين بذلك، فسؤاله ليس سؤال استهزاء وسخرية فقط، بل هو سؤال تبرير وجدل أيضا. وإنها لصفة كل من يترك العمل بالحق ويخالف القيم ، إذ لا بد من تبرير لموقفه، فكيف إذا كان فجورا؟ ولصيغة السؤال هذه استبعاد وتسويف بالتوبة))(١) ، فقد أشار السيد المدرسي إلى خروج الإستفهام إلى الإستبعاد ، فسؤاله يستبعد يوم القيامة .

وذهب الزمخشري ت(٥٣٨هـ) إلى هذا المعنى في تفسير الآية فقال : ((سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة في قوله: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾))(٢) ، وكذلك ذهب الفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) إلى المعنى ذاته في أنها أفادت الاستبعاد (٣) .

في حين ذهب ابن عطية ت(٥٤٦هـ) إلى معنى الإستهزاء ، فقال : ((﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ ؟ هو على معنى التكذيب والهزء ...))(٤) ، وكذلك يذهب أبو حيان ت(٧٤٥هـ) إلى معنى الإستهزاء(٥).
لكن الاستبعاد أقرب للسياق ، لأن استبعادهم لهذا اليوم يجعلهم يعيشون بشيء من الاطمئنان ، لذا جاء الاستبعاد في سؤالهم ، وقد وافق السيد المدرسي الزمخشري والفخر الرازي في هذه الآية المباركة ، ورأيهم أقرب للسياق من الإستهزاء .

ومما جاء بمعنى الاستبعاد ، قوله تعالى : ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَاماً نَّخِرَةً﴾ [النازعات(١١)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((ويحاولون تبرير استبعادهم للبعث بأنه كيف يمكن إعادة هذه الأعظم البالية التي تنخر فيها الرياح لما فيها من ثقوب كثيرة ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً نَّخِرَةً﴾))(٦) ، فقد استبعدوا هذا اليوم من خلال استفهامهم .

لكن الواحدي ت(٤٦٨هـ) ذهب إلى معنى الإنكار ، وذلك في قوله : ((انهم أنكروا البعث فقالوا: أنرد أحياء إذا متنا وبليت عظامنا ؟))(٧) ، وذهب الفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) إلى هذا المعنى أيضاً (٨).
في حين ذهب الزمخشري ت(٥٣٨هـ) إلى معنى الإستهزاء ، وذلك في قوله : ((وهذا استهزاء منهم))(٩) ، ويذهب أبو حيان ت(٧٤٥هـ) إلى هذا المعنى أيضاً (١٠) ، لكن الاستبعاد قريب من السياق لأنهم بقولهم هذا يستبعدون يوم القيامة بلفظهم (كنا عظاماً نخرة) فهم يرونه بعيداً حتى تُبلى عظامهم

---

(١) من هدى القرآن: ج١١ : ص٣٩٠ .
(٢) الكشاف : ج٦ : ص٢٦٨ .
(٣) يُنظر : التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ج٣٠ : ص٢١٨ .
(٤) المحرر الوجيز : ج٨ : ص٤٧٣ .
(٥) يُنظر : البحر المحيط : ج٨ : ص٣٧٦ .
(٦) من هدى القرآن : ج١٢ : ص١٤ .
(٧) التفسير البسيط : ج٢٣ : ص١٨١ .
(٨) يُنظر : التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ج٣١ : ص٣٧ .
(٩) الكشاف : ج٦ : ص٣٠٦ .
(١٠) يُنظر : البحر المحيط : ج٨ : ص٤١٨ .

وبعد ذلك يخسرون ، فما ذهب إليه السيد المدرسي أقرب للسياق من الإنكار والاستهزاء .

٥ـ التهكم : من الأساليب التي يخرج اليها الإستفهام عن حقيقته ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [البقرة (٢١٠)] يرى السيد المدرسي أن الإستفهام خرج الى التهكم ، فيقول : ((وهذا يعني اننا نحن المسؤولون (*) عن المحافظة على وحدتنا بالاعتماد على هدى الله وبيناته ، وليس من الصحيح أن ننتظر الله أن يأتي ويفض خلافاتنا .... حيث أن هداية الله للعباد متواترة ، أو ننتظر مثلا الإمام الحجة " عج " حتى يصلح ما بيننا بطريقة غيبية . ... وهنالك لا مسؤولية على أحد ، حيث ينتهي التكليف ، ولا تؤخر العقوبة عن أحد . فالآية تتساءل استنكاراً وتتهكم بأهل الكتاب وتذكرنا بالمسؤولية))(١)، فالسؤال جاء للتهكم كما يرى السيد المدرسي .

لكن البيضاوي ت(٦٨٥هـ) يرى ان الإستفهام خرج الى النفي بقوله : ((استفهام بمعنى النفي ولذلك جاء بعده ﴿إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ﴾ أي يأتيهم أمره أو بأسه))(٢) ، وقول السيد المدرسي اقرب إلى السياق ، لأن كلام البيضاوي فيه تأويل للآية وهي لا تحتاج إلى تأويل ، فهي للتهكم والاستنكار .

٦ـ النفي : ((كثر خروج الاستفهام إلى النفي في كلام العرب وأشعارها، وفي القرآن... ولعل هذا الأسلوب يثير المتلقي على جمالية من نوع بلاغي جديد وبديع كقوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة (٢٥٥)]))(٣) ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا﴾ [يونس(٧٧)] ، فيقول السيد المدرسي في تفسيرها: ((فلقد نفى موسى "عليه السلام "ان يكون كلامه سحراً، وأوضح أنه حق، والحق واضح المعالم بعيداً عمن ينطق به، فإذا جاءكم الحق سواء عن طريقي أو بطريق آخر، لابد لكم أن تقبلوه وتطيعون (**)، وربما تشير الآية إلى أن الحق هذا كان مقبولاً عندهم إذا بقي بعيداً عنهم))(٤) ، فالاستفهام الوارد في الآية المباركة على لسان النبي موسى " عليه السلام " دلَّ على نفيه أن يكون كلامه سحراً .

وقد ذهب الزمخشري ت(٥٣٨هـ) والفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) والسيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) إلى معنى الإنكار (٥) ، ويزيد أبو حيان ت(٧٤٥هـ) على الإنكار التوبيخ ، وذلك في قوله : ((مستفهماً على جهة الاستنكار والتوبيخ))(٦) ، ولعل الإنكار اقرب للسياق لأن موسى "عليه السلام " كان مستنكراً عليهم فعلهم لا نافياً للسحر ، اذ مدار الكلام عن الفعل لا عن قولهم .

(*) كذا في الأصل ، والصواب : مسؤولين .
(١) من هدى القرآن : ج١ : ص٢٩٧ .
(٢) تفسير البيضاوي: ج١ : ص١٨٤ ـ١٨٥ .
(٣)جمالية الخبر والإنشاء (دراسة جمالية بلاغية نقدية) ، د. حسين جمعة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، د.ط ، ٢٠٠٥م: ص١٤٦ .
(**) كذا في الأصل ، والصواب تطيعوا .
(٤) من هدى القرآن: ج٣ : ص٤٢٠.
(٥) يُنظر : الكشاف : ج٣ : ص١٦٣ ، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ج١٧ : ص١٤٨ ، الميزان في تفسير القرآن: ج١٠ : ص٩٤ .
(٦) البحر المحيط : ج٥ : ص١٨٠ .

٧ـ **الاستعظام** : هو أحد الأغراض او الأساليب التي يخرج إليها الإستفهام عن معناه الحقيقي فيُراد به استعظام الكلام ، ومنه ما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾ [آل عمران(٢٥)] ، يقول السيد المدرسي : ((ان مجرد التفكير بذلك اليوم يجعل الفكرة العنصرية بلا دليل ، وبالتالي يفندها من الأساس ، إذ ان أساس الفكرة العنصرية مبتن على حب الذات، والمغالاة في تعظيمها وبالتالي تقديسها وجعلها قيمة أساسية . فإذا تصورنا ــ ولو مجرد تصور ــ أننا سنقف للحساب أمام الله ، فإن تقديس الذات سيذوب في النفس لتعود اليها الخشية على الذات من سوء العمل . ومن هنا يتساءل القرآن : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾ من خير وشر وجوزيت جزاء كاملاً على أعمالها))(١) ، فيرى السيد المدرسي أن هؤلاء استعظموا في أنفسهم وبالغوا في تعظيمهم لذاتهم ، فجاء رد الله تعالى أنكم بهذه المغالاة كيف بكم لو أنكم جُمعتم ليوم عظيم ؟ ، فجاء الإستفهام لاستعظام هذا اليوم .

وقد ذهب البيضاوي ت(٦٨٥هـ) إلى هذا المعنى في تفسير الآية المباركة ، فيقول: ((استعظام لما يحيق بهم في الآخرة))(٢) ، وهذا يبين استحقار الله لذواتهم التي كانت مقدسة لديهم من خلال تعظيم الموقف في يوم القيامة ، فالسيد المدرسي وافق البيضاوي في تفسير هذه الآية .

٨ـ **التشويق** : هو احد الأساليب التي يخرج اليها الإستفهام المجازي تشويقاً وتحفيزاً للإعداد لشيء ما يُراد الوصول اليه ، منه قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الصف(١٠ـ١١)] ، يقول السيد المدرسي : ((هكذا تكون هذه البصيرة القرآنية شعلة أملٍ في أفئدة المؤمنين بالله في كل مواجهة لهم مع الكفر ، والطغيان ، وتعطيهم روح النصر ، وتزودهم بوقود الإستقامة والنصر .وهكذا كانت..... تعبئة روحية لمن يريد التجارة مع الله والتفرغ للجهاد في سبيله ، بأنه آنئذٍ يصبح ضمن تيار حركة التاريخ في اتجاه التكامل واتمام نور الله واظهاره على الدين كله . بلى ، هذه الحقيقة تهدينا أيضا إلى أن ذلك الأمل يتحقق على أيدي المؤمنين وبما يبذلونه من تضحيات))(٣) ، فالاستفهام خرج لتشويق المؤمنين للجنة ولقاء الله وتحفيزهم على الجهاد بالمال والأنفس لأن هذه التجارة مع الله ، والتجارة مع الله تجارةً لن تبور .

---

(١) من هدى القرآن : ج١ : ص٣٩٣ .
(٢) تفسير البيضاوي : ج١ : ص٢٤٦.
(٣) من هدى القرآن : ج١٠ : ص٤٤٧ .

وقد ذهب الزمخشري ت(٥٣٨هـ) إلى هذا المعنى في تفسير الآية المباركة ، فيقول : ((ان الأمر الوارد في النفوس بعد تشويق وتطلع منها اليه أوقع فيها وأقرب من قبولهم له مما فوجئت به))(١) .

وكذلك ذهب الشيخ زاده (٢) ت (٩٥٠ هـ) إلى هذا المعنى في حاشيته على تفسير البيضاوي فيقول : ((فـإنَّ الإستفهام هـي قولـه تعـالى ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ ﴾ عـرض علـى التجـارة حثـاً وتشـويقاً إلـى طلبهـا واستعلام أنها ما هي ؟ فأنهم قالوا يا ربنا دُلنا عليها حتى نفعلها وننجو بسببها من العذاب الأليم فأُجيبوا بـأن قيـل تؤمنـون بـالله))(٣) ، فأفـاد هـذا الإسـتفهام التشـويق مجاريـاً لمـن سـبقه ، كمـا أننـا نـرى أن الزمخشري يرى أن الإستفهام خرج في هذا السياق إلى أكثر من غرض ، فهو يرى ان الإستفهام خرج للأمر والتشويق معاً ، وهذا ما وجدناه في أكثر من موضع في تفسيره (٤) ، فالآية المباركة أفادت التشويق .

٩ـ التنبيه : يأتي التنبيه من مجازات الإستفهام ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ [طه(١٧)] ، يقول السيد المدرسي : ((﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ يعلم الله سبحانه ما في يد موسى، ويعلم لماذا هو يحمل عصاه، ومع ذلك فهو يسأله ربما ليمتحنه، إذ إن هذا السؤال يجعل موسى ينتبه الى أهمية عصاه وفوائدها المادية له التي ربما يكون قد غفل عنها))(٥) ، يرى السيد المدرسي أن سؤال الله تعالى لنبيه الكريم هو من باب التنبيه له ولم يُرد المعرفة الحقيقية لأنه عالمٌ بها.

وذهب الزمخشري ت(٥٣٨هـ) إلى هذا المعنى ، فيقول : ((ليقرر في نفسه المباينة البعيدة ... وينبهه على قدرته الباهرة))(٦) وكذلك ذهب أبو حيان ت(٧٤٥هـ) إلى معنى التقرير والتنبيه (٧) ، فقد وافق السيد المدرسي الزمخشري وأبا حيان في أن الإستفهام ههنا أفاد التنبيه .

---

(١) الكشاف : ج٤ : ص٥٢٧ .
(٢) ذكر المترجمون له أسماء مختلفة منها :
أ ـ محيي الدين محمد بن مصطفى القوجوي الحنفي ، يُنظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن عماد الحنبلي ت(١٠٨٩هـ) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د.ط ، د.ت :ج٨:ص٢٨٦ .
ب ـ محمد محيي الدين بن مصطفى مصلح الدين القوجوي ، يُنظر : الأعلام (قاموس تراجم لأشهر النساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) : خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة السادسة عشر ، ٢٠٠٥م: ج٧:ص٩٩.
ج ـ محيي الدين محمد بن الشيخ العارف بالله تعالى مصلح الدين القوجوي ، يُنظر : العقد المنظوم في ذكر أفاضل القوم ، طاش كبري ت(٩٦٨هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د. ط ،١٣٩٥هـ : ج١:ص٢٤٥ .
(٣) حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي : لمحيي الدين محمد بن مصطفى القوجوي الحنفي المشهور بـ (شيخ زاده) (ت٩٥٠هـ) ، المكتبة الإسلامية ، ديار بكر ، تركيا، د.ط ، د.ت :ج٤:ص٤٩١.
(٤) يُنظر : الكشاف : ج١: ص٢٧٧.
(٥) من هدى القرآن : ج٥ :ص١٩٨ .
(٦) الكشاف : ج٤ : ص٧٤ .
(٧) يُنظر :البحر المحيط : ج٦ : ص٢١٩ .

١٠ـ **التأكيد** : يأتي الإستفهام ويراد منه التأكيد ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً ﴾ [ق(٣٦)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((وهذه سنة جارية في الحياة لا يعطلها شيء، ولا يمنعها البشر مهما أوتوا من قدرة، ولفظة أهلكنا مضافة الى كلمة ﴿ وَكَمْ ﴾ التي تفيد الاستفهام عن العدد، تنطويان على تأكيد بأن ما حدث في التاريخ ليس مفردة جرت من باب الصدفة، وإنما هي ظاهرة مستمرة تدل على سنة حاكمة تلتقي فيها تلك الشواهد، ويتضح فيها الفعل الإلهي المقصود))(١) ، فقد جاء الإستفهام ليفيد التأكيد على عدد الهلكة من قبل التنزيل ، وقد تنبه السيد المدرسي إلى غرض الإستفهام الوارد في الآية الشريفة . وهذا الرأي خاص بالسيد المدرسي ، فلم يذكر أحد أن الإستفهام ههنا أفاد التأكيد (٢) . لكن (كم) هنا خبرية للكثرة وليست استفهامية ، وإن لم يقل بها المفسرون من قبل ، فالسياق يخبرنا عن ذلك .

١١ـ **التبكيت والتقريع** : يأتي الإستفهام ويراد منه التبكيت والتقريع ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن(٤٢)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((إنما السؤال للتبكيت والتقريع. إذن لا ينبغي أن نختفي وراء جدر التبرير والأعذار لأننا لن نجد مجالا يومئذ لبيانها حتى تُقبل أو تُرد))(٣) ، وهذا الرأي أيضا خاص بالسيد المدرسي ، فلكل تكرير لهذه الآية يذكر معنى بلاغي وهنا أشار إلى التبكيت والتقريع .

١٢ـ **الاستبطاء** :ـ هو احد الأغراض التي يخرج اليه الإستفهام عن حقيقته ويراد به تعجيل أمر استُبطئ مجيئه ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة (٢١٤)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((لهول الصعوبات والخسارة ، كانوا يستعجلون نصر الله ، وعندما تصل الصعوبة إلى ذروتها يجب أن نأمل الفرج .
﴿ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ وهذه الآية تعني أن الذين يحلمون بالجنة مجاناً وبلا ثمن إنما يحلمون باطلاً وسيجدون أنفسهم بالنار))(٤) ، فالاستفهام في الآية المباركة أفاد الاستبطاء ، وكان سؤال الرسول والذين آمنوا معه المراد منه استعجال النصر .

وإلى المعنى ذاته ذهب البيضاوي ت(٦٨٥هـ)و أبو حيان الأندلسي ت(٧٤٥هـ)، فهما يريان انه جاء هنا أريد منه الاستبطاء (٥) ، فقد وافق السيد المدرسي البيضاوي وأبا حيان في هذه الآية المباركة في انها خرجت عن معنى الإستفهام الحقيقي إلى المجازي وأفادت الاستبطاء .

---

(١) من هدى القرآن : ج٩ : ص٣٨٦ .
(٢) يُنظر : الكشف والبيان : ج٩ : ص١٠٥ ، التفسير البسيط : ج٢٠ : ص٤١٣ ، الكشاف : ج٥ : ص٦٠٣ ، البحر المحيط : ج٨ : ص١٢٧ .
(٣) من هدى القرآن : ج١٠ : ص١٦٠ .
(٤) المصدر نفسه : ج١ : ص٣٠١ .
(٥) يُنظر : تفسير البيضاوي : ج١ : ص١٨٧، البحر المحيط : ج٢ : ص١٤٩.

١٣ـ العتاب : يخرج الإستفهام في بعض الأحيان ويراد منه العتاب على شيء ما ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الحديد (١٦)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((ولذلك يحذر الله المؤمنين من قسوة القلب ، ويعاتبهم على عدم خشوعهم لذكره وللحق فيقول : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾))(١) ، فأفاد الإستفهام في هذه الآية عتاباً للمؤمنين من الله تعالى .

وإلى هذا المعنى ذهب الشيخ الطبرسي ت(٥٤٨هـ)،في قوله : ((إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاثة عشر سنة من نزول القرآن بهذه الآية))(٢) ، أن الإستفهام لم يُرد منه حقيقة الإستفهام ، وانما عتابٌ للمؤمنين ، وهذا ما تنبه إليه الشيخ الطبرسي والسيد المدرسي .

١٤ـ التذكير والتعظيم :ـ وهو من الأغراض التي يخرج إليها الإستفهام عن حقيقته لبيان أمر عظيم ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ [الحاقَّة (١ـ٣)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((وتساؤل القرآن بـ " ما " يأتي في سياق التعظيم والتذكير والتحذير والالفات ، ولا يقف عند ذلك بل يُضيف ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ وهذه الآية تفيد التعظيم ، كما تبين إن أحدا لا يدرك حقيقة القيامة ، وقد يعلم بعض المجملات عنها : بأنها حقٌّ ، وأن من أحداثها زلزلة الأرض ، وحشر الناس ، ودك الجبال ، ولكنه لا يعلم ميقاتها ، كما لا يملك أدوات يتمكن بها وعي أحداثها العظيمة))(٣) فأريد من الإستفهام تبيان عظمة هذا اليوم .

وهناك رأي آخر يقول : ((فالاستفهام هنا للتخويف والتهويل))(٤) ، ولكن معنى التعظيم والتذكير أقرب للسياق ، فالمراد بيان العظمة وليس التخويف من هذا اليوم ، فالذي ذكره السيد المدرسي أقرب للسياق من التخويف والتهويل .

١٥ـ التعجب : يأتي الإستفهام في بعض السياقات القرآنية ويراد منه التعجب ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ﴾ [يوسف(٩٠)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((﴿ قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ قالوا بلحن السؤال المليء بالتعجب والشوق إلى الجواب ﴿ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ ولم ينسَ يوسف أن يذكرهم بعبرة الحياة ويقول: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي أن من يقاوم ضغوط الشهوات، ويقاوم الحسد والحقد، ويبقَ(*) مستقيما على تقواه . صابراً على المكاره التي تصيبه بسبب التقوى ... فإنَّ الله يجزه بقدر إحسانه إلى الآخرين))(٥) ، فقد تنبه السيد المدرسي إلى السياق القرآني الذي ورد فيه الإستفهام واستنبط من خلاله حكم التعجب عليه .

---

(١) من هدى القرآن : ج١٠ : ص٢٧٠ .
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن ، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ت(٥٤٨هـ)،تحقيق : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، قدم له : السيد محسن الأمين العاملي (مؤلف كتاب الغدير) ،مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م : ج٩ : ص٣٩٤ . وينظر : الكافي في البلاغة : ص٣٥٠ .
(٣) من هدى القرآن : ج١١ : ص١٨١ ـ١٨٢ .
(٤) الكافي في البلاغة : ص٣٥١ .
(*) كذا في الأصل ، والصواب : يبقى .
(٥) من هدى القرآن : ج٤ : ص١٥٦ .

و ذكر أصحاب البلاغة كثيراً من المعاني التي يخرج اليها الإستفهام غير التي ذكرناها مثل : الافتخار ، التسوية ، التنبيه ، الاسترشاد ، الترجي ، العرض ، التجاهل ، الذم ، وغيرها ، لكن لم نجد أن السيد المدرسي قد تطرق إليها ، لذا لم نذكرها .

فمما تقدم نجد أن السيد المدرسي تارة يوافق البلاغيين وتارة يوافق المفسرين وتارة له رأي خاص وهذا ما وجدناه من خلال البحث في هذا الأسلوب البلاغي من أقسام الإنشاء ألا وهو [الاستفهام].

ثانياً / الأمـــــــر :

في اللغة : الامر على وجهين ، وجهٌ : هو ما كان جمعه أوامر ، والوجه الآخر : هو استدعاء الفعل من الأعلى إلى الأدنى (١) ، وهو نقيض النهي ، من أمره يأمره : القاء القول لغرض الحصول على الفعل(٢) .

في الإصطلاح : فقد ذكره البلاغيون القدماء وقالوا : هو طلب حدوث شيء لم يكن حاصلاً وقت الطلب على سبيل التكليف والإلزام من جهة عليا آمرة ، إلى جهة دنيا مأمورة ، وقد يخرج عن هذا الأصل فيُفيد معاني كثيرة ، يُرشد إليها السياق وقرائن الأحوال (٣) ، وخروج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معانٍ متعددة مجازية كان لابدَّ أن يخرِّجوها مخارج متنوعة ، حسب السياق التي ترد فيه ، ولو اكتفوا بالجزء الأول من التعريف لما احتيجَ لهذه الخروجات ، إذ لو كان التعريف هو : طلب حصول الفعل ، لكان الأمر أمراً بمعنى الطلب فقط . وقد ذكر ذلك أبو حيان ت(٧٤٥هـ) رغم أن أبا حيان لم يلتزم بتعريفه للأمر ، فقد تابع البلاغيين في الخروجات المجازية ، فيقول : الأمر ((طلب إيجاد الفعل))(٤) ، وهذا التعريف جامعٌ مانعٌ .

وذُكر الأمر عند النحويين أكثر منه عند البلاغيين ، فنجده عند سيبويه ت(١٧٩هـ) بجميع مفاصله ، إذ يذكر الأمر الحقيقي ، والأمر المجازي ، وخروجاته تحت باب أسماه ((باب الأمر والنهي))(٥)، ففي قوله : ((كُلْ خبزاً أو تمراً ، أي لا تجمعهما))(٦) ، فقد تنبه إلى أن الفعل [كُلْ] أفادت معنى التخيير : وهو أحد الأغراض المجازية التي يخرج إليها الأمر ، وفي مواضع أخرى ذكر أن افعالاً خرجت عن الأمر الحقيقي إلى أغراض أخرى مثل الإباحة والتسوية (٧) .

و ذكر أبو عبيدة ت(٢١٠هـ) الأمر وبعض أغراضه المجازية (٨) ، فيرى أنه يخرج عن صيغته الحقيقية وهي طلب حصول الفعل على وجه الإستعلاء ، واستشهد في قوله تعالى : ﴿ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُوْنَ﴾ [الروم (٣٤)] ، يرى إنه : ((مجاز التوعد والتهدد وليس بأمر طاعةٍ وفريضة))(٩) ، وهو بهذا أشار إلى خروج الأمر إلى صيغة أخرى وهي الوعيد والتهديد .

ونجد الأخفش (الأوسط)(ت ٢١٥هـ) ايضاً قد تنبه لهذه الأغراض التي يخرج اليها الأمر ففي

---

(١) يُنظر : تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي ت(٣٧٠هـ) ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، محمد فرح العقدة ، لا توجد معلومات أخرى للنشر : ج٥ : ص١٥٩ ، تاج العروس : ج١ : ص٢٤٦٣ ، المعجم القرآني : ج١ : ص٦١٧ .

(٢) يُنظر : كتاب العين : ج٨ : ص٢٩٧ ، ، مقاييس اللغة : ج١ : ص١٣٧ ، المفردات في غريب القرآن : ج١ : ص٤٧ ، لسان العرب مادة (أمر) : ج٤ : ص٢٦ .

(٣) يُنظر: الامالي الشجرية ، ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ) ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد ، الدكن ، ١٣٤٩هـ : ج١ : ص٦٨ ، مفتاح العلوم : ص٥٤٣ ، ٨٦، التلخيص في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط٢، ١٩٣٤م : ص١٦٨ ـ ١٦٩ ، معجم المصطلحات البلاغية : ج١ : ص١٣ .

(٤) البحر المحيط : ج١ : ص١٨١ .

(٥) الكتاب : ج١ : ص٨٧ .

(٦) المصدرنفسه : ج١ : ص٨٧ .

(٧) يُنظر : المصدر نفسه : ج١ : ص٨٧ ـ ٨٩ .

(٨) يُنظر : مجاز القرآن : ج١ : ص١٤٢ .

(٩) المصدر نفسه : ج٢ : ص١٢٢ .

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة(٣١)] ،ويرى الأخفش (الأوسط) : ((كما يقول الرجل للرجل: أنبئني بهذا ان كنت تعلم وهو يعلم أنه لا يعلم يريد أنه جاهل ..... ونحن نعلم أنه لا علم لنا بالغيب اخبار عن انفسهم بنحو ما خبر الله عنهم))(١) فالأمر خرج إلى التعجيز والإخبار عنده في هذه الآية .

وكذلك عند الفرَّاء ت(٢٠٧هـ) من قبل ، المعاني ذاتها (٢) ، وعند السكاكي ت(٦٢٦هـ) ، والقزويني ت(٧٣٩هـ)(٣) ، وغيرهم ، لكن أصحاب النحو أولوا الأمر عناية كبيرة اكثر من أهل البلاغة لأن الأمر أقرب الى النحو من البلاغة .

واختلف الأصوليون في كيفيته ـ أي الأمر ـ ، وملخص أقوالهم إن منشأ ظهور الأمر في الوجوب هو اما كونه بحكم الوضع أي : أن صيغة الأمر موضوعة للوجوب ، والدليل على ذلك هو التبادر ، بشهادة أن الامر العرفي إذا أمر المكلف بصيغة الأمر ولم يأتِ المكلف بالمأمور به معتذرا بأني لم أكن اعرف أن هذا واجب أو مستحب لا يُقبل منه العذر ويلام على تخلفه عن الامتثال وليس ذلك الا لإنسباق الوجوب عرفاً من اللفظ وتبادره (٤) ، الأمر يدل عندهم على مطلق الوجوب كونه يدل على مطلق أنواع الطلب ، وإن الوجوب هو من ابرز الأفراد ظهوراً فينصرف اليه المعنى الطلبي ، واذا كان الوجوب يستفاد منه حكم العقل بوجوب الطاعة للمولى وجب الانبعاث في قضاء الحق للعبودية ، بشرط ان لا يُرخص نفس المولى بالترك او يأذن له (٥) .

وللأمر صيغ أو صور يعرف بها هذا الأسلوب ، وهذه الصيغ كثيرة في القرآن الكريم ، تكاد تكون منتشرة في جميع سور القرآن الكريم ، وهذه الصيغ هي : ـ

١ـ فعل الأمر(٦) : وهي الصيغة التي يرد فيها من عنى الأمر بصيغة (إفْعَلْ) والفاعل فيه مستتر وجوباً تقديره (أنت)، مثل : أذهب ، قُمْ ، جالسْ ، قدِّمْ ، قِ ..... وغيرها ، وهذه الصيغ كثيرة في القرآن الكريم ، ومنها ما جاء في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم (٦)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((وبعد ان بين القرآن أن من الممكن للرسول " صلى الله عليه وآله " أن يجد في المجتمع

---

(١) معاني القرآن (الاخفش الاوسط) : ج١ : ص٥٧ .
(٢) معاني القرآن (للفرَّاء) : ج١ : ص٤٤١ .
(٣) يُنظر : مفتاح العلوم : ص٤٢٨ ، التلخيص : ص١٦٩ ، الإيضاح : ص١٤٥، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ج١ : ص٣١٣ ، البلاغة الاصطلاحية : ص١٥٢ ، من بلاغة القرآن : ص١٢٩ ، في فلسفة البلاغة العربية (علم المعاني) ، د. حلمي علي مرزوق ، لا توجد معلومات نشر في الكتاب سوى سنة الطبع ، ١٩٩٩م:ص٢٥٥ .
(٤) ينظر : دروس في علم الأصول ، السيد محمد باقر الصدر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٨م ، الحلقة الأولى :ص١١٥ . سورة الإسراء دراسة بلاغية ، (رسالة) ، فاضل ضايف سلطان ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠٧م : ص٦٣ ،
(٥) يُنظر : أصول الفقه ، الشيخ محمد رضا المظفر ، إسماعيليان ، ط١٠ ، ١٤٢١هـ :ص٦٢ ، دروس في علم الأصول ، السيد محمد باقر الصدر ، تحقيق : السيد علي حسن مطر ، مطبعة تارة ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، الحلقة الثالثة : ج١ : ص١٠٤.
(٦) يُنظر : المقتصد في شرح الإيضاح ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : د. كاظم بحر المرجان ، دار الرشيد للنشر، بغداد، د. ط ، ١٩٨٢م : ج١ : ص٨١ ، الكافي في البلاغة : ص٣٣١ ، البلاغة الاصطلاحية : ص١٥١ .

زوجات خيراً من زوجاته لو طلقهنَّ مُلوِّحاً لهنَّ بالطلاق لو لم يتُبنَ إلى الله أمر المؤمنين بتحمل المسؤولية الرسالية في إطار الأسرة ، إذ يجب السعي الحثيث لإنقاذ الإنسان نفسه وسائر أسرته من نار جهنم ، وهذه أعظم مسؤولية للمؤمن تجاه أهله))(١) ، فقد بين السيد المدرسي تأثير صيغة الفعل (قوا) على معنى الآية المباركة وما اضفاه من وجوب الوقاية التي وقعت على عاتق المؤمن بتحمله مسؤولية نفسه وأهله ، وهذا امر حقيقي كما يقول البلاغيون لأنه صادر من الأعلى رتبة إلى الأدنى (٢) .

٢ـ الفعل المضارع المقترن باللام :ـ وهي إحدى الصيغ التي يأتي الفعل بها بمعنى الأمر، مثل قوله تعالى : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ [قريش (٣)] ، يقول السيد المدرسي : ((فلأجل شكر نعمة إيلاف الله رحلة الشتاء والصيف لقريش عليهم أن يعبدوا رب هذا البيت ، الذي كان محور إيلافهم ووحدتهم وحضارتهم، وكما تفاعل المجتمع مع محور تقدمه وحضارته ، ومع أسباب رفاهه وغناه كلما كان ذلك سبباً لدوام نعم الله عليه وزيادتها وتناميها))(٣) ، فالأمر من الله واضح على قريش في شكر نعمة الله بعبادة رب البيت الذي أطعمهم في وقت الجوع وآمنهم من كل خوف .

٣ـ المصدر النائب عن الفعل :ـ ذكر البلاغيون هذه الصيغة التي يرد فيها المصدر ويراد منه الأمر٤)، ومنه قوله تعالى : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا . . . . ﴾ [الأنعام (١٥١)] ، يقول السيد المدرسي : ((المنطق المختلف جعل التسليم للوالدين واجباً شرعياً ، فكرس الروح العشائرية في النفوس ، بينما لا نجد في الإسلام سوى الأمر بالإحسان إلى الوالدين ، بل وجدنا بالعكس من ذلك تماماً، نهى الإسلام عن الإتباع الأعمى للآباء ، وهذا ما يجرنا اليه المنطق المختلف . وكما يجب التسليم لله والإحسان إلى الوالدين لا بدَّ أن تكون علاقة الإحسان هي العلاقة السائدة بين أبناء المجتمع))(٥) ، فالسيد المدرسي يرى أن التسليم المطلق للوالدين تسليم خارج المنطق السليم لأن القرآن الكريم أمر بالإحسان لهما فقط وليس التسليم ، وهذا منطلق قرآني صحيح .

٤ـ إسم فعل الأمر :ـ وهو أحد الصيغ التي يأتي بها أسلوب الأمر ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة(١٠٥)] ، يقول السيد المدرسي : ((إن الذي يضل الطريق يجب عليه أن يخشى على نفسه من السباع ، كما ان عليه أن يُقلد الذي اهتدى إلى الطريق وليس العكس))(٦) .

---

(١) من هدى القرآن : ج١١ : ص٩١ .
(٢) ينظر : مفتاح العلوم : ص٤٢٨ ، التلخيص : ص١٦٨ ، الإيضاح :ص١٤٥ ، حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي : ج١ : ص٣٦ .أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : ص٨٤ .
(٣) من هدى القرآن : ج١٢ : ص٣٦٥ .
(٤) يُنظر : البلاغة الاصطلاحية : ص١٥١ ، الكافي في البلاغة : ص٣٣١ ،فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، رجاء عيد ،مطبعة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، ط٢ ، د.ت : ص١٢٠ .
(٥) من هدى القرآن : ج٢ : ص٤٤٧ .
(٦) المصدر نفسه : ج٢ :ص٢٨٩ .

والفرق بين الأمر الحقيقي والأمر البلاغي أن ((الأمر الحقيقي هو طلب الفعل على سبيل الاستعلاء والإلزام ..... كقول الله تعالى مخاطباً [الرسول الأعظم] محمداً "صلى الله عليه [وآله] وسلم " : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ [التوبة (١٠٣)] ..... [أمَّا] الأمر البلاغي فإذا إختلَّ الشرطان ــ الاستعلاء والإلزام ــ السابقان كلاهما أو أحدهما لم تدل صيغ الأمر على معانيها الحقيقية وإنما تدل على معان بلاغية نهتدي إليها بذوقنا وبسياق الكلام وقرائن الأحوال))(١) .

الأغراض التي يخرج إليها الأمر :-

الأمر يخرج عن معناه الحقيقي إلى معانٍ مجازية بلاغية حاله في ذلك حال الإستفهام ، وذلك ((ليُثير الانتباه ، ويوقظ الذهن ، ويُعْمِل العقل ، ويأخذ المتلقي إلى ما وراء الظاهر ، ويُمتع النفس بالمشاركة الوجدانية بين المتكلم والسامع أو المتلقي ليُفيد))(٢) فائدة .

ومن الأغراض التي يخرج اليها الأمر هي :-

١ـ الدعاء :-

وقف السيد المدرسي على أسلوب الأمر الذي خرج إلى الدعاء كثيراً ، ومنه في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [يونس(٨٨)] ، يقول السيد المدرسي : ((بعد الفصل الإجتماعي بين الفئة المؤمنة والأغلبية الكافرة ، حانت المرحلة الثانية حيث دعا موسى ربه بأن يسلب من فرعون وملأه المفسدين ما أعطاهم من الثروة والسلطة .....))(٣) .

وقد تناول الفرَّاء ت(٢٠٧هـ) هذا المعنى في تفسيره لهذه الآية لغوياً فقال : ((ثُمَّ استأنف موسى بالدعاء عليهم فقال : ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ يقول : غيِّرها ، فذكر أنها صارت حجارة ..... وقوله : ﴿ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ يقول: إختم ، ... كل ذلك دعاء))(٤) ، وقد ذهب كل من الزمخشري ت(٥٣٨هـ) ، والبغوي ت(٥١٦هـ) (٥) إلى ذلك ، وقال محمد علي الصابوني في تفسير هذه الآية المباركة : ((دعاء عليهم ، أي أهلك أموالهم يا الله وبددها ﴿ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ أي قسِّ قلوبهم واطبع عليها حتى لا تنشرح بالإيمان))(٦) ، وبهذا أن السيد المدرسي وافق المفسرين واللغويين الذين سبقوه في خروج الأمر في هذه الآية إلى الدعاء .

---

(١) البلاغة الإصطلاحية : ص١٥٢ .
(٢) الكافي في البلاغة : ص٣٣٢ .
(٣) من هدى القرآن : ج٣ :ص٤٢٥ .
(٤) معاني القرآن للفرَّاء : ج١ : ص٤٧٧.
(٥) يُنظر : الكشاف : ج٢ :ص٢٥٠ ، تفسير البغوي ، المسمى (معالم التنزيل) الامام ابي محمد الحسين الفراء البغوي (ت٥١٦هـ) ، مطبوع على هامش تفسير الخازن ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ،مصر ، ط٢ ، ١٣٧٥هـ ــ ١٩٥٥ م : ج٣:ص٢٠٥ .
(٦) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م : ج١ : ص٥٩٥.

وفي قوله تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة (٦)] ، يقول السيد المدرسي : ((وهذا الدعاء دليل على أن الله لا يمنح الاستقامة إلا لمن يطلبها منه))(١) ، وقد ذهب البيضاوي ت(٦٨٥هـ) الى ذلك فيقول : ((والأمر والدعاء يشتركان لفظاً ومعنى ، ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل))(٢) ، فمن قول البيضاوي هذا نستشف أن الأمر والدعاء كلاهما واحد لكن يختلفان من خلال كيفيتهما ، فإذا كان من الأعلى الى الأدنى صار حقيقياً واذا كان العكس صار دعاءً فخرج عن حقيقته إلى المجازية البلاغية.

و يورد الشيخ زادة ت(٩٥٠هـ) أيضاً المعنى ذاته (٣) ، وكما نرى إنّ السيد كمال الحيدري يؤكد على وجوبية الدعاء للعبد ، أي لا بدَّ للعبد أن يدعو بعد أن عرف أن الهداية والاستعانة منحصرة بالله تعالى ، فيقول : ((فلا مناص للعبد من أن يدعو ربه الذي حصر عبادته واستعانته به))(٤) ، ففي قوله الوجوبية حتمية ، لأن العبد بحاجة إلى من يعينه والاستعانة محصورة به تعالى ، فالتفاوت بين رأي السيد المدرسي ورأي البيضاوي هو تفاوت من جهة الاستعلاء والتسفل كما يرى البيضاوي ، والحاجة عند السيد المدرسي ، فالسيد المدرسي يرى أن الدعاء هنا لحاجة الإنسان للهداية ، والبيضاوي يراه دعاء لأنه صادر من الأدنى رتبة إلى الأعلى لذلك خرج الأمر إلى الدعاء، ورأي السيد المدرسي أقرب للسياق . بينما نرى التفاوت بين رأي السيد المدرسي ورأي السيد كمال الحيدري هو تفاوت بين الوجوبية والاختيارية ، فالسيد المدرسي يرى أن حاجة الإنسان تدعوه للدعاء، والسيد الحيدري يرى أن الإنسان بعدما أعطاه الله من نعمه فوجب عليه أن يدعو ، وكلا الرأيين مقبولان لأنهما نابعان من السياق واليه . وهذه نماذج من خروج الأمر للدعاء هي للتمثيل لا للحصر لأنها كثير جدا في تفسير من هدى القرآن .

وكذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة(٢٨٦)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((وهذا الدعاء الأخير هو تطلع الأمة إلى المستقبل، هذا التطلع الذي يعتبر هدف الأمة المقدس الذي يتمحور حوله كل أبنائها))(٥) ، فقد أشار السيد المدرسي إلى خروج الأمر في هذه الآية المباركة عن معناه الحقيقي إلى الدعاء ، وكانت إشارته مباشرة في إيراده المعنى ، وان السر التعبيري بإسلوب الأمر في مقام الدعاء هو إظهار كمال الخضوع لله تعالى وبيان شدة الرغبة في تحقيق تلك الأفعال .

وقد ذهب الفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) إلى هذا المعنى ، وذلك في تفسيره الآية المباركة ، فقال:((.... وأما هذا الدعاء الرابع ، فقد حذف منه لفظ (ربنا) وظاهره يدل على طلب الفعل ...))(٦) ، وكذلك ذهب السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) إلى هذا المعنى أيضاً (٧) ، فقد وافق السيد المدرسي الفخرَ الرازي والسيد الطباطبائي في أن الأمر في هذه الآية خرج إلى معنى الدعاء .

---

(١) من هدى القرآن : ج١ :ص١٤٥ .
(٢) تفسير البيضاوي : ج١ : ص١٥ .
(٣) يُنظر : حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي : ج١ :ص٣٦ .
(٤) اللباب في تفسير الكتاب ، السيد كمال الحيدري ، دار فراقد ، قم ، ايران ، ط١ ، ٢٠١٠م :ج١:ص٣٤٧ .
(٥) من هدى القرآن : ج١ : ص٣٦٤ .
(٦) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ج٧ : ص١٦٢ .
(٧) يُنظر : الميزان في تفسير القرآن : ج٢ : ص٤٣١ .

٢ـ التهديد :ـ

هو أحد الأغراض التي يخرج إليها الأمر عن معناه الحقيقي ، وقد ذكره معظم البلاغيين والمفسرين ، كما قال ابن قتيبة ت(٢٧٦ هـ) : ((ومنه أن يأتي على لفظ الأمر وهو تهديد))(١) ، ففي قوله تعالى : ﴿.... اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام(١٣٥)] ، يقول السيد المدرسي : ((وينذر الله الظالمين حين يقول : إن للحرية الممنوحة لكم والقدرات المخولة لكم ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ أي بقدر قوتكم ومكانتكم " إِنِّي عَامِلٌ " فهناك خطان من العمل ينتهيان عند العاقبة ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أي من سيسكن بالتالي في دار السعادة . ولكن مجرد التفكير في العاقبة يهدي البشر إلى الحقيقة . إذ معلوم لمن تكون العاقبة))(٢).

وقد ذهب البيضاوي ت(٦٨٥هـ) إلى هذا المعنى في تفسيره لهذه الآية المباركة فيقول : ((﴿اعْمَلُوا﴾ أمر تهديد ...))(٣) ، فقد وافق السيد المدرسي البيضاوي في هذا المعنى ، فالمراد من فعل الأمر ليس الحقيقة وانما التهديد .

وفي قوله تعالى : ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل (٥٥)] ، يقول السيد المدرسي :

((إن ذلك كفر بنعم الله التي وهبها الله لنا ، والشكر هو الذي يدعم النعم ، أما الكفر بها فصاحبه ينتظر اليوم الأسود ، فإنَّ المتعة اليوم ، تستتبع ندماً طويلاً))(٤) ، وقد أورد الفرَّاء ت(٢٠٧هـ) معنى التمتع هنا ليس المراد به الأمر وإنما التهديد (٥) ، كما ذهب إلى ذلك محمد علي الصابوني فيقول : ((أمر للتهديد أي تمتع بهذه الدنيا الفانية ، وتلذذ بها وانت على كفرك ، عمرا قليلا وزمناً يسيراً ..))(٦) ، كذلك ذهب القرطبي ت(٦٧١ هـ)، والبيضاوي ت(٦٨٥هـ) ، والسيوطي ت(٩١١هـ) من قبل إلى أن الأمر في هذه الآية خرج للتهديد (٧) ، بينما ذهب ابن فارس ت(٣٩٥هـ)وابن الشجري ت (٥٤٢هـ) إلى أنها خرجت للوعيد (٨) ، والوعيد ليس ببعيد عن التهديد فهو يحل المعنى القريب جدا منه ، فالوعيد يُرجئ العقوبة إلى أجل ، والتهديد يلوِّح بها . فقد وافق السيد المدرسي المفسرين في أن هذه الآية خرجت من الأمر إلى التهديد .

---

(١) تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ت(٢٧٦ هـ)، حققه وشرحه ونشره : السيد احمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، بيروت ، د٠ت : ص٢١٦ .
(٢) من هدى القرآن : ج٢ :ص٤٢٥ ـ ٤٢٦ .
(٣) تفسير البيضاوي : ج٢ :ص٥٢ .
(٤) من هدى القرآن : ج٤ : ص٣٣٨.
(٥) يُنظر : معاني القرآن للفراء : ج٢ : ص٤١٦ .
(٦) صفوة التفاسير : ج٣ : ص٧٢ .
(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن : ج١٠: ص١١٥ ، وتفسير البيضاوي : ج٢: ص٣٢١ ، وتفسير الجلالين : ص٢٧٣ ، ومعترك الأقران : ج٣: ص٥٦.
(٨) يُنظر : ينظر الصاحبي : ص١٨٥ ، ٢٦.الامالي الشجرية ، ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ) ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد ، الدكن ، ١٣٤٩هـ: ج١: ص٢٦٩ .

٣ـ الإستهزاء :ـ

قد يخرج الامر عن معناه الحقيقي فيراد به الإستهزاء ، كما في قوله تعالى : ﴿ عَجِّلْ لَّنَا قِطَّنَا ﴾ [ص(١٦)] ، يقول السيد المدرسي : ((قال بعض المفسرين (*) : إنَّ معنى قِط النصيب وإنهم أرادوا نصيبهم من الجنة (لا العذاب) استهزاء وسخرية وإنهم كذبوا بذلك بثالث الأصول الدينية (المعاد) بعد إن كذبوا بأولها (التوحيد) ..... وكذبوا بالثاني (النبوة) ... وسواء هذا أو ذاك ، فإن الله لم يستجب لأهوائهم ، بل ضرب مثلاً من واقع داود " عليه السلام " الذي جعل الله له جزاءه في الدنيا (وقطه) دون أن ينقص من أجره في الآخرة شيء))(١) ، الإختلاف بين المفسرين كان هل أرادوا تعجيل العذاب ؟؟ لأنهم كانوا يسخرون من قدرة الله وقوته ، أم تعجيل نصيبهم من الجنة ؟؟ لأنهم يسخرون من وعد الله. لكنهم متفقون على أن (القِط) يعني : الحظ ، وهذه موافقة واضحة من السيد المدرسي للمفسرين على أن الأمر خرج للإستهزاء فلم نجد منه معارضة لأحد منهم ، فالأمر هنا خرج للإستهزاء .

٤ـ الإستدراج :ـ

بعض الأحيان يُلقى الأمر والمراد منه الاستدراج ، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ [مريم (٧٥)] ،يقول السيد المدرسي : ((إنّ الله يمد في ضلالة الإنسان الضال ، بإمداده بالنعم، حتى يفقد الأمل في العودة إلى الهداية ، آنئذٍ يأخذه مرة واحدة أخذَ عزيزٍ مقتدر ...))(٢) ، فقد كان الإمداد بمعنى ان الله يخبرهم أنه سيمدد لهم ما يُريدون لكن سوف يخسرون في النهاية .

وقد ذهب البيضاوي ت(٦٨٥هـ) في تفسيره لهذه الآية إلى المعنى ذاته فيقول : ((فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وإنما اخرجه على لفظ الأمر إيذاناً بأن إهماله مما ينبغي أن يفعله استدراجاً وقطعا لمعاذيره))(٣) كما يورد أبو حيان ت(٧٤٥هـ) المعنى ذاته (٤) ،اذ وافق السيد المدرسي البيضاوي وأبا حيان في أن الأمر في هذه الآية خرج للخبر وبالتالي فالآية المباركة ورد الخبر فيها بصيغة الأمر .

٥ـ الإهانة والتوبيخ :ـ

من الأغراض التي يخرج إليها الأمر من معناه الحقيقي إلى الإهانة وذلك يعرف من خلال السياق، وهذا كثير في القرآن الكريم في مخاطبات الله تعالى للجبابرة والطغاة ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾[الدخان(٤٨ـ٤٩)] ،يقول السيد المدرسي:

(*) منهم الفرَّاء ، ينظر : معاني القرآن : ج٢ : ص٤٠٠ ، والواحدي ، يُنظر: التفسير البسيط : ج١٩ : ص١٦٧ـ١٦٨، وأبو حيان الأندلسي ، يُنظر : البحر المحيط : ج٧ : ص٣٧٢، وغيرهم .

(١) من هدى القرآن : ج٨ : ص٨٨ .

(٢) من هدى القرآن : ج٥ : ص١٥٩ .

(٣) تفسير البيضاوي : ج٣ : ص٦٢ .

(٤) يُنظر : البحر المحيط : ج٦ : ص١٩٩ .

((بعد سحب كل واحد منهم إلى سواء الجحيم ، يأمر الله ملائكة العذاب بإهانته مادياً [يعني فرعون] ، يُصب العذاب على رأسه ، وهو أكرم موضع لدى الإنسان ، ومعنوياً بالكلمات الجارحة ، وهذا جزاء الإستكبار في الدنيا على الحق والمؤمنين ﴿ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴾ وحيث الدلالة في (من) تنصرف للتبعيض ، تدل الآية على ان العذاب لا يُصبُّ مرة واحدة ، وإنما مرات ومرات بلا إنقطاع ، مبالغة في الإيذاء ، وهل ينتهي الأمر إلى هذا الحد وحسب ؟ .. كلا إنما يُهان بالكلام أيضاً فيُقال له : ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾))(١) ، فالأمر انصرف للإهانة عن معناه الحقيقي فلا يُراد منه الطلب وإنما أريد منه بيان إهانته .

وقد ذهب الفرَّاء ت(٢٠٧هـ) إلى ان الأمر هنا للتوبيخ في قوله : ((فمعناه ـ فيما نرى والله أعلم ـ أنه توبيخ ، أي ذُق فانك كريم كما زعمتَ ولستَ كذلك))(٢) .

ووجدنا عند القرطبي ت(٦٧١ هـ)والقزويني ت(٧٣٩هـ) والسيوطي ت(٩١١هـ)أنها إهانة له(٣).

في حين عند البيضاوي ت(٦٨٥هـ) والزركشي ت(٧٩٤هـ)خرج الأمر فيها إلى الإستهزاء(٤).

لكن الإهانة أقرب للسياق ، لأنه كان يدعي الألوهية والكرم والعلو ، فكَسْرُ مهابته أجدى وأجدر من الإستهزاء به ، وما ذهب إليه السيد المدرسي والقرطبي والقزويني والسيوطي على أنها للإهانة أقرب .

٦ـ الاستحقاق :

قد يخرج الأمر عن معناه إلى الاستحقاق في القرآن الكريم ، وقد عرض السيد المدرسي إلى بيانه في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأحقاف (٣٤)] ، يقول السيد المدرسي : ((هكذا من يُكذب بالآخرة لا يدرأ عن نفسه عذابها ، بل يزداد إثماً بتكذيبه واستحقاقاً للعذاب أكثر فأكثر))(٥) .لكن الشيخ زادة ت(٩٥٠هـ) ذهب إلى ان الأمر في هذه الآية خرج للإهانة والتوبيخ لا للاستحقاق وذلك في قوله : ((والأمر ههنا ليس للتكليف بل هو للإهانة والتوبيخ والظاهر أن صيغة الأمر لا دخل لها بالتوبيخ بل هو مستعار من قوله [تعالى] ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ إلا ان الإهانة الواقعة بصيغة الأمر لما كانت مسببة من كفرهم المستوجب للتوبيخ كان التوبيخ مستفاداً من الأمر أيضاً))(٦) ، ويبدو أن الإهانة أقرب للسياق ، لأن سؤال الله تعالى لهم وجوابهم لله تعالى كان يستحق الجزاء فأمر الله تعالى بإهانتهم ، وهذا من البديهيات أن السائل لما يسأل ويُجاب فسوف يجازي ولو بكلمة وقد استحقوا الإهانة من الله .

---

(١) من هدى القرآن : ج٩ : ص١١١ .
(٢) معاني القرآن للفرَّاء : ج٣ : ص٤٤ .
(٣) يُنظر : الجامع لأحكام القرآن : ج١٦ : ص١٥١ ، الإيضاح : ج١ :ص١٤٤ ، الإتقان : ج٣ : ص٢٤٢ .
(٤) يُنظر : تفسير البيضاوي : ج٢ : ص٣٨٤ ، البرهان في علوم القرآن : ج٢ : ص١٢٢ .
(٥) من هدى القرآن : ج٩ : ص١٩٥ .
(٦) حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي : ج٤ : ص٣٤٢ .

٧ـ التـخـيـير :

احد الخروجات البلاغية التي يخرج اليها الأمر عن معناه الحقيقي ، ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً .... ﴾ [التوبة (٨٠)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((وقد كان استغفار الرسول " صلى الله عليه وآله وسلم " معلقاً في الواقع على شرط التوبة وفي الظاهر هو تأليف للقلوب ، وفي هذه الآية تخيير للنبي " صلى الله عليه وآله " وقطع أمل المنافقين بفائدة الاستغفار لهم لعدم توبتهم ، ثم ورد النهي بعد ذلك))(١) ، فيرى السيد المدرسي أن الأمر خرج للتخيير. بينما يرى الفرَّاء ت(٢٠٧هـ) خروجه للجزاء ، فيقول : ((ليس بأمر انما هو على تأويل الجزاء)) (٢) . والأخفش ت(٢١٥هـ) والزمخشري ت(٥٣٨هـ) يرون أن الأمر هنا خرج لمعنى الخبر والشرط (٣) . والسكاكي ت(٦٢٦هـ) يرى أن الامر هنا جاء بمعنى الإباحة (٤) .

لكنّ الطبري ت(٣١٠هـ) بعد إن يستعرض المعاني التي أوردها المفسرون ـ وهو الأصل فيها ـ، فيرى أنها جاءت بمعنى التخيير (٥)، وقد أيد السيد المدرسي الطبري في رأيه ، فأنها للتخيير لا للخبر أو الشرط أو التسوية ، فهذه المعاني لا يمكن إيرادها لمكانة رسول الله عند الله تعالى ، لأن الخبر يوحي أنك يا رسول الله استغفارك هذا ليس له مكانة عندي ، والتسوية توحي أن استغفاره وعدمه سواء ، بينما التخيير يوحي بعدم الزام رسول الله بالاستغفار وعدمه ، لأن مكانة رسول الله عند الله كبيرة ، فهو افضل الوجودات على الإطلاق لذلك تفيد التخيير أقرب إلى السياق من غيره .

٨ـ الترجي :

أحد خروجات الأمر عن معناه الحقيقي هو خروجه إلى معنى الترجي كما أشار اليه السيد المدرسي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ [الجمعة(١٠)] ، يقول السيد المدرسي : ((أي إنكم حينئذٍ في موضع يُرتجى فيه الفضل والرزق أو تجدون أنفسكم أمام فضل من الله تصيبون منه رزقكم))(٦) ، فيرى السيد المدرسي أن الفعل ﴿ وَابْتَغُوا ﴾ أفاد الترجي ، ويرى أن الفعل ﴿ فَانْتَشِرُوا ﴾ كان حقيقياً أراد الله منه الطلب الحقيقي وذلك في قوله : ((ولذا نجد القرآن فور ما يأمر بالسعي إلى صلاة الجمعة يأمر بالانتشار لممارسة الحياة الطبيعية وبلوغ المآرب والأهداف ، والحصول على الرزق ولقمة العيش)) (٧) ، فالأمر هنا حقيقي وليس خارجاً عن حقيقته بالطلب . بينما يرى الفرَّاء ت(٢٠٧هـ) والزمخشري ت(٥٣٨هـ) والبيضاوي ت(٦٨٥هـ) وأبو حيان

---

(١) من هدى القرآن : ج٣ : ص٣٠٢ .
(٢) معاني القرآن للفرَّاء : ج١ : ص٤٤١ .
(٣) يُنظر : معاني القرآن للأخفش : ج١ : ص٢٨ ـ٢٩ ، الكشاف : ج٢ : ص٢٠٤ ـ ٢٠٥ ، وكذلك في حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي : ج٢ : ص٣٤٤ ـ٣٤٥ .
(٤) يُنظر : مفتاح العلوم : ٥٥٣ .
(٥) يُنظر : الجامع لأحكام القرآن : ج٨ : ص٢١٩ ـ ٢٢٠ .
(٦) من هذى القرآن : ج١٠ : ص٤٧٣ .
(٧) المصدر نفسه : ج١٠ : ص٤٧٢ .

ت(٧٤٥هـ) أنها أفادت الإباحة (١) ، لكن الحقيقة فيها أقرب من المجازية ، فقد تنبه السيد المدرسي إلى حقيقة الأمر ههنا لطبيعة احتياج الإنسان في الحصول على الرزق ، ولو كانت تفيد الإباحة لأفادت الانتشار ، ولزوم المسجد بعد الصلاة وهذا سوف يؤدي إلى تعطيل أشياء كثيرة ، لذا فهنا تفيد الأمرية الحقيقية ولم تخرج للمجاز . وابن فارس ت(٣٩٥هـ) يرى أنها خرجت لمعنى الندب (٢) . وما ذكرناه أقرب للصواب فهي أمر حقيقي لا مجازي .

٩ـ التعجيز : من الأغراض التي يخرج اليها الأمر هو التعجيز ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة(٢٣)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها بعد أن يطرح سؤالاً كيف نعبد الله فيُجيب قائلاً : ((بإتباع الرسل ، وهذا الرسول بالذات الذي جاء بمعجزة القرآن . ويسألنا : هل تستطيعون أن تأتوا بمثله ؟! ، والإعجاز دليل الصدق . إذن يجب اتباعه لأن اتباعه تجسيد لعبادة الله))(٣). اذ بين السيد المدرسي بمعناها هنا وهو التعجيز.

وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ ﴾ [الأعراف (١٩٥)] ، يقول السيد المدرسي : ((أي ثمَّ اعملوا جميعاً ضدي وضد خُططي ولا تمهلوني، وهذا تحدٍ صارخ لها ، ليعرف الجميع أنها أضعف من المقاومة فيتركونها ...))(٤) ، اذ يرى أن الفعل أفاد التعجيز لهذه الأصنام حيث ليس فيها من القوة شيء فهي عاجزة عن الدفاع عن نفسها فكيف تحميكم ؟ . ، وقد ذهب أبو حيان ت(٧٤٥هـ) في تفسيرها إلى هذا المعنى ، فيقول: ((أمر تعجيز . أي : لا يمكن أن يقع منكم دعاء لأصنامكم ، ولا كيد لي))(٥) ، فأفاد الأمر هنا التعجيز كما جاء عند السيد المدرسي وأبي حيان .

١٠ـ التسلية : يأتي الأمر في بعض السياقات القرآنية للتسلية ، كما جاء تسلية للرسول الكريم في قوله تعالى : ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر(٣٨)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((فالله يكفيني، وعليه توكلي. وهذه تسلية للرسول ومن يحمل رسالة ربه ألا يهن أو يخاف من الكفار وممن يدعون من دونه))(٦) ، فقد تنبه السيد المدرسي إلى معنى الأمر في هذه الآية المباركة ، وقد خرجت عن معناها الحقيقي إلى التسلية .

ولم يُشر الواحدي ت(٤٦٨هـ) والزمخشري ت(٥٣٨هـ) وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) والسيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) إلى معنى الامر ههنا (٧) ، مما يتضح أنه خاص بالسيد المدرسي وهذا ينم عن استقرائه الدقيق للآيات المباركة ولم يغفل عن لفظ في السياق .

---

(١) يُنظر : معاني القرآن للفرَّاء : ج٣ : ص١٥٧ ، الكشاف : ج٤:ص١٠٦ ، تفسير البيضاوي :ج٢:ص٤٩٣ ، البحر المحيط : ج١:ص٣٠٦ .
(٢) يُنظر : الصاحبي : ص١٨٥ .
(٣) من هدى القرآن : ج١ : ص١٦٤ .
(٤) المصدر نفسه : ج٣ : ص١٥٥ .
(٥) البحر المحيط : ج٤ : ص٤٤١ .
(٦) من هدى القرآن : ج٨ : ص١٦٩ .
(٧) يُنظر : التفسير البسيط : ج١٩ : ص٣١١ ، الكشاف : ج٥ : ص٣٠٧ ، البحر المحيط : ج٧ : ص٤١٣ ، الميزان في تفسير القرآن : ج١٧ : ص٢٤٣ .

١١ـ الإستهزاء : ـ

من الأغراض المجازية التي خرج اليها الأمر ، ولكن المراد منها غير الامر الحقيقي وهو: الإستهزاء ، كأن يراد منه ـ والله اعلم ـ إظهار ضعف الناس أمام الخالق العظيم ، ففي قوله تعالى:﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾{ الدخان (٤٩)} ، يقول السيد المدرسي : ((المعروف عند المفسرين(*):"ان ذلك اهانة واستهزاء إلى جانب العذاب المادي ، وهو نظير لإكرام الله المؤمنين في الجنة بالسلام عليهم إضافة لنعيمها " ... وهذا تفسير صواب ، ولكن يبدو لي تفسير آخر للآية وهو : إنَّ الله لم يخلق الإنسان ليُلاقي هذا المصير السيء ، وإنما خلقه ليرحمه فيعيش كريما معززا، ولكنه اختار هذا المصير ، واشتراه بعمله السيء ، اذ لم يستطع الإستقامة على الفطرة والصبر على الحق ، والآية جاءت تذكيرا لهذه الحقيقة))(١) ، فهذه الآية هي للإستهزاء به بسبب ما جنته يداه ، فالسيد المدرسي وافق المفسرين على أن هذه الآية للإستهزاء به وأزاد أنها جاءت لبيان رحمة الله أيضاً .

وهناك كثير من الخروجات في أسلوب الأمر لكن لم يذكرها السيد المدرسي في تفسيره ، منها: الحث ، الوعد ، الوعيد ، التنبيه ، التبكيت ، الإباحة ، وغيرها .

(*) منهم الزمخشري ، يُنظر : الكشاف : ج٣: ص١٠٠ ، والقرطبي ، يُنظر : الجامع لاحكام القرآن : ج٩ :ص٧٨ ، والسيد الطباطبائي ، يُنظر : الميزان في تفسير القرآن : ج١٨ : ص١٥١.

(١) من هدى القرآن : ج٩ : ص١١١.

ثالثاً / أسلوب الـنـــهـــي: -

في اللغة : ((النون والهاء والياء أصل صحيح يدل على غاية وبُلوغ ، ومنه أنهيتُ إليه الخبر: بلَّغتُه ، ونهايةُ كلِّ شيء : غايتُه ، ومنه : نهيتُه عنه ، وذلك لأمر يفعله ، فإذا نهيته فتنتهى عنك ؛ فتلك غاية ما كان ..... والنُّهية : العقل ؛ لأنه ينهى عن قبيح الفعل ، والجمعُ : نُهى))(١) ، والنهي خلاف الأمر فهو طلب أيضاً لكن بعكس طلب الأمر ، إذ هو طلب الكف عن الفعل والزجر عنه (٢) .

في الإصطلاح : هو أحد الأساليب الإنشائية الطلبية الذي يفيد الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء ودلالته المنع (٣) ((لأن الأصل هو ترك الفعل وعدم التلبس به))(٤) .

وقد ذكر النهيَ غيرُ واحدٍ من القدماء ، فقد ذكره سيبويه تحت باب أسماه [الأمر والنهي] مع اداته (لا) الناهية اذ من الممكن أن تستعمل لغرض الدعاء (٥) ،وكذلك عند الفرَّاء والسكاكي والقزويني والشريف الجرجاني والسيوطي وغيرهم من القدماء (٦) . وقد اشترط العلماء في اسلوب النهي كما اشترطوا في اسلوب الأمر إذ لا بدَّ من أن يكون صادراً من الأعلى إلى الأدنى ، وبهذا يحتمل الوجوب والتحريم (٧) ، وإذا خالف السياق الشرط المذكور أصبح مجازاً يُراد به غير النهي الحقيقي ، لذا ورد النهي بصيغ مختلفة استنبطها العلماء من خلال السياق .

*** صور النهي :** للنهي صيغة واحدة أو صورة واحدة لا يأتي بغيرها وهي (لا) الناهية التي تدخل على الفعل المضارع حصراً ، ولها ان تدخل على غائب ومخاطب ، مثل : لا يقمْ زيدٌ ، ولا تقمْ يا رجل(٨) ، وتكون (لا) الناهية جازمة للفعل الداخلة عليه ، ((ومع ذلك تعلق به آثار مباحث الأصوليين والمتكلمين عند البلاغيين، فيقولون إنَّ النهي هو طلب الكف أو الترك ،لأنَّ الأشاعرة(*) يقولون : إنَّ مقتضى النهي هو كف النفس عن الفعل بالاشتغال بأحد اضداده ، والمعتزلة (**) يقولون : إنَّ النهي ترك الفعل))(٩) ، وهذا الجدل الذي كان دائراً بين المذاهب عقيم لا فائدة منه .

---

(١) معجم مقاييس اللغة : ج٥ : ص٣٥٩ ـ٣٦٠ .
(٢) يُنظر :المعجم القرآني : ج٣ : ص٦١٦.
(٣) يُنظر : الأمالي الشجرية : ج١ : ص٢٧١ ، مفتاح العلوم : ٥٤٥ ، الإيضاح : ج١ :ص١٤٥ .
(٤) أنماط التركيب القرآني ، (رسالة) ، ص١٣٩ .
(٥) يُنظر الكتاب : ج١ : ص٨٧ ـ ٩٠ .
(٦) يُنظر : معاني القرآن للفرَّاء : ج١ : ص٢٦٤ ، مفتاح العلوم : ص٥٤٥ ، الإيضاح : ج١ : ص١٤٥ ، التعريفات:ص٣١٦ ، الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م : ج٣ : ص٢٤٣ .
(٧) يُنظر : أصول الفقه : ص٩٦ .
(٨) يُنظر : أنماط التركيب القرآني ، (رسالة) : ص١٣٩ .
(*) الأشاعرة : هي احدى الفرق الإسلامية التي ولدت من رحم الاعتزال بعد فتنة خلق القرآن ، وابرز علمائها أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري الذي ينحدر من نسل ابي موسى الأشعري ، يُنظر : فهم الخطاب القرآني بين الإمامية والأشاعرة ، د. صباح عيدان حمود العبادي ، الفيحاء للطباعة والنشر ، البصرة ، ط١ ، ٢٠١٣م : ص٣٥ .
(**) المعتزلة : احدى الفرق الإسلامية التي ذاع صيتها في بدايات العهد العباسي ، وابرز علمائها : أبو عثمان الجاحظ ، الشيخ أبو علي الجبائي الذي أشعل فتنة خلق القرآن ومن ثَمَّ ترك الإعتزال وانتقل الى المذهب الأشعري ، وإبن أبي الحديد المعتزلي شارح نهج البلاغة ، وغيرهم ، يُنظر : كتاب الفهرست ، أبو الفرج محمد بن ابي يعقوب (الوراق) ، تحقيق : رضا تجدد بن علي بن زين العابدين المازندراني ، لا يوجد معلومات نشر ، طهران ،١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م : ص٢٣١ ، الأعلام ، للزركشي : ج٤ : ص٢٦٣ .
(٩) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور : ص١٢٢.

الأغراض التى يخرج إليها النهى :

كما ذكرنا أن سيبويه ت(١٧٩هـ) تنبه لهذه الأغراض في كتابه لكن لم يقم بتقسيمها وإنما أشار إليها إشارة ، ولكنَّ السكاكي ت(٦٢٦هـ) قسمها تقسيما وافياً في قوله : ((إن استُعمل على سبيل التضرع كقول المبتهل الى الله : لا تكلني إلى نفسي ، سمي دعاء ، وإن استعمل في حق المساوي الرتبة لا على سبيل الاستعلاء ، سمي التماساً ، وإن استعمل في حق المستأذن سُمي إباحة ، وإن استعمل في مقام تسخط الترك سمي تهديداً))(١) ، وقد وجدنا أغراضاً أخرى عند البلاغيين سوف نذكرها ان شاء الله .

١ـ الأمر :

ذكر أصحاب البلاغة والتفسير هذا الغرض الذي يخرج اليه النهي عن معناه الحقيقي ، ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة(١٣٢)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((... وجعل هذا الدين هو الإسلام لله وإخلاص العبودية ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ إذ قد يسلم الإنسان فترة من الوقت ولكنه ينهار أمام مطارق الشرك والكفر فيأتيه الموت وهو كافر ، إسلامه ضعيف لا ينفعه في الدنيا ولا في الآخرة إنَّما على الإنسان أن يبقى مسلماً في كل مراحل حياته حتى لو أدركه الموت غفلة يكون قد استعد للقاء ربه ولا يُفاجأ بالعذاب الأليم))(٢) ، فالنهي ههنا حمل معنى الأمر عند السيد المدرسي بمعنى : موتوا وأنتم مسلمون ، والزمخشري ت(٥٣٨هـ) أورد المعنى ذاته من ان النهي هنا أُريد منه الأمر في الثبات على الإسلام (٣) وذهب البيضاوي ت(٦٨٥هـ) إلى هذا المعنى ايضاً في تفسيره فيقول : ((النهي عن الموت على خلاف حال الإسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على خلاف تلك الحال إذا ماتوا والأمر بالثبات على الإسلام كقولك لا تصل إلا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على إنَّ موتهم لا على الإسلام موت لا خير فيه ، وإنَّ من حقه أن لا يحل بهم ونظيره في الأمر مُتْ وأنت شهيد))(٤) ، وكذلك ذهب أبو حيان ت(٧٤٥هـ) في تفسيره أن النهي هنا يراد به امر الثبوت على الإسلام (٥) ، وكذلك ما جاء في تفسير ابن كثير ت(٧٧٤هـ) أن المعنى ((الزموا هذا ليرزقكم الله الثبات عليه))(٦) ، فالسيد المدرسي وافق المفسرين الذين سبقوه في أن الآية المراد منها ليس النهي الحقيقي وهو الكف عن الفعل ، وانما بمعنى اسلموا والزموا اسلامكم ولما يتوفاكم الله يتوفاكم مسلمين ثابتين على دينكم واسلامكم . والبحث يوافق ما ذهبوا اليه علماء التفسير ، فالنهي يراد منه الأمر والإلزام .

---

(١) مفتاح العلوم : ص١٣٧ .
(٢) من هدى القرآن : ج١ : ص٢٤١ .
(٣) يُنظر : الكشاف : ج١ : ص١٢٩
(٤) تفسير البيضاوي : ج١ : ص١٤٣ـ١٤٤ .
(٥) يُنظر : البحر المحيط : ج١ : ص٥٧١ .
(٦) تفسير القرآن العظيم : ج١ : ص١٠٠ .

٢ـ التنبيه : وهو أحد الأغراض البلاغية التي يخرج إليها النهي ، مثل ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ [الإسراء (١١٠)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((ولعل الآية تشير إلى فكرة هامة هي أنه لا ينبغي الصراخ في الصلاة لأن الصراخ ليس من آداب الدعاء ولا يجوز الإخفات إلى درجة بعيدة ، صحيح أن الله بعيد عنك بعلوه وجلاله إلا انه قريب منك بلطفه وعلمه ، وكما جاء في الدعاء **"الذي بَعدَ فلا يُرى وقرب فشهد النجوى"**(*) ولذلك شرع في الصلوات الإخفات في الصلاة النهارية، والجهر في الصلاة الليلية))(١)، فالنهي ههنا جاء للتنبيه ولا يترتب عليه العقوبة ، وقد ذهب الثعلبي ت(٤٢٧هـ)إلى معنى التنبيه في النهي الوارد في هذه الآية المباركة ، فهو أيضا يرى فيها التنبيه (٢)وكذلك الفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) في تفسيره لهذه الآية بعد أن يذكر أقوال وروايات يتوصل إلى ان النهي هنا للتنبيه (٣)، ولا يخرج ابن كثير ت(٧٧٤هـ) في تفسيره لهذه الآية عن كونها للتنبيه(٤).

لكن ابن عطية ت(٥٤٦هـ) يرى أن النهي هنا خرج للأمر بالترك وذلك في قوله : ((أمر رسول الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم " أن لا يجهر بصلاته ، ولا يُخافت بها ، وهو الإسرارُ الذي يسمعه المتكلم به))(٥) ، وهذا الرأي لا يمكن الاعتماد عليه لأنه لو كان للأمر لوجب الحرمة ، وهذا ما تنبه له السيد المدرسي وعلماء التفسير الذين سبقوه ، فالآية للتنبيه لا للأمر ، وقد خرجه أحد الباحثين تخريجا رائعاً في قوله : ((فهو أمر ارشادي ، ولذلك شُرع في الصلوات كما جاء في الروايات الإخفات في الصلوات النهارية ، والجهر في الصلوات الليلية .... انما هي ارشاد لهذه الوسطية في كيفية الجهر والإخفات)) (٦) ، لكن كلمة أمر توحي إلى الإلزام وهذا ما لا يشير اليه السياق ، فالإرشاد والتنبيه أقرب من الأمر ، فمن الممكن يراد منها الإرشاد مع التنبيه .

٣ـ الدعاء : أكثر الأساليب الإنشائية فيها خروج للدعاء ، والنهي أحدها جاء في صيغة دعاء في القرآن الكريم كثيراً ، منه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة (٢٨٦)] ، يقول السيد المدرسي في تفسرها: ((.... من هنا جاء تعبير القرآن عن رفع مسؤولية الخطأ والنسيان بصورة دعاء. في حين كان التعبير

(*) مصباح الكفعمي ، تقي الدين إبراهيم بن علي بن محمد العاملي ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥ م : ص٥٧٨ ، يُنظر : رفيق الصالحين : ص٢٥٧ ، من دعاء الافتتاح .

(١) من هدى القران : ج٤:ص٤٩٨ .

(٢) يُنظر : الكشف والبيان (تفسير الثعلبي) ، الهمّام أبو إسحاق الثعلبي ت(٤٢٧هـ) ، تحقيق: أبو محمد بن عاشور ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م : ج٦ : ص١٤١ .

(٣) يُنظر : التفسير الكبير (مفاتح الغيب) : ج٢١ : ص٧٢ ـ ٧٤ .

(٤) يُنظر : تفسير القرآن العظيم : ج٩ : ص٩٣ .

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي ت(٥٤٦هـ) ، تحقيق : الرحّالة الفاروق ، عبد العال السيد إبراهيم ، وآخرون ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، ط٢ ، ٢٠٠٧ م : ج٥ : ص٥٥٨ .

(٦) سورة الإسراء دراسة بلاغية دلالية ، (رسالة) : ص٦٩ .

عن رفع مسؤولية العجز بشكل قاطع . قال الله : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾))(١)، وكذلك يذهب الثعلبي ت(٤٢٧هـ)، الواحدي ت(٤٦٨هـ) إلى خروجها عن النهي إلى الدعاء (٢) ، وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) أيضاً يذكر أنها جاءت للدعاء وذلك في تفسيره لهذه الآية فيقول : ((هذا على إضمار القول ، أي قولوا في دعائكم ربنا لا تؤاخذنا والدعاء من العبادة اذ الداعي يشاهد نفسه في مقام الحاجة والذلة والافتقار ...))(٣) ،وكذلك محمد علي الصابوني في تفسير هذه الآية يقول : ((أي قولوا ذلك في دعائكم))(٤) . فالسيد المدرسي يوافق المفسرين لهذه الآية في خروجها للدعاء .

ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ [نوح (٢٤)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها: ((هي دعوة عليهم بكل شر مستطر ، أوَ ليس الضلال أصل كل شر ، وقد استجاب الله دعاء نبيه الذي ايقن أن الحياة لا تصلح لهم ، وان الموت أولى بهم)) (٥) ، النهي هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى الدعاء ، فنوح " عليه السلام " بعد ان ايقن أن هؤلاء لا رجوة فيهم للهداية دعا اللهَ أن يُزيد في ضلالهم وشرورهم .

وهذا المعنى ذهب إليه أبو حيان ت(٧٤٥هـ) في تفسيره لهذه الآية المباركة فيقول : ((ان يخذلوا ويمنعوا الألطاف ، لتصميمهم على الكفر ، ووقوع اليأس من ايمانهم وذلك حسن جميل يجوز الدعاء به ، بل لا تحسن الدعاء بخلافه))(٦) ، وكذلك السيوطي ت(٩١١هـ) يرى انها للدعاء فيقول : ((دعاء عليهم لما أوحى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن))(٧) ، فقد وافق السيد المدرسي أبا حيان والسيوطي في أن المعنى من النهي في هذه الآية خرج للدعاء .

٤ـ الوعيد : أحد الأغراض التي يخرج اليها النهي هو الوعيد ، وقد ورد في القرآن كثيراً ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ [إبراهيم (٤٢)] ، يقول السيد المدرسي : ((قد يرقى إلى قلب البشر الشك في هلاك الظالمين بعد ان يزداد ظلمهم وتعديهم ، فيظن المظلومون أن الله غافلٌ عنهم ، ولا يدري أن بعض الظالمين يؤجل حسابهم إلى يوم القيامة ، فلا يظنوا أو لا يظن المظلوم أن التأخير علامة الإهمال ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ أي يوم القيامة حيث العذاب الشديد))(٨) ،فالمعنى في قوله ان الله أوعدهم ليوم شديد ولا يهملهم ، ولا يظن المؤمنون أن هؤلاء الظالمين متروكون وإنما لهم يوم لا مرد لهم فيه ولا شفيع ، لذا قُصد منها الوعيد .

وإلى ذلك ذهب الزمخشري ت(٥٣٨هـ) من قبل (٩) ، والقرطبي ت(٦٧١ هـ) يقول: ((هذا وعيد للظالم ، وتعزية للمظلوم))(١٠) ، وكذلك أبو حيان ت(٧٤٥هـ) في تفسيره للآية المباركة اذ يرى

---

(١) من هدى القران : ج١ : ص٣٦٣ .
(٢) يُنظر : تفسير الثعلبي (الكشف والبيان) : ج٢ : ص٣٠٨ ، تفسير الواحدي : ج٤ : ص٥٤٥.
(٣) البحر المحيط : ج٢ : ص٣٨٢ .
(٤) صفوة التفاسير : ج١ : ص١٨١.
(٥) من هدى القرآن : ج١١: ص٢٦٩.
(٦) البحر المحيط : ج٨ : ص٣٣٦ .
(٧) تفسير الجلالين : ص٧٦٩ .
(٨) من هدى القرآن : ج٤ : ص٢٥٦ .
(٩) يُنظر : الكشاف : ج٢ : ص٢٢٢ .
(١٠) الجامع لأحكام القرآن: ج٩ : ص٢٤٧ .

أنها أريد منها الوعيد وذلك في قوله: ((.... وانه محاسبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد)) (١) ، فقد وافق السيد المدرسي المفسرين في أن النهي في هذه الآية خرج للوعيد .

٥ـ الإستهزاء : من الأغراض التي يخرج اليها النهي هو الإستهزاء ، وهذا ما وجدناه في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ﴾ [الأنبياء(١٣)] ، يقول السيد المدرسي : ((إلى اين تركض أيها الظالم ؟! لماذا تخرج من قريتك التي عمرتها والزينة التي جمعتها ؟ ارجع وابقَ هناك حتى نهدم بيتك على رأسك ، ..... عندما ننسف بيتك ننسفه معك))(٢) ، فهذا استهزاء بهم وبما عمَّروا وبنوا ، اذ انهم يتركوا كل شيء وراؤهم ويطلقوا العنان لأقدامهم هرباً من بأس الله ، فالله تعالى يستهزئ بهم ويؤكد لهم ان الركض هذا لا ينفعهم لأنه لا محيص من عذابكم ، وهذا ما ذهب اليه السيد المدرسي .

وإلى ذلك ذهب البغوي ت(٥١٦هـ)، الزمخشري ت(٥٣٨هـ) ، والقرطبي ت(٦٧١ هـ)والسيوطي ت(٩١١هـ) (٣) ، كما أكد ذلك أبو حيان ت(٧٤٥هـ) في تفسيره لهذه الآية ، فيقول : ((فلما نزل العذاب دون هذا الذي املوه وركضوا فارين ، نادتهم الملائكة على وجه الهزء بهم لا تركضوا وارجعوا لعلكم تسألون))(٤) ، فقد وافق السيد المدرسي المفسرين الذين سبقوه في أن النهي هنا خرج للإستهزاء .

٦ـ التسلية : من الأغراض التي خرج اليها النهي هو التسلية ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة (٢٦)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((إنّ موسى " عليه السلام " تبرأ من قومه وطلب من ربه بأن يفرق بينهم وبينه ، وقد استجاب له الله عز ووجل وطلب منه أن ينسى هموم قومه ، ولا يأسف على ما يصل إليهم))(٥) ، فجاءت الآية المباركة تسلية لنفس النبي موسى " عليه السلام " .

وكذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ . . . فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة (٦٨)] ، يقول السيد المدرسي في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَأْسَ ﴾:((أي لا تحزن عيهم(*)))(٦)،فالنهي ههنا جاء مفيدا معنى التسلية.

وقد ذهب الواحدي ت(٤٦٨هـ)في تفسيره يقول: أنها ((تسلية للنبي " صلى الله عليه [وآله] وسلم " يقول: لا تحزن على أهل الكتاب إن كذبوك))(٧) ،والزمخشري ت(٥٣٨هـ) ايضاً يذهب إلى هذا المعنى في تفسيره للآية المباركة فيقول : ((فلا تأسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم))(٨) ، وكذلك

---

(١) البحر المحيط: ج٥ : ص٤٢٤.
(٢) من هدى القرآن : ج٥ : ص٢٧٩ .
(٣) يُنظر : تفسير البغوي : ج٤ :ص٢٣٥ ، الكشاف : ج٣:ص١٠٣ ، الجامع لأحكام القرآن : ج١١: ص١٨٢ ، تفسير الجلالين : ص٤٢١ .
(٤) البحر المحيط : ج٦ : ص٢٧٩ .
(٥) من هدى القرآن : ج٢ : ص٢١٣ .
(*) كذا في الأصل ، والصواب : عليهم .
(٦) من هدى القرآن : ج٢ : ص٢٥٨ .
(٧) التفسير االبسيط : ج٧ : ص٤٧١ ـ ٢٧٢ .
(٨) الكشاف : ج٢ : ص٣٠١ .

السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) فيقول فيها : ((تسلية منه تعالى لنبيه "صلى الله عليه وآله" في صورة النهي عن الأسى))(١)، فقد وافق السيد المدرسي المفسرين في ان النهي في هذه الآية جاء للتسلية .

٧ـ التريّث : وهو من الأغراض التي يخرج اليها النهي ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ ... سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء (٣٧)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((ستأتي آيات العذاب وسترونها حتماً ، فلماذا العجلة ؟))(٢) ، فأريد بها التريث ، أي لا تتعجلوا بعذابكم فهو آتٍ لا محال .

وقد ذهب الى هذا المعنى الطاهر بن عاشور في تفسيره اذ يقول : ((وتفرع على هذا الوعد نهي عن طلب التعجيل ، أي عليكم ان تكلوا ذلك الى ما يؤقته الله ويؤجله))(٣) والى ذلك ذهب السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ)في أنها للتريث في قوله : ((ولذلك عدَّ سبحانه استهزاءهم بعد الكفر استعجالاً برؤية الآيات وهو الآيات الملازمة للعذاب واخبرهم أنه سيريهم إياها))(٤) ، فقد استنبط المفسرون هذا المعنى من خلال استقرائهم للآيات المباركة و السيد المدرسي اقام حكمه على المعنى من خلال استقرائه للآية الكريمة ثم استنباط المعاني لإزالة اللبس ورفع الشك ، فقد وافقهم الرأي .

٨ـ المقاطعة : أشار السيد المدرسي أثناء تفسيره للآية المباركة في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ ﴾ [النساء(١٤٠)] ، يقول السيد المدرسي : ((الكفر هو الإنكار المغلف بما يزعم صاحبه انه استدلال عقلي . أما الإستهزاء فهو محاولة مفضوحة للتأثير على البسطاء عن طريق تهوين القيم الرسالية في اعينهم ، ويجب مقاطعة مجالس الكفر والاستهزاء لحين تغيير طابعها العدائي ، وتبديل موضوع الحديث))(٥) ، وهذا الاستنباط مستخرج من معنى الآية الكريمة التي أعطت معنى للنهي غير معناه الحقيقي وهو الانتهاء والتحريم ، وانما مقاطعة لفترة والعودة مرة أخرى بعد تبديل الحديث .

في حين يرى البيضاوي ت(٦٨٥هـ) أنها للتذكير لا للمقاطعة وذلك في قوله في تفسيرها : ((هذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله[تعالى] ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ [الأنعام(٦٨)]))(٦) ،وكذلك عند ابن كثير ت(٧٧٤هـ) المعنى ذاته يقول : ((بعد التذكير))(٧)، ولو انعمنا النظر في الرأيين نرى ان حكم السيد المدرسي كان منسجماً مع النهي الوارد في الآية المباركة وهو النهي المؤقت ، لكن رأي البيضاوي وابن كثير كان مرتبطاً بآية أخرى وهي أية الأنعام ، وآية الأنعام فيها أمر بالإعراض وهنا نهي عن المجالسة لفترة ، و في آية الأنعام ورد النهي التأبيدي في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام (٦٨)] ، بينما لم يرد هذا النهي في آية النساء، ولذا كان رأي السيد المدرسي أقرب للسياق .

---

(١) الميزان في تفسير القرآن : ج٧ : ص٦٦ .
(٢) من هدى القرآن : ج٥ : ص٢٩٨ .
(٣) التّحرير والتّنوير ، الشّيخ محمّد الطّاهر بن عاشور ، مؤسّسة التّأريخ، بيروت ـ لبنان ، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م : ج١٧ : ص٦٨ .
(٤) الميزان : ج١٤ : ص٢٩٠ .
(٥) من هدى القرآن : ج٢ : ص١٤٢.
(٦) تفسير البيضاوي : ج١ : ص٣٩٢ .
(٧) تفسير القرآن العظيم : ج٦ : ص٧٧ .

٩ـ الإنكار : وهو من الأغراض التي يخرج اليها النهي في البلاغة ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء (١٧١)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((الغلو في الدين بمثابة الإنكار للدين . ذلك لأنَّ اضرار الغلو لا تقل عن اضرار الجحود أو الانتقاص من الدين ، وقد يكون الغلو في الدين سبباً في كفر كثير من الناس الآخرين الذين ترفض فطرتهم النقية شوائب الغلو ، فينكرون ما ارتبط بها من حقائق الدين أيضاً .....))(١) ،في هذا الجزء من الآية أفاد النهي معنى الإنكار .

١٠ـ التنزيه : من الأغراض البلاغية التي يفيدها النهي كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ يقول السيد المدرسي : ((وليس إلهاً في مستوى الله سبحانه ، وليست ولادته الخارقة إلاَّ دليلاً على قدرة الله وعظمته))(٢) فهنا أفادت التنزيه . وإلى ذلك ذهب البيضاوي ت(٦٨٥هـ) في تفسيره فيقول : ((يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد))(٣) ، فقد وافق السيد المدرسي البيضاويَ في خروج النهي عن معناه الحقيقي إلى معنى التنزيه.

١١ـ النفي : أحد الأغراض التي يخرج اليها النهي هو غرض النفي ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : " وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ . . " [النور (٥٧)] ، يقول السيد المدرسي : ((لا تظنوا أنَّ السُلطات الكافرة قد سلبتكم الإرادة ، وأوصلتكم إلى حافة العجز))(٤) ، حيث نفى سبحانه أن السلطات سلبت الإرادة من الناس ، فهنا افادة النفي .

وقد ذهب البيضاوي ت(٦٨٥هـ) إلى هذا المعنى في تفسيره لهذه الآية المباركة فيقول : ((المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الإعجاز))(٥) ، فقد وافق السيد المدرسي البيضاوي في أن النهي أُريد منه النفي عن الحسبان أو الظن في سلب الإرادة .

١٢ـ الموعظة والإرشاد : أحد الأغراض التي يخرج اليها النهي ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [المائدة(١٠١)] ، يقول السيد المدرسي : ((انما علينا ان نسأل عن تلك الحقائق حين يحين موعدها أي حين تشاء إرادة الله ..... ثم ان القرآن لا يبين الحكم في مرحلة فحسب بل ويدعم ذلك بذكر الموعظة المناسبة للحكم ، والفلسفة التي استوجبته . كذلك ان الله قد عفا عما سلف من الأعمال السيئة التي تأتي الأحكام الشرعية لإصلاحها وتزكية الإنسان منها))(٦) ، فقد رأى السيد المدرسي أن النهي هنا جاء للإرشاد والموعظة ، وهذه الآية المباركة استشهد بها اهل البلاغة لغرض الإرشاد (٧)

---

(١) من هدى القرآن : ج٢ :ص١٦٥ .
(٢) المصدر نفسه : ج٢ : ص١٦٥ ـ ١٦٦ .
(٣) تفسير البيضاوي : ج١ : ص٤٠٣ .
(٤) من هدى القرآن : ج٦ : ص٧٣ .
(٥) تفسير البيضاوي : ج٣ : ص٢٠٩ .
(٦) من هدى القرآن : ج٢ : ص٢٨٧ ـ ٢٨٨ .
(٧) يُنظر : جواهر البلاغة : ص٥٣ .

إذ وافق السيد المدرسي اهل البلاغة في ذلك ، وهذا الرأي ينم عن أنه لم يكن منغلقاً على أهل الفقه والأصول والتفسير ، وإنما كان متابعاً ويمتلك حساً بلاغياً مرهفاً من خلال اشاراته البلاغية التي غفل عن ذكرها اهل التفسير ، وأشار إليها أصحاب البلاغة .

١٢ ـ التيئيس:

أحد الأغراض التي يخرج اليها النهي ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة (٦٦)] يقول السيد المدرسي : ((وحين يأتي عذاب الله وتنتقم هذه الحقائق من المنافقين يشرعون بالاعتذار ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ والمعذرة انما تنفع الغافل او الجاهل ، أما الذي استسلم لضغط الشهوات وكفر بالله بعد ايمانه فإن ذلك لا ينفعه))(١) ،فقد جاء التيئيس لمعذرتهم فلا يُغفرُ لهم لأنهم كفروا بعد إيمان عن عمد فلا ينفعهم التعذر ، وقد أشار الى هذا المعنى السيد المدرسي اذ جاءت للتيئيس كما في قوله أعلاه .

والى هذا المعنى ذهب الثعلبي ت(٤٢٧هـ) وابن كثير ت(٧٧٤هـ) في تفسيره لهذه الآية المباركة(٢) ، وهذا المعنى ذكره أصحاب البلاغة وقد مثلوا لهذا الغرض بهذه الآية الشريفة (٣) .

وقد ذكر أصحاب البلاغة أغراضاً أخرى كالرجاء ، التحقير والذم ، التمني (٤) وغيرها ، لكن لم يُشر إليها السيد المدرسي في تفسيره

(١) من هدى القرآن : ج٣ : ص٢٨٩ .
(٢) يُنظر : الكشف والبيان : ج٥ : ص٦٥ ـ٦٦ ، تفسير القرآن العظيم : ج٧ : ص٢٢٧ـ٢٢٩.
(٣) يُنظر : جواهر البلاغة : ص٥٣ .
(٤) يُنظر : الكافي في البلاغة : ص٣٣٦ ـ٣٣٩ .

رابعاً / الـنـــــداء :

في اللغة : النداء مثل الدعاء والرُّغاء (١)، هو ((صوتٌ مجردٌ غير مفهوم الكلمات ... و" النداء" من العبد في القرآن يأتي بمعنى الدعاء .... فهو رفع الصوت بطلب من يُنادى ، وله حروف مخصوصة .... يُقال : ناداه ، ونادى به ، مناداة ونداء ؛ أي صاح به ودعاه بأرفع الصوت))(٢) ، فالمراد منه في اللغة هو رفع الصوت وتوجيهه إلى المنادى أن أقبل .

في الإصطلاح : لم يختلف المعنى الإصطلاحي للنداء عن المعنى اللغوي كثيراً فهو ((طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو لفظاً أو تقديراً كأيا وهيا للبعيد وقد ينزل غير البعيد منزل البعيد لكونه نائما أو ساهياً))(٣) وغيرها من حروف يُعرف بها سنذكرها تباعاً ، فالمعنى الإصطلاحي قريب من المعنى اللغوي غير أن اللغوي يكون عام والاصطلاحي يخصص بأدوات تميزه .

والنداء أقرب للنحو من البلاغة حيث أن النحويين عنوا به كثيراً ولا نجد كتاباً في النحو لا يتطرق إلى النداء وأدواته وكيفية عمل هذه الأدوات وكذلك معانيها ، اذ نجد أقدم كتاب في النحو وهو كتاب سيبويه ت(١٧٩هـ) يعقد باباً باسم ((ما يكون النداء فيه مضافاً إلى المنادى بحرف الإضافة))(٤) ، وقد أدخله أصحاب البلاغة ضمن صيغ الإنشاء الطلبي وعرَّفوه بطلب الإقبال بحرف نائب مناب الفعل [أدعو] بلفظ ظاهر أو مقدر (٥) . ولم يتطرق السيد المدرسي في تفسيره إلى تعريف النداء ، لكنه أشار إليه من خلال التفسير للآيات التي ورد فيها النداء ، وسنذكر آراءه في الأغراض التي يخرج اليها النداء إن شاء الله .

*** أدوات النداء :-** ((حروف النداء ، يا : أعمَّها ، وأيا ، وهيا ، للبعيد ، أي ، والهمزة للقريب ؛ [قال الرضي :] قد تنوب (وا) مناب (يا) في النداء ، والمشهور استعمالها في الندبة ، وقد جاء (آ) بهمزة بعدها ألف، و: (آي) بهمزة بعدها الف ، بعدها ياء ساكنة ؛ فيا : أعمّها ، وأي ينادى بها للقريب والبعيد))(٦)،وقد اشترط النحاة بعدم تنوين المنادى ، وجعلوه من الشائع . وكذلك لا تدخل (ال) التعريف على المنادى وما جاء مخالفاً لهذه الشروط جعلوه من الضرورات أو النادر الذي لا يُقاس عليه(٧) .

*** موضوعات النداء** :- تنبه أصحاب النحو والبلاغة إلى الموضوعات التي يرد فيها النداء ، فوجدوا أنَّ النداء يأتي في الأكثر على ثلاث مواضيع دائماً وهما :

١- الإستغاثة : ((وهي دعوة المنادى ليخلّص من يناديه من شدة ، وينقذه من ورطة ، ويُعينه على مشقة والأداة التي تُستخدم في الاستغاثة هي : (يا) وحدها)) (٨) .

---

(١) يُنظر : لسان العرب : ج١٥ : ص٣١٥ .
(٢) المعجم القرآني : ج٣ : ص٥٠٦ .
(٣) المطوَّل شرح تلخيص مفتاح العلوم : ص٤٣٠ ، ينظر : الإضاح : ص٨٦ .
(٤) الكتاب : ج١ : ص٣٧٢ .
(٥) يُنظر : مفتاح العلوم : ص٤٣١ ، التلخيص : ص١٧٢ ، البرهان في علوم القرآن : ج٢ : ص٣٢٣، الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيي بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩هـ)، مراجعة وضبط وتدقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م : ص٥٣٥ .
(٦) شرح الرضي على الكافية ، رضي الدين الأسترآبادي ، تحقيق وتعليق : يوسف حسن عمر ، مؤسسة الصادق ، طهران ، د.ط ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م : ج٤ : ص٤٢٥ ، يُنظر : شرح ابن عقيل : ج٣: ص١٩٧ ، أوضح المسالك الى الفية ابن مالك : ج٤ : ص٣ ، في النحو العربي قواعد وتطبيق ، مهدي المخزومي ، دار الرائد ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٦م : ص٢١٧ ، موضح اسرار النحو : ص٥٠٢ .
(٧) يُنظر شرح ابن عقيل : ج٣ : ص٢٠٣ وما بعدها .
(٨) في النحو العربي قواعد وتطبيق : ص٢٢٢ .

وجعلوا له استعمالات وأقسام ومعاني متعددة ، فقد اولوها أصحاب النحو والبلاغة شروحاً مفصلة لا نريد الخوض بها (١) .

٢ـ الندبة : أحد موضوعات النداء ((والندبة شِبه النداء ، وليست بالنداء ، لأنها توجع ، نحو ، وا رأساه، وآ يداه ، أو تفجع ، نحو قول المتفجع على الفقيد : وا زيداه . وليس من غرض الندبة الا الإعلام بعظم الألم ، أو بعظمة المصاب . والأداة التي تُستخدم في الندبة هي : وا))(٢) ، وتأتي (وا) للاستغاثة أيضاً ، مثل قول المرأة التي استغاثت بالمعتصم فنادت : (وا معتصماه) وعلى إثرها فتح عمورية ، و كان هذان الموضوعان من أهم مواضيع النداء ، حيث أفرد النحاة لكل موضوع منها فصلاً خاصاً به (٣) .

٣ـ طلب العون : يكاد يكون من أكثر المواضيع استعمالاً في موضوع النداء ، حيث أن المنادي يطلب من المنادى أن يعينه أو يساعده على شيء . وغيرها من مواضيع أخرى تكاد تندرج تحت موضوع الخروج إلى أغراض أخرى

- ***دلالات النداء المجازية :***

للنداء دلالات مجازية يُبينها السياق وقرائن الأحوال ، منها :

١ـ الاستغاثة :
٢ـ النُدبة :
٣ـ التحسُر :
٤ـ التعجب :
٥ـ التحذير :
٦ـ بث الشكوى :
٧ـ الدعاء:

وسنأتي على هذه الدلالات في التفسير بعون الله .

---

(١) يُنظر : قطر الندى وبل الصدى ، ابن هشام الأنصاري ت (٧٦١هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، أمير ، قم ، ايران ، ط٢ ، ١٣٨٢هـ : ص٢١٣ ـ ٢١٦ ، وجميع كتب النحو .

(٢) في النحو العربي قواعد وتطبيق : ص٢٢٣ ، يُنظر : قطر الندى وبل الصدى : ص٢١٧ ، الكافي في البلاغة : ص٣٥٧ ، من بلاغة القرآن : ص١٣٠ .

(٣) يُنظر : شرح بن عقيل : ج٣ : ص٢١٧ ــ ٢١٩ ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ج٤ : ص٤١ ــ٤٦ ، وغيرها من كتب النحو .

(٤) يُنظر : من بلاغة القرآن : ص١٣٠ .

- **الأغراض التي يخرج إليها النداء :**

النداء شأنه شأن الأساليب الإنشائية السابقة إذ يخرج عن معناه الحقيقي إلى أغراض مجازية أخرى، حسب ما يراه البلاغيون والمفسرون ، والسيد المدرسي تابع من سبقه من المفسرين في أن للنداء أغراضاً أخرى يخرج إليها تُعرف من خلال السياق القرآني الذي ورد فيه هذا الأسلوب ومنها:-

١ـ بث الشكوى : من أكثر الأغراض التي تخرج اليها الأساليب الإنشائية ، والنداء أحدها ، وهذا ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الزخرف (٨٨)] ، يقول السيد المدرسي : ((لقد بلغ الاهتمام بشأن الدعوة عند الرسول " صلى الله عليه وآله " حداً جأر إلى الله ، وأخذ يشكو إليه عدم إيمان قومه ﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ ولعل التعبير ﴿ قَوْمٌ ﴾ للدلالة على أنهم اجتمعوا على ترك الإيمان))(١)، فأفاد النداء هنا بث الشكوى لله تعالى كما يرى السيد المدرسي .

في حين يرى الفرَّاء ت(٢٠٧هـ) أنها للدعاء وذلك في قوله : ((ولو قال قائل : قيله رفعاً كان جائزا ، كما تقول : ونداؤه هذه الكلمة يا رب : ثم قال : " أفصح عنهم " فوصل بدعائه كأنه من قوله وهو من أمر الله أمره أن يُفصح ، أمره بهذا قبل أن يؤمر بقتالهم)) (٢) ،وكذلك الواحدي ت(٤٦٨هـ) وابن كثير ت(٧٧٤هـ) وابن عاشور ت(١٣٩٣هـ) يرون أن النداء في هذه الآية خرج إلى الدعاء (٣) ، ورأي السيد المدرسي اقرب للسياق ، إذ ان رسول الله " صلى الله عليه وآله " شكا قومه إلى الله تعالى من عدم ايمانهم ولم يدعُ عليهم ، فلم يكن موافقاً للمفسرين في هذه الآية ، والباحث يوافقه، وقد تنبه السيد المدرسي إلى أن كلمة ﴿ قَوْمٌ ﴾ أفادت الإصرار والاجتماع على ترك الإيمان إذ انها وردت نكرة والنكرة تفيد العموم .

٢ـ التنبيه : أحد الأغراض المجازية البلاغية التي يخرج اليها النداء ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ﴾ [يس (٣٠)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((إنها تستدعي الحسرات ، حتى أن كل شخص يكون في مثل هذا الموقع لا بد أن يتحسر ، ان الله خلق عباده ليرحمهم، وأكرمهم بالإرادة والحرية ، فاختاروا طريق الهلاك ، فبعث اليهم الرسل لينذرهم من مغبة أعمالهم ، ولكنهم استهزؤوا بهم ، وعرضوا انفسهم للهلاك الذي يجر الحسرات . كيف ضيعوا فرصتهم الأخيرة بالاستهزاء ؟! وكيف أصبحوا وقود جهنم ، وكان من المرتقب أن يكونوا ضيوف الرحمن في الجنة))(٤) ، فيرى السيد المدرسي أنها أفادت التنبيه والمعنى يبعث على التعجب في هذه الآية المباركة .

وقد ذهب ابن كثير ت(٧٧٤هـ) إلى معنى التحسُّر في تفسيره فقال : ((ومعنى هذا : يا حسرتهم وندامتهم يوم القيامة اذا عاينوا العذاب ، كيف كذّبوا رسل الله ، وخالفوا أمر الله)) (٥) .

لكن الفرَّاء ت(٢٠٧هـ) ذهب الى انها تفيد (التعجب) وذلك في قوله : ((يا لها حسرة على

---

(١) من هدى القرآن : ج٩ : ص٨٤ .
(٢) معاني القرآن للفرَّاء : ج٣ : ص٣٨ .
(٣) يُنظر : التفسير البسيط : ج٢٠ : ص٨٦ ،تفسير القرآن العظيم : ج١٢ : ص٣٣١ ـ ٣٣٢ ، التحرير والتنوير : ج٢٥ : ص٢٧٢ .
(٤) من هدى القرآن : ج٧ : ص٣٧١ .
(٥) تفسير القرآن العظيم : ج١١ : ص٣٥٩ .

العباد وقرأ بعضهم (يا حسرة على العباد) والمعنى في العربية واحد والله أعلم))(١) ، وهذا يعني أن العباد هم الذين تحسروا وتعجبوا من افعالهم ، وذهب إلى هذا المعنى الزركشي (ت ٧٩٤هـ)أيضاً وأحمد مطلوب(٢).

وذهب أبو حيان ت(٧٤٥هـ) إلى أنها تفيد التعظيم لما فرط العباد بما اعطاهم الله من فضله وتكذيبهم رسله ، أي أن الله اعظم تكذيبهم وتعجب منه (٣) ، وهذا المعنى فيه جزء من القرب للسياق .

وأصحاب البلاغة ذهبوا إلى معان متعددة منها ما ذكره ابن فارس ت(٣٩٥هـ)أنها تفيد التلهف والتأسف (٤) ، ومنها ما ذكره ابن الشجري ت(٥٤٢هـ)انها تفيد التحذير (٥) ، ولعل تفسير السيد المدرسي أقرب لمعنى الآية المباركة فإنَّ الله تعالى أراد من عباده أن يصلوا الى مرتبة عالية من الإيمان لكنهم نزلوا إلى ما دون ذلك ، والله رؤوفٌ بالعباد ، رؤوم بخلقه فعزَّ عليه أن يرى خلقه الذين ارادهم ان يكونوا بقربه في الجنة قد وصلوا إلى هذا الموقع القريب من العذاب ، فالتنبيه والمعنى تعجب في الأمر هو الأقرب ، فما ذهب اليه السيد المدرسي والفرَّاء والزركشي وأحمد مطلوب من انها للتعجب اقرب للسياق في المعنى ، وفائدة النداء تنبه لها السيد المدرسي أنها جاءت للتنبيه والباحث يوافقه .

٣ـ التعجب : من الأغراض المجازية التي يخرج إليها النداء هو التعجب ، ومنه ما جاء في قوله تعالى ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ [هود (٧٢)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((تعجبت كيف تلد وهي عجوز وزوجها شيخ طاعن في السن))(٦) ، والتعجب واضح من خلال سياق الآية المباركة .

بينما يرى أبو حيان (٧٤٥هـ) أن النداء في هذه الآية خرج إلى الدعاء ، وذلك في قوله : ((وأصل الدعاء بالويل ونحوه في التفجع لشدة مكروه يدهم النفس))(٧) ، لكن السياق يوحي إلى التعجب لا الدعاء ، وما يؤكد التعجب هو الإستفهام الإنكاري الوارد في الآية المباركة ، فرأي السيد المدرسي أقرب إلى معنى الآية المباركة .

٤ـ التحذير : أحد الأغراض التي يخرج اليها النداء عن معناه الحقيقي هو التحذير ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء (٧١)] ، يقول السيد المدرسي : ((انها تشكل خلفية جيش الرسالة ، والاعداد المسبق والتضحية والتنظيم (الحذر ، النفر ، الثبات أو الجميع) .))(٨) ، وذهب إلى ذلك ابن كثير ت(٧٧٤هـ) في تفسيره على أنها أفادت التحذير في هذه الآية المباركة (٩) .

في حين يرى الواحدي ت(٤٦٨هـ)أنها تحمل معنى الحث على الجهاد وذلك في قوله : ((هذا حثٌ من الله تعالى عباده المؤمنين على الجهاد))(١٠) ، وليس ببعيد هذا المعنى ، فمن الممكن أن تحمل الآية الحذر والحث معاً إذ ان الحذر يؤدي إلى الاستعداد للمواجهة، فالباحث يرى أنها تحمل الحث والحذر.

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء : ج٢ : ص٣٧٥ .
(٢) يُنظر : البرهان في علوم القرآن : ج٢: ص٣٢٥ ، البلاغة والتطبيق : ص١٤١ ، معجم المصطلحات البلاغية : ج٣ : ص٣٢٧ .
(٣) يُنظر : البحر المحيط : ج٧ : ص٣١٨ .
(٤) يُنظر : الصاحبي : ص١٧٨ .
(٥) يُنظر : الأمالي الشجرية : ج١ : ص٢٧٥ .
(٦) من هدى القرآن : ج٤ : ص٦٤ .
(٧) البحر المحيط : ج٥ : ص٢٤٤ .
(٨) من هدى القرآن : ج٢ : ص٧٩ .
(٩) يُنظر : تفسير القرآن العظيم : ج٤ : ص١٥٨ .
(١٠) التفسير البسيط : ج٦ : ص٥٧٩ .

٥ـ الإختصاص : يخرج النداء أحياناً عن معناه الحقيقي إلى معنى الإختصاص ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود(٧٣)] ، يقول السيد المدرسي : ((وعاد الرسل يبشرونهم بثالثة البشارات وأعظمها وهي مرضاة الله التي تتجسد في الرفاه والخير والرحمة من الله ، وفي الانتشار والتقدم والتعامل ، وبالتالي البركات من جهة ثانية ، لأنهم اهل بيت الجهاد والإيمان ولأن الله حميد مجيد ﴿رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ ان ربنا يحمده الناس بكرمه وفضله الواسع))(١) ، فخصهم الله بهذه الرحمة لجهادهم وتضحيتهم ، فالنداء هنا افاد التخصيص .

وقد ذهب أبو حيان ت(٧٤٥هـ)إلى هذا المعنى ، فيقول في نصب (أهل) : ((منصوب على النداء ، وعلى الإختصاص))(٢) ، وذات المعنى عند القرطبي ت(٦٧١ هـ) والبيضاوي ت(٦٨٥هـ) والزركشي ت(٧٩٤هـ) والسيوطي ت(٩١١هـ)إلى ان النداء ههنا خرج إلى الإختصاص مجازاً (٣) ، فقد وافق السيد المدرسي ما ذهب إليه المفسرون الذين سبقوه .

٦ـ التمني : احياناً يخرج النداء مجازا عن معناه الحقيقي إلى التمني ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ(٤٠)] ، يقول السيد المدرسي : ((حين يرى الكافر عمله يتمنى لو كان ترابا ولم يرتكب ذلك العمل السيء ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ ما أشد هذا الإنسان ندماً أن يصل إلى هذه الدرجة فيتمنى لو كان تُرابا ولم يقترف تلك الجرائم))(٤) ، فأفاد النداء في هذه الآية المباركة معنى التمني ، ولعل المعنى أخذه من الحرف المشبه بالفعل (ليت) الذي يفيد التمني .

وإلى هذا المعنى ذهب الثعلبي ت(٤٢٧هـ) و الواحدي ت(٤٦٨هـ) والزمخشري ت(٥٣٨هـ) في تفسيرهم إلى انها أفادت التمني(٥) ، فكان رأي السيد المدرسي موافقاً للمفسرين في هذه الآية المباركة.

وهنالك أغراض أخرى ذكرها أصحاب البلاغة والمفسرون كالتعظيم والتوبيخ والترغيب والتنبيه،والانعدام ، والتشريف والإهتمام ، وغيرها ، لكن لم يُشر اليها السيد المدرسي في تفسيره .

---

(١) من هدى القرآن : ج٤ : ص٦٤ .
(٢) البحر المحيط : ج٥ : ص٢٤٥.
(٣) يُنظر : الجامع لأحكام القرآن : ج٩ : ص٧١ ، ، تفسير البيضاوي : ج٢ : ص٢٧٣ ، البرهان في علوم القرآن : ج٢ : ص٤٥١ ، معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي ت(٩١١هـ)، ضبطه وصححه وكتب فهارسه: احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م : ج١ : ص١٩٦.
(٤) من هدى القرآن : ج١١ : ص٤٧٠ .
(٥) يُنظر : الكشف والبيان : ج١٠ : ص١٢١ ، تفسير الواحدي : ج٢٣ : ص١٥٠ ،الكشاف : ج٦ : ص٣٠٣ .

خامساً / الـتـمـنـي :

في اللغة : هو طلب حصول الأمر المحبوب الذي لا يُتوقع حصوله فـ((الميم والنون والحرف المعتل أصل واحد صحيح ، يدل على تقدير شيء ونفاذ القضاء به ..... وأمنية : أفعولة منه ، ومنى مكة ، قال قوم سُمي به ؛ لما قُدر ان يُذبح فيه ، من قولك مناه الله ... وقولنا تمنى الكتاب : قرأه))(١) ، من هذا يتبين لنا ان معناه في اللغة هو ما قُدر له .

في الإصطلاح : من الأساليب الإنشائية الطلبية التمني ، وهو من الأساليب التي أشار إليها العلماء وحظي باهتمامهم وعُرِّف في اصطلاحهم بأنّه طلب حصول الشيء على سبيل المحبة، وينبغي أن يقيّد المحبة بالمجردة عن الطمع والتوقع، وعن الأوامر والنواهي والنداءات لوجود المحبة فيها غير مجردة عن الطمع والتوقع (٢) ، وقد فرق بعضهم بين التمني والترجي ، اذ ان التمني يدخل في المستحيلات والترجي يدخل في الممكنات (٣) ، وهناك أمران لاستحالة حصول التمني ، وهما :

الأمرالأول : يكون الأمر مستحيلاً في الأصل .

الأمر الثاني : يكون ممكناً لكن غير مطموع في الحصول عليه (٤) .

وقد عرَّفه ابن عادل ت(٨٨٠هـ) في تفسيره فيقول : ((التمني تقدير شيء في النفس وتصويره فيها، وذلك قد يكون عن ظنٍ وتخمين ، وقد يكون بناء على رؤية واصل ، لكن لما كان أكثره عن تخمينٍ كان الكذب أملك له))(٥) ، ورغم ان هذا التعريف يحمل في طياته بعض الفلسفة الفقهية ، لكنه تعريفٌ جامع مانع ، فيرى الباحث أنه يصلح ان يكون هو تعريف التمني .

ولم يُعرِّف السيد المدرسي التمني في تفسيره ، وإنّما ذكره من خلال الأغراض التي خرج اليها ، وسنأتيها ان شاء الله في خروجات التمني .

*** أدوات التمني :**

وأصل باب التمني هي الأداة (**ليت**) الحرف المشبه بالفعل ، احدى أخوات (**إنَّ**) وهناك أدوات وردت في القرآن الكريم تدل على التمني وهي (**هل**) و(**لعل**) و (**لو**) و (**عسى**)(٦) .

هذه الحروف لم تكن للتمني في الحقيقة وإنما تعطي معنى التمني من خلال السياق التي ترد فيه مجازاً، فلكل أداة من هذه الأدوات معناها الأصلي الخاص بها .

---

(١) معجم مقاييس اللغة : ج٥ : ص٢٧٦ .

(٢) ينظر : مفتاح العلوم : ص ٤١٨، ومعترك الأقران : ج١ : ص٤٤٤ ، والإتقان : ج٢: ص١٥٩ ،البحث البلاغي في تفسير البحر المحيط ، (رسالة) : ص٣٧ .

(٣) يُنظر : البرهان في علوم القرآن : ج٤ : ص٣٢٣ ، شرح الكافية : ج٢ : ص٣٤٦ ، أساليب بلاغية (الفصاحة-البلاغة- المعاني)، د٠ احمد مطلوب، وكالة المطبوعات-الكويت،١٩٨٠م : ص١٢٦ .

(٤) يُنظر : علم المعاني ، د . عبدالعزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٤ م : ص١٢٣، أساليب بلاغية : ص١٢٧ .

(٥) اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي ت(٨٨٠هـ)، تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود ،والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م :ج٢ : ص٢٠٥.

(٦) يُنظر : الكافي في البلاغة : ص٣٥٣ ، البحث البلاغي في تفسير اللباب لإبن عادل الحنبلي ت(٨٨٠هـ) ، شاكر محمود عبد العزيز ، (أطروحة) ، كلية الآداب ، الجامعة العراقية ، ٢٠١٢م : ص٧٣ ، أساليب بلاغية : ص١٢٧.

- ***الأغراض التي يخرج إليها التمني*** :

أسلوب التمني شأنه شأن الأساليب الإنشائية الأخرى ، فهو اسلوبٌ بلاغي اهتم به البلاغيون في ابحاثهم وكتبهم لكن لم يكن الإعتناء به بقدر الاعتناء بالأساليب الأخرى بسبب قلة وروده في القرآن والشعر ، وما يهمنا في التمني هو الأغراض البلاغية التي ذكرها السيد المدرسي في تفسيره من هدى القرآن ، ومن هذه الأغراض :-

١ـ التحسر :

هو احد الأغراض التي يخرج اليها التمني من خلال احدى الأدوات التي تفيد معنى التمني من خلال السياق القرآني التي ترد فيه ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ ﴾ [البقرة (١٦٧)] ، يقول السيد المدرسي : ((هذه عاقبة الذي يتخذ من دون الله أندادا يحبهم كحبه لله ، ويتبعهم من دون أمر الله ، العاقبة هي الندم . حيث يقول : يا ليت الزمان يعود بي إلى الوراء فأرفض اتباعهم ولكن هيهات .... فيتحسرون عليها ولكن الحسرة لا تنفعهم ولا يخفف عنهم العذاب))(١) ، فيُشير السيد المدرسي إلى ان [لو] بمعنى [ليت] فقد جاءت للتمني اذ أفادت التحسر على ما فاتهم من الهداية والنتيجة هي العذاب .

وإلى مثل هذا ذهب أبو حيان (٧٤٥هـ) في تفسيره لهذه الآية المباركة فيقول في معنى [لو]: ((للتمني ، قيل وليس التي لما كان سيقع لوقوع غيره ، ولذلك جاء جوابها بالفاء في قوله [تعالى]:"فَنَتَبَرَأَ " ... كما جاء في قول الشاعر : [من الوافر]

فلو نبش المقابر عن كُليبٍ فَتُخبر بالذنائب أي زير (*)

والصحيح أن لو هذه هي التي لما كان سيقع لوقوع غيره وأشربت معنى التمني))(٢) ،

وكذلك جاء في قوله تعالى : ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء (١٠٢)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((ثم تقطع الحسرة نياط أفئدتهم أن لو كانت لديهم فرصة أخرى حتى يكونوا مؤمنين ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿ فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾))(٣) ، اذ ان لو أفادت التمني في هذه الآية المباركة .

وإلى هذا المعنى ذهب ابن عادل ت(٨٨٠هـ) في تفسيره فقال : (((لو) يجوز أن تكون المُشربة معنى التمني ، فلا جواب لها على المشهور))(٤) ، ففي هذا المورد وردت [لو] وأفادت

---

(١) من هدى القرآن : ج١ : ص٢٦٣ .

(*) البيت للمهلهل بن ربيعة أبي ليلى عدي بن ربيعة التغلبي: شاعرٌ جاهلي مفلق ، روي انه خال الشاعر امرئ القيس وجد عمرو بن كلثوم لأمه ، يُنظر : الأصمعيات، لأبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ت(٢١٦هـ)، تحقيق وشرح: احمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ط٣، (د. ت) : ص١٥٤ ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، حنا الفاخوري ، سليمان زادة ، ط٣ ، ١٤٢٧هـ : ج١ : ص١٨٩ .

(٢) البحر المحيط : ج١ : ص٦٤٧ـ٦٤٨ .

(٣) من هدى القرآن : ج٦ : ص٢٠٤ .

(٤) اللباب في علوم الكتاب : ج١٥ : ص٥٤ .

التمني عند السيد المدرسي وابن عادل ، فكان رأي السيد المدرسي موافقاً لرأي ابي حيان وابن عادل في مجيء [لو] بمعنى التمني ليُفيد فائدة التحسر .

٢ـ الاستحياء :

يخرج أسلوب التمني إلى الاستحياء في موارد وردت في القرآن الحكيم ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ [مريم (٢٣)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((... وكأن مريم " عليها السلام " تمنت لو نُسيت ولم يبقَ لها أي أثر يُذكر))(١) ، خوفاً واستحياء من الناس ، فالتمني جاء ليعطي معنى الاستحياء في هذه الآية المباركة .

وقد ذهب البيضاوي ت(٦٨٥هـ) في تفسيره إلى هذا المعنى ، فيقول : ((استحياء من الناس ومخافة لومهم))(٢) ، فهنا جاء التمني استحياء من الناس مما وقع بها .

وبهذا المعنى نرى أن السيد المدرسي وافق البيضاويَّ في ما ذهب إليه في هذه الآية بخروج التمني إلى الاستحياء من الناس .

٣ـ البيان والجواب :

يخرج التمني في بعض الأحيان إلى ان يُجيب على سؤال أو يُبين مبهماً ، وهذا ما جاء في قوله تعالى : ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس(٢٦ـ٢٧)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((فأدخله الله الجنة وحينما هّمَّ بدخولها تمنى لو كان قومه معه .. .. وهكذا الشهداء يتمنون لو يعادوا الى الدنيا ليُخبروا أهلها بما للشهيد من مغفرة وكرامة))(٣) ، فجاء التمني هنا ويراد منه بيان ما كان لديهم مبهم ولم يُؤمنوا به ، فيُجيب بما رأى من نعيم .

فقد ذهب البيضاوي ت(٦٨٥هـ)إلى هذا المعنى في تفسيره لهذه الآية الشريفة فقال : ((الغرض بيان المقول دون المقول له فإنه معلوم والكلام استئناف في حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه في نصر دينه ..... تمنى علم قومه بحالة ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الإيمان))(٤) ، وكذلك القرطبي ت(٦٧١ هـ) أورد المعنى ذاته (٥) ، فوافق السيد المدرسي البيضاوي والقرطبي في أن التمني أريد منه الجواب وبيان الحال ، مما بيَّن أنه يستنبط الحكم الشرعي بعد أن يستعمل جميع أدوات التفسير من بلاغة ونحو وغيرها للوصول إلى المراد من الآية المباركة ، كما يتضح أنه يشير إلى مكامن البلاغة المتناثرة بين ألفاظ الآيات مما ينم عن حس بلاغي ليس بقليل .

ففي أسلوب التمني ينتهي مبحث الإنشاء بحمد الله ..

---

(١) من هدى القرآن : ج٥ : ص١٢٥.
(٢) تفسير البيضاوي : ج٣ : ص٤٧ .
(٣) من هدى القرآن ج٧ : ص٣٧١ .
(٤) تفسير البيضاوي : ج٣ : ص٤٣٥ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن : ج١٥ : ص٢٠ .

الفصل الثاني

دراسة

أحوال الجملة

مدخل

الفصل الثانـي

دراسة أحوال الجملة

مدخل

تشكل الجملة في لغتنا العربية أصغر وحدة تركيبية تفيد معنى ، وقد اتفق علماء اللغة على ان الجملة لا تفيد معنى إلا اذا توافرت على مسند ومسند إليه والعلاقة فيما بينهما [الإسناد] ، وإذا فقدت أحد الأركان فلا تكون مفيدة ، والعلامة بين المسند والمسند اليه أطلقوا عليها بـ [النسبة] ((وهذه النسبة اذا كانت حقيقية كان الاسناد حقيقياً ، وان كانت غير حقيقية فالإسناد غير حقيقي))(١) ، وعلى هذا أعتمد الدارسون قديماً وحديثاً ، وأولوها عناية كبيرة في دراسة احوالها من : تقديم وتأخير ، وتعريف وتنكير، وفصل ووصل .. وغيرها ، فالجملة تقوم على هذه الأركان الثلاثة حتى تُعدُّ جملة مفيدة ، اذ جملة الإضافة لا تُعدُّ جملة بذاتها كـ [نهارُ غدٍ] ، فهي مفتقرة للشروط ، اذ الجملة عند اهل اللغة : ((هو الكلام الذي يحسن السكوت عليه))(٢) ، فالجملة لا تكون جملة ما لم تتوافر فيها هذه الشروط .

بينما الأصوليون لهم رأي آخر في الجملة، إذ أن المعيار لديهم ليست الفائدة وإنما الهيأة التركيبية التي تعتمد على النسبة ، فالمفرد لا نسبة فيه إلا اذا أضيف مفردٌ إلى مفردٍ آخر فإننا سنحصل على جملة(٣)، فجملة المضاف والمضاف اليه ، والصفة والموصوف إذا تمت النسبة بينهما صارت جملة، وقد أكد على ذلك السيد مصطفى جمال الدين(٤) في قوله : ((إن تقييد الموصوف بالصفة، والمضاف بالمضاف اليه، أو تقييد أي مفهوم بمفهومٍ آخر ، لا يتم إلاَّ بعد فرض وجود نسبة بين المفهومين يصح بها تقييد أحدهما بالآخر ومع فقدها لا يصحّ ذلك، فيصح أن تقول: (بابُ حديد) أو(باب خشب)ولا يصح أن تقول : (خشب حديد)أو(حديد خشب))(٥) ، فالشرط الوحيد للجملة عند الأصوليين هي [النسبة] ، وهذا الرأي صائب حيث أن النسبة هي التي تحقق الفائدة ، وان كان الكلام ناقصاً ، والسيد المدرسي يوافق هذا الرأي

---

(١) البحث البلاغي في تفسير اللباب ، (رسالة) : ص٨٣ .

(٢) شرح ابن عقيل : ج١ : ص١٥ ، أوضح المسالك : ج١ : ص١٤ ، قطر الندى : ص١١ .

(٣) يُنظر : فقه الإستنباط : ج٢ : ص١٥٥ .

(٤) مصطفى بن جعفر بن عناية الله جمال الدين ، ولد في (١٩٢٧م) ، في محافظة ذي قار ، قضاء سوق الشيوخ ، رمز من رموز الحوزة العلمية والأكاديمية في العراق ، حاصل على الدكتوراه في اللغة العربية ، له عدة مؤلفات منها : (القياس حقيقته وحجيته ، البحث النحوي عند الأصوليين ، الإيقاع في الشعر العربي من البيت إلى التفعيلة) ، شاعر كبير ، عالم جليل ، هاجر من العراق لظروف سياسية وظل معارضاً للنظام آنذاك حتى وفاته عام (١٩٩٦م) ، يُنظر : الديوان ، مصطفى جمال الدين ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٨م : ج١ : ص١٥ ـ ٣١ .

(٥) البحث النحوي عند الأصوليين ، مصفى جمال الدين ، دار الهجرة ، قم المقدسة ، ايران ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ : ص٢٤٧.

وذلك بقوله : ((وهكذا فإنَّ النحاة اهتموا بشكل الجملة لأنه يُعبر عن المضمون بينما نجد الأصوليين وإنطلاقاً من معيارية المضمون ركَّزوا على المحتوى))(١) .

وإلى هذا الرأي ذهب مجموعة من علماء اللغة المحدثين (٢) .

مما تقدم تبين لنا أن الجملة في مفهومها عند السيد المدرسي : هي عبارة عن تركيب اكثر من لفظ مع وجود المناسبة بين الألفاظ المركبة ، فالإسناد عنده ما هو إلا مكمِّل لبنية الجملة ، اذ لو كان التركيب يحتوي على مناسبة ، كان قد كوَّن جملة ، ولكن هذه الجملة قد تكون كاملة وهي ما يحسن السكوت عليها، أي أعطت فائدة تامة ، وقد تكون ناقصة كما مثلنا سابقاً .

ولأحوال الجملة مجموعة من الأغراض البلاغية وهي :

١ـ التقديم والتأخير .

٢ـ القَصْر.

٣ـ الفصل والوصل .

٤ـ التعريف والتنكير.

وغيرها سنأتي عليها تباعاً إن شاء الله تعالى .

---

(١) فقه الاستنباط : ج٢ : ص١٥٧ . ولم أجد هذه الفكرة في كتابه (من هدى القرآن) .

(٢) يُنظر : اللغة ، جوزيف فندريس ، ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ، محمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٥٠م : ص١٦٢ ، ١٦٣ .

الفصل الثاني

المبحث الأول

أسلوب

التقديم والتأخير

أنواعه

أغراضه البلاغية

المبحث الأول

التقديم والتأخير
أنواعه وأغراضه البلاغية

في اللغة :

التقديم : مأخوذة من (قَدَمَ) ، و((القاف والدَّال والميم أصل صحيح يدل على سَبْق وَرعف ثُمَّ يُفرع منه ما يُقاربه ...))(١) ، فهو من السِبق ، وهو نقيض التأخير، و **التأخير** : هو ضد التقديم ، حيث أن((الهمزة والخاء والراء اصل واحد إليه ترجع فروعه وهو خلاف التقدُّم))(٢) .

في الإصطلاح :

فهو تقديم لفظٍ حقَّه أن يتأخر أو تأخير لفظٍ حقه أن يتقدم ، والغرض من ذلك فائدة بلاغية ينبئ عنها السياق ، وهو أحد الموضوعات البلاغية التي عُني بها أصحاب البلاغة ، ((فإنهم اتوا به دلالة على تمكنهم في الكلام وانقياده لهم ، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق))(٣) ، وأول من أشار إلى دلالاته البلاغية واعتنى به كمصطلح يدل على هذا الأسلوب هو سيبويه ت(١٧٩هـ) في كتابه(٤) ، وهذا لا يعني أنه لم يكن موجوداً قبل سيبويه بل كان معروفاً بوصفه سلوكاً كلامياً ، لكنه لم يكن معروفاً بمصطلحه وأنواعه وفنونه واغراضه ، لكن اشارة سيبويه لهذا الغرض بيَّنت سره البلاغي ، من حيث العناية ،ولفت الانتباه إلى هذه القضية ، لذا عُدَّ رائداً من الرواد الذين أسهموا في تأسيس علم البلاغة(٥).

ومن ثمَّ نجد الفرَّاء ت(٢٠٧هـ) أيضاً ذكره في أكثر من موضع(٦) ونجد أبا عبيدة ت(٢١٠هـ) يُشير إلى التقديم والتأخير في مجازه بصريح عبارته ، ففي قوله تعالى : ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ﴾[الأنعام (٢)] ، يقول: ((مقدم ومؤخر ، وعنده أجل مسمى ، أي وقتٌ معلوم))(٧) ، وتابع الأخفشُ ت(٢١٥هـ) أبا عبيدة في ذلك (٨) ،حتى وصل الأمر إلى الشيخ عبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١هـ) فقال: بأنَّه ((باب كثير الفوائد

---

(١) معجم مقاييس اللغة : ج٥ : ص٦٥ ، يُنظر : المعجم القرآني : ج٣ : ص٢٨ .

(٢) معجم مقاييس اللغة : ج١ : ص٦٤ .

(٣) البرهان في علوم القرآن : ج٣ : ص٢٣٣ ، يُنظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ج٢ : ص٣٢٥.

(٤) يُنظر : الكتاب : ج١ : ص٢٤.

(٥) يُنظر : المختصر في تاريخ البلاغة، د. عبد القادر حسين، دار الشروق ، ط١ ، ١٩٨٢م : ص٥٧.

(٦) يُنظر : معاني القرآن ، للفرَّاء : ج٢ : ص١٩٥ ، ج٣: ص٢١٤ ، ص٢٣٦ .

(٧) مجاز القرآن : ج١ : ص١٨٥ .

(٨) يُنظر : معاني القرآن ، للأخفش : ج٢ : ص٣٠١ .

، جمُّ المحاسن ، واسع التصرف ،بعيد الغاية ،لا يزال يفترُّ لك عن بديعةٍ ، ويُفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شِعْراً يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ، أن قُدِّم فيه شيء ، وحُوِّل اللَّفظ عن مكان إلى مكان))(١) .

ولعلَّ سعة هذا الباب من أبواب البلاغة اتت من كونه مشتملا على كثير من أجزاء الجملة من مسند ومسند إليه وتقديم احدهما على الآخر ، وإعطاؤهما في ذلك أغراضاً بلاغية وفنوناً كلامية غاية في الروعة من حيث المعاني (٢)، و نجد ممن اعتنى بهذا الغرض ؛ السكاكي ت(٦٢٦هـ) اذ أشار إلى تقديم المسند على المسند إليه والغرض من هذا التقديم (٣) ، وأشار الخطيب القزويني ت(٧٣٩هـ)أيضاً إلى التقديم والتأخير مستفيداً من آراء سابقيه وذلك في قوله : ((وأما تقديمه فلكون ذكره أهم ، اما لأنه الاصل، ولا مقتضى للعدول عنه ، وأما ليتمكن الخبر في ذهن السامع ، لأن في المبتدأ تشويقاً إليه))(٤) ، وقد ذكر الزركشي ت(٧٩٤هـ) أغراضاً أخرى للتقديم والتأخير ، منها : الذات ، العلة ، السببية ، السبق ، التعظيم ، قصد الترتيب ، رعاية الفاصلة ..... الخ (٥).

ومن جانب آخر نجد المفسرين قد اولوا هذا الغرض عناية غير مسبوقة ، ومن ابرزهم الزمخشري ت(٥٣٨هـ) الذي يُعدُّ تفسيره تفسيراً لغوياً بلاغياً ، اذ نجده يشير إلى التقديم والتأخير والغرض منه وذلك في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة (٥)] ، يقول : ((حيثُ صرَّح بتقديم الاسم ، إرادة للإختصاص))(٦) ، وكذلك البيضاوي ت(٦٨٥هـ) وابن عادل ت(٨٨٠هـ) والشيخ زادة ت(٩٥٠هـ)، والسيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) (٧) ، وغيرهم من المفسرين ، فلا تجد مفسراً يغفل عن الأغراض الدلالية والبلاغية والجمالية للتقديم والتأخير .

والسيد المدرسي أعطى لهذا الغرض البلاغي اهمية كبيرة ويرى أنه من أساليب العرب المبدعة ، وقد جاء بها القرآن الكريم لأغراض لا تكاد معروفة عند العرب قبل القرآن الكريم ، وهو أحد الأساليب القرآنية التي تحدى بها العرب إبَّان نزوله ، فمنها للإختصاص ، والإهتمام ،

---

(١) دلائل الإعجاز : ص١٠٦ ، يُنظر : عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية : د. احمد احمد بدوي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ،د.ط ، د . ت : ص١٣٨ .

(٢) يُنظر : البحث البلاغي في تفسير اللباب (رسالة) : ص٨٤ .

(٣) يُنظر : مفتاح العلوم : ص١٩٤ .

(٤) التلخيص : ص٧٤ .

(٥) يُنظر : البرهان في علوم القرآن : ج٣ : ص٢٣٩ .

(٦) الكشاف : ج١ : ص١٠٢ .

(٧) يُنظر : تفسير البيضاوي : ج١ : ص١٤ ، تفسير اللباب في علوم الكتاب : ج١٩ : ص١٢٣ ، حاشية الشيخ زادة : ج٣ : ص٤٨٣ ، الميزان في تفسير القرآن : ج١٧ : ص٢٤٩ .

والحصر ، وغيرها (١) . ولترتيب الكلمات أهمية كبيرة لأنه ((سيكون له هدف أسمى يتمثل في بيان المعاني البلاغية . فإذا قلتَ : (ضربتُ زيداً) فإنَّ موضع الإهتمام عندك هو وقوع الضرب منك ، أما اذا قلت : (زيداً ضربتُ) فإنَّ موضع الاهتمام هو المفعول باعتباره رجلاً هامَّاً وقع عليه الضرب ، وأما اذا قلتَ : (أنا ضربتُ زيداً) فإنَّ موضع الإهتمام سيكون الفاعل وهكذا))(٢)، فالسيد المدرسي يوافق اهل اللغة والبلاغة والتفسير على ما اوردوه من اغراض بلاغية لهذا الأسلوب .

مما تقدم تبيَّن لنا أن النحويين والبلاغيين والمفسرين قد اهتموا بهذا الأسلوب ، لأنه أسلوب متداخل بين النحو والبلاغة .

* **أنواع التقديم والتأخير**: قسّم البلاغيون وعلى رأسهم الجرجاني ت(٤٧١هـ) التقديم والتأخير على :

١ ـ **تقديم على نيِّةِ التأخير** : اذ يقول فيه الجرجاني : ((ذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه ، كخبر المبتدأ اذا قدمته على المبتدأ ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك : " منطلق زيد " و " ضرب عمراً زيدٌ " ، معلوم أنّ " منطلق " و " عمراً " لم يخرجا بالتقديم عمَّا كانا عليه ، من كون هذا خبر مبتدأ ومرفوعاً بذلك ، وكون ذلك مفعولاً ومنصوباً من أجله ، كما يكون إذا أخرت.))(٣) ، من قوله هذا نستشف أنَّ هذا النوع من التقديم والتأخير هو تغيير موقعي في بنية الخطاب ليس إلاَّ ، فما كان في موقعه مرفوعاً يبقى مرفوعاً سواء تقدم أو تأخر ، لكن السيد المدرسي له رأي في التقديم والتأخير في هذا المضمار ، إذ إنَّ التغيير يكون معنوياً وليس في شكل الخطاب ، فإذا اراد المتكلم تقديم الفاعل على فعله بهذا يريد لفت نظر السامع او القارئ إلى الفاعل اكثر من الفعل (٤) ، فإنَّ التغيير في الموقع يحدث تغييراً معنوياً خاصاً .

فقوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة (٥)] ، الضمير ﴿ إِيَّاكَ ﴾ في موضع نصب مفعول به لـ [نعبد ، نستعين] بالعطف على إنهما مفعولان تقدما ليُفيدا دلاليا الحصر للعبادة والاستعانة لله وحده لا شريك له ، ولو أُخرا أي جاءا على الاصل لاتصلا من ناحية الشكل ، ولأفادا أن العبادة لله ولا مانع من عبادة غيره معه من ناحية الدلالة (٥) ، ((فضلاً عن ان تقديم المفعول ، أفاد في رعاية الشرط الجمالي

---

(١) إجابة السيد المدرسي لسؤال الباحث : ما هو رأيكم في التقديم والتأخير الوارد في القرآن الكريم ، وقد أجاب السيد المدرسي بما اوردناه من معنى . اللقاء في مسجد الإمام موسى الكاظم " عليه السلام " ، كربلاء المقدسة ، برفقة الأستاذ المشرف ، في يوم الأربعاء ، الموافق ٢٠١٦/١٠/١٨ .

(٢) فقه الاستنباط : ج٢ : ص٢١٠ ـ ٢١١ .

(٣) دلائل الإعجاز : ص١٠٦ .

(٤) لقاء للباحث مع السيد المدرسي في اللقاء في مسجد الإمام موسى الكاظم " عليه السلام " ، كربلاء المقدسة ، برفقة الأستاذ المشرف ، في يوم الأربعاء ، الموافق ٢٠١٦/١٠/١٨ .

(٥) يُنظر : التقديم والتأخير في ترتيب الأشياء في القرآن الكريم دراسة دلالية ، د. تومان غازي حسين ، د. خالد كاظم حميدي ، مجلة دواة ، تصدر عن العتبة الحسينية المقدسة ، قسم الإعلام ، دار اللغة العربية ، العدد السابع ، ٢٠١٦م:ص١٣ .

للفواصل القرآنية بالجناس مع : (العالمين ، الرحيم ، الدين ، نستعين ، ..) وربما هذا هو ما عناه الجرجاني باللطافة وحسن الرونق المرافقة لأسلوب التقديم والتأخير ، فهو ذو وظيفة دلالية جمالية في وقت واحد))(١) ، فإذا كان قصد الشيخ الجرجاني من التقديم والتأخير ما تقدم ، فلا تعارض بين رأيه ورأي السيد المدرسي .

٢ ـ **تقديم لا على نيّة التأخير** : والمقصود في هذا النوع هو التغيير في شكل المتقدم ، أي أن الاصل فيه اذا تأخر تتغير حركته الإعرابية ، وفي تقديمه تتغير أيضاً فتجعل له باباً غير بابه الأصلي ، وكذلك اعرابه (٢) ، وهذا مما يحتمل أن يأخذ اللفظ مكان الآخر ، وقد مثل لذلك الجرجاني بالآية القرآنية المباركة: ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم (٤)] ، وقال : ((أنَّا نعلم أن "اشتعل" للشيب في المعنى ، وإن كان هو للرأس في اللفظ ، .... وإن أُسند إلى ما أسند إليه .. تأخذ اللفظ فتُسنده إلى الشيب صريحاً فتقول : " اشتعل شيبُ الرأس" أو " الشيب في الرأس " ثم تنظر هل تجد ذلك الحسن وتلك الفخامة ؟ وهل ترى الروعة التي كنت تراها ؟)) (٣) ، فالجرجاني يرى أن الأصل في الفاعل هو الشيب وللغرض البلاغي تأخر ويرى أن الاشتعال مخصوص في المعنى للشيب لا للرأس .

بينما يرى السيد المدرسي أن " الاشتعال " استعيرت لغرض بلاغي يوحي بسرعة الانتشار ، وذلك في قوله : ((والتعبير بكلمة **"اشتعل"** تعبير بلاغي يُلفت النظر إلى المشاق والصعوبات التي لاقاها في عمره الطويل ، كما توحي أيضاً بسرعة الشيب في الرأس))(٤) ، فقول السيد المدرسي يؤكد أن " اشتعل" للرأس لفظاً ومعنىً ، وليس للشيب في الاشتعال نصيب ، وهذا هو الصواب ، اذ لو سلمنا لقول الجرجاني لكان الاشتعال للشيب لا للرأس ، والسياق القرآني يؤكد أن الرأس هو الذي اشتعل بانتشار الشيب .

هذه تقسيمات الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، وقد اضاف الزركشي نوعين آخرين فيكون :

٣ ـ **ما قُدِّمَ والمعنى عليه** : وله مقتضيات كثيرة ، منها : الرتبة ، الداعية ، السبق ، والتعظيم والشرف ، وسبق ما يقتضيه تقديمه ومراعاة اشتقاق اللفظ (٥) ، وغيرها من تلازمات دلالية ، وهذه مظاهر بلاغية للتقديم والتأخير .

---

(١) التقديم والتأخير في ترتيب الأشياء في القرآن الكريم دراسة دلالية : ص١٣ .

(٢) يُنظر : دلائل الإعجاز : ص١٠٦ ، الأسرار البلاغية للتقديم والتأخير في سورة البقرة "دراسة تطبيقية" ، (رسالة) ، خالد بن محمد العثيم ، جامعة ام القرى ، كلية اللغة العربية، السعودية ، ١٩٩٨م : ص٤٦ .

(٣) دلائل الإعجاز : ص١٠٠ ـ١٠١ .

(٤) من هدى القرآن : ج٥ : ص١١٣ .

(٥) يُنظر : البرهان في علوم القرآن : ج٣ : ص١٥٤ـ ١٥٥ ، بدر الدين الزركشي وجهوده البلاغية ، (رسالة) ، مكي محي عيدان الكلابي ، الجامعة المستنصرية ، كلية الآداب ، ١٩٩٧م : ص٦٤ .

وتابع السيدُ المدرسي الزركشيَّ في هذا التقسيم ، فقد أشار إلى هذه المعاني في تفسير عدد من الآيات القرآنية ، منها ما يفيد الرتبة جاء في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ [الزخرف(٨١)] ، يقول السيد المدرسي : ((ويمكن اعتبار إِنْ هنا وصلية ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ ﴾ سواء بالتجزيء أو تشريفا لخصوصية النبوة وبعض الامتيازات، فقد كانوا الأكثر عبادة ورفعة من عبد الرحمان فاتخذهم الله ولدا تشريفا كما تحكي هذا التوهم: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء(٢٦)].

﴿ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ في رتبة العبودية وكما أنني الأوّل في درجات العصمة والولاية والرسالة بين الانبياء، إذن فأنا أوّل وأولى مَن يُتخذ ولدا لهذه الكرامة العليا. لكن هل يكون العبد ربّاً، وهل يظهر من الأنبياء تجاه الرب إلا العبودية؟ فإذن العبودية تنفي النسبة التشريفية بالولد، كما تنفي النسبة الذاتية بالطبع))(١) ، فقدَّم نفسه " عليه السلام " لأنه أعلى رتبة بين الناس في العبودية ، فتنبه السيد المدرسي لهذا التقديم بالأولية في العصمة والولاية والرسالة ، وقد أقرَّ بالعبودية لله تعالى ونفى ألوهية نفسه .

وإلى هذا المعنى ذهب السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) في تفسيره لهذه الآية المباركة فيقول : ((ابطال لألوهية الولد بإبطال أصل وجوده من جهة علمة .... والتعبير بأن الشرطية دون لو الدالة على الامتناع وكان مقتضى المقام أن يُقال : لو كان للرحمن ولد، لاستنزالهم عن رتبة المكابرة إلى مرحلة الانتصاف))(٢) ، ولم يُشر لذلك الزمخشري ت(٥٣٨هـ) وإبن عطية ت(٥٤٦هـ) وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) لذلك (٣) ، لعل السبب هو إضافة هذا القسم بعدهم على يد الزركشي ت(٧٩٤هـ) ، وهذا يدل على أن هذه الأغراض هي من وضع الزركشي ولم تكن مطروحة قبله ، وكذلك السيوطي ت(٩١١هـ) لم يذكرها لأن تفسيره كان معتمداً على المأثور فلم يورد هذا المصطلح في هذه الآية المباركة(٤) .

فقد وافق السيدُ المدرسيُّ السيدَ الطباطبائي في هذه الآية المباركة وأن التقديم لأجل الرتبة.

وقد جاء تقديم الداعية في قوله تعالى : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ [المائدة (٧٢)] ، فقدَّم نفسه لأنه داعية، فيقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((إنه داعية إليه قالها بكل صراحة: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ ثم حذر من الشرك بالله، وبين جزاء المشرك، أكد بأنه لا هو ولا غيره قادرين على مقاومة

---

(١) من هدى القرآن : ج٩ : ص٨٠ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن : ج١٨ : ص١١٤ .

(٣) يُنظر : الكشاف : ج٥ : ص٤٥٨ ، المحرر الوجيز : ج٧ : ص٥٦٥ ، البحر المحيط : ج٨ : ص٢٨ .

(٤) يُنظر : الدر المنثور : ج١٣ : ص٢٤٠ .

إرادة الله في نصرة الظالم، وانقاذه من النار))(١) ، فقال (رَبِّي) ومن ثمّ قال (وَرَبِّكم) ، اذ تنبه السيد المدرسي إلى هذا التقديم فلأنه داعية الى الله قدم نفسه عليهم ولم يقل ربنا ليجمع بينه وبينهم . ولم يتطرق أحد قبل السيد المدرسي إلى هذا التقديم (٢) فهو رأي خاص به .

وجاء التقديم للسبق وإنَّ ((مفهوم السبق أشمل من مجرد التقدم الزمني إلى الإيمان، إذ يتسع للتسارع في الخيرات، والمبادرة إلى درجات الإيمان))(٣) وفي قوله تعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ(١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر(١-٢)] ، يقول السيد المدرسي في تقديم الفجر على الليالي العشر : ((وبالرغم من أن الليالي العشر سبقت الفجر، إلا إن الفجر هو الهدف منها ولذلك سبقها بالبيان، لنعلم أن عاقبة العسر يسر، وأن ليالي الجهاد والصبر والاستقامة على ظلم الطغاة ستنتهي بفجر النصر المبين بإذن الله، كما تنتهي ليالي الحج بفجر العيد. ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ قالوا: إن ﴿ وَلَيَالٍ ﴾ جاءت بلا ألف ولام للدلالة على التعظيم، بلى، وليلة الجهد والتعب طويلة كما ليلة الترقب والانتظار، وليالي المؤمنين مزيجة أبدا بالجهد المكثف والانتظار معاً فما أطولها))(٤) ، فتقديم الفجر جاء في هذه الآية المباركة لبيان الهدف رغم أن حق الليالي بالتقديم ، فقد أشار السيد المدرسي إلى المغزى المراد من هذا التقديم.

وجاء لغرض السبق في (من هدى القرآن) في أكثر من موضع أشار إليها السيد المدرسي(٥) ، وما ذكرناه على سبيل المثال .

و جاء التقديم للتعظيم في قوله تعالى : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج (٢٧)] ، يقول السيد المدرسي في تقديم الحج على الشعائر الباقية : ((هكذا يبدأ السياق بذكر الحج من [الآية(٢٦)]، ويستمر ببيان جانب هام من التقوى، هو تعظيم حرمات الله واحترام شعائره، وينهى عن الأوثان، ويأمر برفضها عبر الحنيفية التي تعني الطهارة والنقاء))(٦) ، فجاء التقديم للحج لغرض التعظيم .

ومن مراعاة اشتقاق اللفظ جاء في تقديم القلب في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج(٤٦)] ، يقول السيد

---

(١) من هدى القرآن : ج٢ : ص٢٦٢ .

(٢) يُنظر : الكشاف : ج٢ : ص٢٧٦ ، المحرر الوجيز : ج٣ : ص٢٢٤ ، البحر المحيط : ج٣ : ص٥٤٣ ، الميزان في تفسير القرآن : ج٦ : ص٦٥ .

(٣) من هدى القرآن : ج١٠ : ص١٩٤ .

(٤) المصدر نفسه : ج١٢ : ص١٨٤ .

(٥) يُنظر : المصدر نفسه : ج٣ : ص٢١٣ ، ج١٠ : ص١٦٩ ، ص١٩٣ ، ص٤٤١ .

(٦) المصدر نفسه : ج٥ : ص٣٥٠ .

المدرسي في تفسيرها : ((﴿ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ قد يكون اشتقاق ﴿قُلُوبٌ﴾ لغوياً من الفعل (قلب- يقلب) أي تقليب الأمر بشتى وجوهه واحتمالاته فيكون مدلول القلب قريباً من مدلول (الفكر)، فيكون معنى الآية: أفلا يتفكرون في الحياة، ويعقلون حقائقها، وكيف حلَّ بمن قبلهم لما عصوا وكانوا يعتدون))(١) ، فتنبه السيد المدرسي إلى هذا الإشتقاق وقربه من الفكر ، لذا قُدِّم على العقل .

وهذه الموارد لم يُشر إليها الثعلبي ت(٤٢٧هـ) والواحدي ت(٤٦٨هـ) والزمخشري ت(٥٣٨هـ) وابن عطية ت(٥٤٦هـ) وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) والسيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) (٢) ، اذ كان تفسيرهم فقهياً وعقدياً ، ولم يتطرقوا لهذه المعاني البلاغية .

٤ ـ ما تقدَّم في آية وتأخر في آية أُخرى :

في القرآن الكريم وردت ألفاظ تقدمت في آية وتأخرت في آية أخرى ، وكل من هذين الغرضين له معناه السياقي القرآني الذي يريد أن يؤديه ، فلا يؤدي معنى السياق إلا بكامل مفرداته في القرآن الكريم، وهذا ما تفرد به كلام ربنا عزَّ وجل دون غيره من الكلام .

((فمن ذلك قوله في فاتحة الفاتحة : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ [الفاتحة (١)] ، وخاتمة الجاثية : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ ﴾ [الجاثية(٣٦)]، فتقديم (الحمد) في الاول جاء على الأصل ، والثاني على تقدير الجواب ، فكأن قيل : عند وقوع الأمر : لمن الحمد ؟ ومن أهله ؟ فجاء الجواب على ذلك))(٣) ، ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ ﴾.

ولم يأتِ التقديم والتأخير في القرآن الكريم اعتباطاً ، وإنَّما جاء بصيغة اسلوب فنيٍّ مقصود ، لأن الجملة العربية تخضع لترتيب خاص في سياق الكلام ، مراعاةً للوظائف التي تشغلها اركانها الإسنادية في موضعها الأصلي ، فالخرق الحاصل لهذا النظام اللغوي هو زيادة في المعنى الدلالي يضيفه للسياق الوارد فيه ، فينقل المعاني من السطحية إلى معانٍ عميقة (٤) .

---

(١) من هدى القرآن : ج٥ : ص٣٩٨ .

(٢) يُنظر : الكشف والبيان : ج٧ : ص٢٧ ، التفسير البسيط : ج١٥ : ص٤٤٣ ، الكشاف : ج٤ : ص٢٠١ ، المحرر الوجيز : ج٦ : ص٢٥٨ ، البحر المحيط : ج٦ : ص٣٥٢ ، الميزان في تفسير القرآن : ج١٤ : ص٣٥٥.

(٣) التقديم والتأخير في ترتيب الأشياء في القرآن الكريم دراسة دلالية : ص١٤ .

(٤) يُنظر : المعاني في ضوء أساليب القرآن : د. عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٧٨م :ص٢١٧.

• الأغراض البلاغية التي يفيدها التقديم والتأخير :

ذكرنا بشكل مختصر أن لهذا الاسلوب البلاغي أغراضاً يؤديها من خلال التغيير في بنية الجملة، حيث ينقل المعنى إلى اكثر من المعنى الظاهر المعروف من خلال الألفاظ الواردة في السياق ومن هذه الاغراض :

١ـ التخصيص :

وهو من الأغراض البلاغية التي يفيدها اسلوب التقديم والتأخير من خلال سياق الخطاب ، وللسيد المدرسي رأي في البسملة ، إذ لا يُقدر أفعالاً [أقرأ ، أتلو ، أبتدأ] كما قدر ذلك المفسرون (١)،وإنَّما طبق رأي الأصوليين فيها فإنَّه يرى أن ﴿ بِسْمِ اللهِ ﴾[الفاتحة (١)] تكفي لإيراد معنى كامل وهذا من المخصوصات بالله تعالى (٢)، ومن التخصيص ما جاء في قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلّهِ ﴾ [الفاتحة (٢)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((تؤكد السورة الشريفة على تخصيص الحمد لله وحده، فنذكره بالصفات الحسنى لأنه رب العالمين، وهو الرحمن الرحيم الذي خلق العالمين برحمته، ولأن مصيرهم إليه، فهو مالك يوم الدين، حيث يحكم بينهم بالعدل، فنعبده ونتوسل إليه ونستعين به، فنهتدي بأوامره فقط، ولا نكون عبيداً لمخلوقاته))(٣) ، ونستنتج من هذا أن التخصيص عند السيد المدرسي يكون في تقديم المسند اليه أيضاً لا في المسند فقط ، لأنه أشار إلى معنى التخصيص في المبتدأ في هذه الآية المباركة .

وإلى هذا المعنى ذهب أبو حيان ت(٧٤٥هـ) في تفسيره لهذه الآية المباركة ، فيقول : ((فيتخصص الحمد بتخصص فاعله وأشعر بالتجدد والحدوث ..))(٤) ، فقد وافق السيد المدرسي أبا حيان في تفسير هذه الآية المباركة ، اذ أنها لتخصيص الحمد لله وحده .

وفي قوله تعالى : ﴿ لَّن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا ﴾ [الكهف(١٤)] ، يقول السيد المدرسي بسبب تأخير ﴿إِلَهًا﴾ : ((فكلمة ﴿ إِلَهًا ﴾ تشير إلى عدم التخصيص بالملك الذي كان يحكم في زمانهم، بل إلى كل من يتصف بادعاء الندية لله سبحانه وهكذا كانت رؤيتهم صافية. لأنَّ الله سبحانه أيدهم وربط على قلوبهم))(٥)، فالتأخير أدى إلى عدم التخصيص بالألوهية ، فقد تنبه السيد المدرسي إلى أن التقديم والتأخير له الأثر البالغ في إيراد

---

(١) يُنظر : الكشاف: ج١ : ص١٠٠، التفسير الكبير(مفاتيح الغيب) : ج١ : ص١٠٨ ، تفسير الطبري :ج١:ص٩.

(٢) يُنظر : من هدى القرآن : ج١ : ص١٤٣ ـ ١٤٤.

(٣) من هدى القرآن : ج١ : ص١٤١ .

(٤) البحر المحيط : ج١ : ص١٣١ .

(٥) من هدى القرآن : ج٥ : ص٢٨ .

المعاني العميقة الواردة في السياق القرآني ، فالتأخير هنا أدى إلى معانٍ عميقة أبعد من المعاني الظاهرة، ألا وهي نفي الثابت وعدم التخصيص .

وكذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً ﴾ [الأحزاب(٧)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((ولعل وجه التخصيص أن أولي العزم أكرم الناس عند الله، فهم أكثرهم تعرضا للبلاء والمصاعب))(١) ، اذ رأى السيد المدرسي أن تقديم المسند ﴿ مِنْهُمْ ﴾ على المسند إليه ﴿مِيثَاقاً غَلِيظاً ﴾ أدى إلى معنى التخصيص . إذن مما تقدم تبين لنا أن السيد المدرسي قد تنبه إلى المغزى من التقديم والتأخير في السياق القرآني ، وما الغرض منه . وما اوردناه هو للمثال لا للحصر ، فقد وجدنا خروج هذا الاسلوب لغرض التخصيص في التفسير كثيراً ، فارتأيتُ أن أذكر نماذج فقط(٢) .

٢ـ الحصر :

من الأغراض التي أفادها القرآن الكريم في سياقاته المختلفة هو [الحصر] ، وهذا ما ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينَ ﴾ [الفاتحة (٥)] ، كما نوهنا في موضوع الإلتفات ، إنَّ السيد المدرسي فسر هذه الآية في سورة الأحزاب مع آية التطهير لبيان التحوُّل الحاصل فيها من الغيبة إلى الخطاب ، وفي المورد ذاته يذكر أنها تفيد الحصر ، وذلك في قوله : ((... عبارة : نعبدك ونستعينك ، تحمل الظن أننا نعبد غيره تعالى أيضاً ، أمّا وقد تقدمت كاف الخطاف (*) التي تخص بالخطاب فقد حصرت العبادة والاستعانة في الله وحده))(٣) ، فقد بيَّن السيد المدرسي أن تقديم المفعول به هنا أفاد معنى الحصر .

وإلى هذا المعنى ذهب السيد الطباطبائي إذ يقول : ((فهو تعالى مالك على الإطلاق من غير شرط ولا قيد وغير مملوك على الإطلاق من غير شرط ولا قيد فهناك حصر من جهتين ، الربّ مقصور على الملكية ، والعبد مقصور على العبودية ، وهذا الذي يدل عليه قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ حيث قدم المفعول وأطلق العبادة ....))(٤) .

---

(١) من هدى القرآن : ج٧ : ص١٧١ .

(٢) يُنظر : من هدى القرآن : ج٧ : ص٢٢٧ ، ج٨ : ص١٥ ، ص٦٥ ، ص٩٨، ص٤٢٢ ، ج١٠ : ص٤٢٤ ، ج١١ : ص٣٤١ ، ج١٢ : ص١٥٧ .

(*) كذا في الأصل ، والصواب : كاف الخطاب .

(٣) من هدى القرآن : ج٧ : ص١٩٩ .

(٤) الميزان في تفسير القرآن : ج١ : ص٢٨ .

في حين الزمخشري ت(٥٣٨هـ) والبيضاوي ت(٦٨٥هـ) يذهبان إلى أن هذه الآية المباركة تفيد التخصيص (١) ، لكن حصر العبادة في الله أقرب للسياق من التخصيص ، فما ذهب إليه السيد الطباطبائي والسيد المدرسي أقرب .

وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ [سبأ (٤٠)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((ولعل تقديم المفعول الذي يدل على الحصر يوحي بأن طبيعة العبادة لا تتجزأ، فلو كانوا يعبدون الملائكة حقا فلابد أنهم كانوا يخلصون العبادة لهم))(٢) .

لكن أبا حيان يرى ان التقديم هنا جاء للبلاغة ولرعاية الفاصلة ، وذلك في قوله : ((و(إياكم) مفعول (يعبدون) ولما تقدم انفصل . وانما تقدم ، لأنه ابلغ في الخطاب ، ولكون (يعبدون) فاصلة ، فلو أتى بالضمير منفصلاً (*) كان الترتيب : يعبدونكم ولم تكن فاصلة))(٣) .

ولا ضير في أن يأتي التقديم هنا للحصر ومراعاة للفاصلة ، فأبو حيان الاندلسي لم يشرح قوله : (أبلغ في الخطاب) ربما قصد معنى الحصر وهذا وارد لأنه من الفنون البلاغية التي يقدمها التقديم والتأخير في الألفاظ الواردة في سياق الآيات القرآنية المباركة ، وقد تنبه السيد المدرسي إلى المعنى الذي أعطاه التقديم ـ تقديم المفعول به ـ ههنا الحصر وهو الصواب .

وكذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الزمر (٦٦)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((وفي مقابل دعوة الله نبيه وبالتالي كل مؤمن لرفض الشرك في الآيتين المتقدمتين، يدعوه في هذه الآية لعبادة الله وحده وشكره على توفيقه له لعبادته. لأن ذلك من أكبر نعم الله على الإنسان. ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾وفي تقديم كلمة اللَّهَ (المفعول به) على الفعل والفاعل ﴿ فَاعْبُدْ ﴾ دلالة على أن العبادة يجب أن تكون خالصة منحصرة لله وحده. وهذا يشبه تقديم الضمير المنفصل﴿ إِيَّاكَ ﴾ وهو المفعول على الفعل والفاعل نَعْبُدُ في سورة الحمد، أما الشكر المأمور به فهو على عبادة الله التي لا تتم إلا بتوفيق الله أو هو على عموم نعم الله)) (٤) ، فقد تنبه السيد المدرسي إلى تقديم المفعول به لفظ الجلالة [الله] للدلالة على حصر العبودية له سبحانه .

---

(١) يُنظر : الكشاف : ج١: ص١٠٢ ، تفسير البيضاوي : ج١: ص٦ .

(٢) من هدى القرآن : ج٧ : ص٢٩٥ .

(*) كذا في الأصل والصواب : متصلاً .

(٣) البحر المحيط : ج٧ : ص٢٧٣ .

(٤) من هدى القرآن : ج٨ : ص١٩٠ .

٣ـ الترتيب :

جاء هذا الغرض في بلاغة التقديم والتأخير للألفاظ لترتيب الأشياء ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾ [المدثر(١٨)] ، ينقل السيد المدرسي بعض آراء المفسرين ويوافقها ، فيقول : ((والتفكير هو تقليب وجوه الرأي، والتقدير هو تحويل التفكير إلى خطة بعد الدراسة، يقال: فَكَّر في الأمر وتَفَكَّرَ، إذا نظر فيه وتدبر، لما تفكر رتب في قلبه كلاما وهيأه، وهو المراد من قوله: ﴿وَقَدَّرَ﴾ ، وقال العلامة الطباطبائي: والتقدير عن تفكير نظم معاني وأوصاف في الذهن بالتقديم والتأخير، والوضع والرفع لاستنتاج غرض مطلوب، وقد كان الرجل يهوى أن يقول في أمر القرآن شيئا يبطل به دعوته ، ولقد توهم الوليد بتفكيره وتقديره أن تهمة السحر ستدحض الحق .. وليس الأمر كذلك ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ ، ولقد ذم الله تفكره لأنه. فكر فكراً يحتال به للباطل، لأنه لو فكر على وجه طلب الرشاد لم يكن مذموما بل كان ممدوحاً ، لأن التفكير والتخطيط بإعمال العقل على ضوء المعلومات والمعطيات أمر حسن بذاته، وإنما جاءت رسالات الله وبعث الأنبياء لغرض إصلاح الناس وهدايتهم باستثارة العقول))(١) ، ولم يعارض السيد المدرسي أحدا من المفسرين (٢) بل وافقهم في ان هذه الآية في تقديمها وتأخيرها لبعض ألفاظها أفادت ترتيب الأشياء.

٤ـ العناية :

من الأغراض التي يؤديها التقديم والتأخير هي العناية بالمتقدم وما حقه التأخير ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ [الصافات (٨٦)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((قال المفسرون : إنما قدَّم كلمة ﴿ أَئِفْكاً ﴾ وهي مفعول ، للعناية الخاصة بها ولبيان أن كل تبريراتهم لعبادة الآلهة خاطئة فليسوا هم إلا كاذبين. وهذا يمثل قمة التحدي، من إبراهيم عليه السلام لذلك الضلال المنتشر بين قومه))(٣) .

---

(١) من هدى القرآن : ج١١ : ص٣٥٢ .

(٢) يُنظر : التفسير الكبير : ج٣٠: ص٢٠٠ ، الميزان في تفسير القرآن ج٢٠:ص٨٦ ، التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي ت(٤٦٠هـ) ، تحقيق : أحمد حبيب قصير العاملي ، مكتب الإسلام الإعلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٩م : ج١٠ : ص١٧٧ .

(٣) المصدر نفسه : ج٨ : ص٤٤ .

وقد ذهب إلى هذا المعنى الزمخشري ت(٥٣٨هـ) في قوله : ((إنما قدم المفعول على الفعل للعناية))(١) وكذلك ذهب أبو حيان ت(٧٤٥هـ) إلى أن التقديم ههنا أفاد العناية بقوله : ((وقدَّمه عناية به))(٢) ، وإلى هذا المعنى ذهب السمين الحلبي ت(٧٥٦هـ) (٣) أيضاً.

فالسيد المدرسي وافق الزمخشري واباحيان والسمين الحلبي في هذه الآية المباركة ، أن التقديم ههنا للعناية ، لأنه لم يَعترض على ما قالوا به مما يتبين موافقته لهم ، فهي للعناية

٥ـ التنبيه :

وهو من الأغراض التي يفيدها التقديم والتأخير ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ [المدثر(٣)] ، يشرح السيد المدرسي هذه الآية شرحا مفصلاً ويبين ان التقديم ههنا جاء للتنبيه بعد أن يذكر رأي الرازي ، فيقول : ((ولعل من مفاهيم تكبير الله أن يسعى الإنسان المؤمن لتحطيم كيان الضلال والكفر، كي تتهاوى أنظمة الاستكبار والإفساد، وتبقى كلمة الله هي العليا في الواقع السياسي والاجتماعي، ويكون هو الأكبر في نفوس الناس ووعيهم، وتكبره ألسنتهم بالغدو والآصال، قال الفخر الرازي: وهذا تنبيه إلى أن الدعوة إلى معرفة الله ومعرفة تنزيهه مقدمة على سائر أنواع الدعوات (*) ، والذي يريد أن يدعو الناس إلى التوحيد يجب عليه أن يسقط كل الأصنام في نفسه بالتكبير أولا، ثم يقدم نفسه نموذجا حقيقيًّا لرسالته، فإن ذلك يعظِّم الله ويكبِّره في نفوس الآخرين))(٤) .

نرى أن السيد المدرسي قد وافق الفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) في هذا المورد ، في أن تقديم المفعول به أفاد التنبيه في المعنى .

---

(١) الكشاف : ج٥ : ص٢١٦

(٢) البحر المحيط : ج٧ : ص٣٥٠ .

(٣) يُنظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ج٩ : ص٣١٩ .

(*) يُنظر : التفسير الكبير : ج٣٠: ص١٩١ .

(٤) من هدى القران : ج١١ : ص٣٤٢ .

٦ـ الحذر والإحتراز :

من الفوائد التي يأتي لأجلها التقديم والتأخير هو الحذر والاحتراز ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ [المدثر(٥)] ، يقول السيد المدرسي : ((أي اقطع صلتك به. واختُلف في الرجز فقيل: هو الأصنام والأوثان عن ابن عباس، وقيل: المعاصي عن الحسن، وقيل معناه: جانب الفعل القبيح والخلق الذميم، وقيل معناه: أخرج حب الدنيا من قلبك لأنه رأس كل خطيئة (*) ، وقيل:

اهجر ما يؤدي إلى العذاب (**) ، وقال الرازي : الرجز العذاب، قال الله تعالى : ﴿ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ ﴾ [الأعراف(١٣٤)] أي العذاب، ثم سُمِّي كيد الشيطان رجزا لأنه سبب للعذاب، وسميت الأصنام رجزا لهذا المعنى، فعلى هذا القول تكون الآية دالة على وجوب الاحتراز عن كل المعاصي(***)

، ومثله صاحب الكشاف والميزان. وعن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول: هِيَ الأَوْثَانُ (****) .

وكل ما ذكره المفسرون صحيح، إلا أنه مصاديق لشيء واحد هو الباطل، وأظهر مفردات الرجز التي يجب على الداعية الرسالي مقاطعتها))(١) .

فالسيد المدرسي يوافق الذين سبقوه في آرائهم ويَزيد عليها ، الإحتراز والحذر من كل باطل ، فهو يعرض آراءهم ومن ثم يزيد عليها الإحتراز من الرجز على الصعيد الفردي من عقائد وأفكار باطلة وأخلاق وصفات سيئة وممارسات وسلوكيات خاطئة ، وعلى الصعيد الاجتماعي من فواحش كالزنى والسرقة وغيرها ، وعلى الصعيد السياسي من إعانة الطغاة على الفقراء ، والخضوع للظلمة وغيرها(٢).

(*) يُنظر : مجمع البيان في تفسير القران : ج١٠ : ص٤٨٨ .

(**) يُنظر : التبيان في تفسير القرآن : ج١٠ : ص١٧٣ .

(***) يُنظر : التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ج٣٠ : ص١٩٣.

(****) يُنظر : المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا محيي الدين يحيى النووي ت (٦٧٦هـ) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٢هـ : ج٢ : ص٢٧٠ ، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن المعروف (الحر العاملي) ، مؤسسة أهل البيت "عليهم السلام" لإحياء التراث ، قم المقدسة ، إيران ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ : ج١٧ : ص٣٠٩ ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ت(٩١١هـ)، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣ م : ج٦ : ص٢٨١ .

(١) من هدى القرآن : ج١١ : ص٣٤٤ .

(٢) يُنظر : المصدر نفسه : ج١١ : ص٣٤٤ ـ ٣٤٥ .

٧ـ التوعية والإرشاد :

هو أحد الأغراض البلاغية التي يفيدها التقديم والتأخير ، وقد جاء في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ [الضحى (٩)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((لقد نهض النبي من أرض الحرمان، فكان نصير المحرومين، وقد أوصاه الرب بمداراة اليتيم، ونهاه عن قهره، وتجاوز حقه. ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ إن إحساس اليتيم بالنقص يكفيه قهرا، ولا بد أن يقوم المجتمع بتعويض هذا النقص بالعطف عليه، لكي لا يتكرس هذا النقص في نفسه، فيصاب بعقدة الضعة، ويحاول أن ينتقم عندما يكبر من المجتمع، ويتعالى على أقرانه، ويستكبر في الأرض. ولعل التعبير بعدم القهر يشمل أمرين: الأول: دفع حقوق اليتيم إليه، الثاني: عدم أخذ الحق من عنده بالقهر والتسلط))(١) .

وإلى هذا المعنى ذهب الفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) في تفسير هذه الآية المباركة ، وذلك في قوله : ((فأوصاه برعاية حق اليتيم)) (٢) ، وكذلك الزمخشري ت(٥٣٨هـ) من قبل وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) وإبن كثير ت(٧٧٤هـ) فهم يذكرون هذا المعنى من تلطف وعطف على اليتيم ورعايته وعدم زجره (٣) من خلال تذكير رسول الله بيتمه في السابق ، فجاء الإرشاد إليه بعدم أذية اليتيم.

فجاء رأي السيد المدرسي موافقاً لآراء علماء التفسير السابقين .

يبدو أن هذا الإرشاد جاء من باب [إياك أعني واسمعي يا جارة] فالرسول الكريم ليس بحاجة لهذا الإرشاد وإنمّا هو على خُلقٍ عظيم والقرآن يأمرنا بأخذنا بما يأمرنا به حيث قال تعالى : ﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر (٧)] ، فالتوعية والإرشاد لنا ، وإنما جاء الخطاب للرسول الأكرم " صلى الله عليه وآله " بوصفه الراعي الأول للبشرية ، ومخاطبته تشمل جميع الوجودات لأنه واسطة فيض الوجودات ، وهو ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة (١٢٨)] ، فمن باب أولى أن يكون مرشداً لنا ومعلماً، وهو كذلك ، فالمعني بهذه الآية ليس الرسول الأكرم ، وإنما توعية وارشاد للمسلمين .

---

(١) من هدى القرآن : ج١٢ : ص٢٣٦ .

(٢) التفسير الكبير : ج٣١ : ص٢٢٠ ، يُنظر : سورتا المائدة ومريم موازنة بلاغية ، (رسالة) : ص١٥٨ .

(٣) يُنظر : الكشاف : ج٦ : ص٣٩٤ ـ ٣٩٥ ، البحر المحيط : ج٨ : ص٤٨٢ ، تفسير القرآن العظيم : ج١٤ : ص٣٨٥ ، ويذهب إلى هذا الرأي أيضاً الدكتور فاضل السامرائي ، يُنظر : على طريق التفسير البياني ، د .فاضل السامرائي ، جامعة الشارقة ، الإمارات ، د.ط ، ٢٠٠٢م : ج١:ص١١٩ .

٨ـ السبق :

يأتي التقديم والتأخير بسبب سبق في الخلق ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات (٥٦)] ، وقد أشار السيد المدرسي إلى الأسبقية في الخلق بالنسبة للجن على الإنس في آية الحجر فيقول : ((قبل أن يخلق الله البشر خلق عدوه- الجان- الذي يقابل الإنس، ذكر هنا بلفظة جان للدلالة على طبيعته كما نقول (**الإِنْسَان**) ونشير إلى طبيعته دون ملاحظة أفراده))(١) ، فالأسبقية في الخلق هي من حتَّمت على أن يأتي لفظ الجن سابقاً على لفظ الإنس . وقد جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر (٢٧)] .

وذهب إلى هذا المعنى السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) في تفسير هذه الآية المباركة فيقول: ((لعلَّ تقديم الجن على الإنس لسبق خلقهم على خلق الإنسان قال تعالى : ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر(٢٧)]))(٢) ، فقد وافق السيد المدرسي الطباطبائيَّ في تفسير هذه الآية المباركة .

لكن العلوي ت(٧٤٩هـ) له رأي آخر في تفسير سبق اللفظ وتأخير الآخر بين الجن والإنس فيقول : ((إن الجن إنما قُدم ههنا لما كان المقام مقام خطاب بامتثال الأوامر في العبادة ، فقدَّمهم لمّا كانت المخالفة منهم في ترك العبادة أكثر من الإنس))(٣) ، وهذا الرأي فيه وجهة نظر قريبة ، لكن ما ذهب إليه السيد المدرسي والسيد الطباطبائي هو أقرب للسياق ، فالسبق في الخلق أقرب للسياق من السبق في العصيان ، لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً ، وآية الحجر فسرت آية الذاريات بقوله تعالى : ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر (٢٧)] .

ولم يتعرض الزمخشري ت(٥٣٨هـ) أو أبو حيان ت(٧٤٥هـ) لهذه الأسبقية بتفاصيلها إن كانت في الخلق أو في العصيان (٤) .

---

(١) من هدى القرآن : ج٤ : ص٢٧٧ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن : ج١٨ : ص٤٢١ .

(٣) الطراز : ج٢ : ص٢٣٢ .

(٤) يُنظر : الكشاف : ج٥ : ص٦٢٠ ، البحر المحيط : ج٨ : ص١٤١.

المبحث الأول

التقديم والتأخير
أنواعه وأغراضه البلاغية

في اللغة :

التقديم : مأخوذة من (قَدَمَ) ، و((القاف والدَّال والميم أصل صحيح يدل على سَبْق وَرعف ثُمَّ يُفرع منه ما يُقاربه ...))(١) ، فهو من السِبق ، وهو نقيض التأخير، و **التأخير** : هو ضد التقديم ، حيث أن((الهمزة والخاء والراء اصل واحد إليه ترجع فروعه وهو خلاف التقدُّم))(٢) .

في الإصطلاح :

فهو تقديم لفظٍ حقَّه أن يتأخر أو تأخير لفظٍ حقه أن يتقدم ، والغرض من ذلك فائدة بلاغية ينبئ عنها السياق ، وهو أحد الموضوعات البلاغية التي عُني بها أصحاب البلاغة ، ((فإنهم اتوا به دلالة على تمكنهم في الكلام وانقياده لهم ، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق))(٣) ، وأول من أشار إلى دلالاته البلاغية واعتنى به كمصطلح يدل على هذا الأسلوب هو سيبويه ت(١٧٩هـ) في كتابه(٤) ، وهذا لا يعني أنه لم يكن موجوداً قبل سيبويه بل كان معروفاً بوصفه سلوكاً كلامياً ، لكنه لم يكن معروفاً بمصطلحه وأنواعه وفنونه واغراضه ، لكن اشارة سيبويه لهذا الغرض بيَّنت سره البلاغي ، من حيث العناية ،ولفت الانتباه إلى هذه القضية ، لذا عُدَّ رائداً من الرواد الذين أسهموا في تأسيس علم البلاغة(٥).

ومن ثمَّ نجد الفرَّاء ت(٢٠٧هـ) أيضاً ذكره في أكثر من موضع(٦) ونجد أبا عبيدة ت(٢١٠هـ) يُشير إلى التقديم والتأخير في مجازه بصريح عبارته ، ففي قوله تعالى : ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ﴾[الأنعام (٢)] ، يقول: ((مقدم ومؤخر ، وعنده أجل مسمى ، أي وقتٌ معلوم))(٧) ، وتابع الأخفشُ ت(٢١٥هـ) أبا عبيدة في ذلك (٨) ،حتى وصل الأمر إلى الشيخ عبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١هـ) فقال: بأنَّه ((باب كثير الفوائد،

---

(١) معجم مقاييس اللغة : ج٥ : ص٦٥ ، يُنظر : المعجم القرآني : ج٣ : ص٢٨ .

(٢) معجم مقاييس اللغة : ج١ : ص٦٤ .

(٣) البرهان في علوم القرآن : ج٣ : ص٢٣٣ ، يُنظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ج٢ : ص٣٢٥.

(٤) يُنظر : الكتاب : ج١ : ص٢٤.

(٥) يُنظر : المختصر في تاريخ البلاغة، د. عبد القادر حسين، دار الشروق ، ط١ ، ١٩٨٢م : ص٥٧.

(٦) يُنظر : معاني القرآن ، للفرَّاء : ج٢ : ص١٩٥ ، ج٣: ص٢١٤ ، ص٢٣٦ .

(٧) مجاز القرآن : ج١ : ص١٨٥ .

(٨) يُنظر : معاني القرآن ، للأخفش : ج٢ : ص٣٠١ .

جمُّ المحاسن ، واسع التصرف ،بعيد الغاية ،لا يزال يفترُّ لك عن بديعةٍ ، ويُفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شِعْراً يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ، أن قُدِّم فيه شيء ، وحُوِّل اللَّفظ عن مكان إلى مكان))(١) .

ولعلَّ سعة هذا الباب من أبواب البلاغة اتت من كونه مشتملا على كثير من أجزاء الجملة من مسند ومسند إليه وتقديم احدهما على الآخر ، وإعطاؤهما في ذلك أغراضاً بلاغية وفنوناً كلامية غاية في الروعة من حيث المعاني (٢)، و نجد ممن اعتنى بهذا الغرض ؛ السكاكي ت(٦٢٦هـ) اذ أشار إلى تقديم المسند على المسند إليه والغرض من هذا التقديم (٣) ، وأشار الخطيب القزويني ت(٧٣٩هـ)أيضاً إلى التقديم والتأخير مستفيداً من آراء سابقيه وذلك في قوله : ((وأما تقديمه فلكون ذكره أهم ، اما لأنه الاصل، ولا مقتضى للعدول عنه ، وأما ليتمكن الخبر في ذهن السامع ، لأن في المبتدأ تشويقاً إليه))(٤) ، وقد ذكر الزركشي ت(٧٩٤هـ) أغراضاً أخرى للتقديم والتأخير، منها : الذات، العلة، السببية، السبق ، التعظيم، قصد الترتيب ، رعاية الفاصلة ..... الخ (٥).

ومن جانب آخر نجد المفسرين قد اولوا هذا الغرض عناية غير مسبوقة ، ومن ابرزهم الزمخشري ت(٥٣٨هـ) الذي يُعدُّ تفسيره تفسيراً لغوياً بلاغياً ، اذ نجده يشير إلى التقديم والتأخير والغرض منه وذلك في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة (٥)] ، يقول : ((حيثُ صرَّح بتقديم الاسم ، إرادة للإختصاص))(٦) ، وكذلك البيضاوي ت(٦٨٥هـ) وابن عادل ت(٨٨٠هـ) والشيخ زادة ت(٩٥٠هـ)، والسيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) (٧) ، وغيرهم من المفسرين ، فلا تجد مفسراً يغفل عن الأغراض الدلالية والبلاغية والجمالية للتقديم والتأخير .

والسيد المدرسي أعطى لهذا الغرض البلاغي اهمية كبيرة ويرى أنه من أساليب العرب المبدعة ، وقد جاء بها القرآن الكريم لأغراض لا تكاد معروفة عند العرب قبل القرآن الكريم ، وهو أحد الأساليب القرآنية التي تحدى بها العرب إبَّان نزوله ، فمنها للإختصاص ، والإهتمام ،

---

(١) دلائل الإعجاز : ص١٠٦ ، يُنظر : عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية : د. احمد احمد بدوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ،د.ط ، د . ت : ص١٣٨ .

(٢) يُنظر : البحث البلاغي في تفسير اللباب (رسالة) : ص٨٤ .

(٣) يُنظر : مفتاح العلوم : ص١٩٤ .

(٤) التلخيص : ص٧٤ .

(٥) يُنظر : البرهان في علوم القرآن : ج٣ : ص٢٣٩ .

(٦) الكشاف : ج١ : ص١٠٢ .

(٧) يُنظر : تفسير البيضاوي : ج١ : ص١٤ ، تفسير اللباب في علوم الكتاب : ج١٩ : ص١٢٣ ، حاشية الشيخ زادة : ج٣ : ص٤٨٣ ، الميزان في تفسير القرآن : ج١٧ : ص٢٤٩ .

والحصر ، وغيرها (١) . ولترتيب الكلمات أهمية كبيرة لأنه ((سيكون له هدف أسمى يتمثل في بيان المعاني البلاغية . فإذا قلتَ : (ضربتُ زيداً) فإنَّ موضع الإهتمام عندك هو وقوع الضرب منك ، أما اذا قلت : (زيداً ضربتُ) فإنَّ موضع الاهتمام هو المفعول باعتباره رجلاً هامَّاً وقع عليه الضرب، وأما اذا قلتَ : (أنا ضربتُ زيداً) فإنَّ موضع الإهتمام سيكون الفاعل وهكذا))(٢)، فالسيد المدرسي يوافق اهل اللغة والبلاغة والتفسير على ما اوردوه من اغراض بلاغية لهذا الأسلوب .

مما تقدم تبيَّن لنا أن النحويين والبلاغيين والمفسرين قد اهتموا بهذا الأسلوب ، لأنه أسلوب متداخل بين النحو والبلاغة .

* **أنواع التقديم والتأخير**: قسّم البلاغيون وعلى رأسهم الجرجاني ت(٤٧١هـ) التقديم والتأخير على :

١ ـ **تقديم على نيِّةِ التأخير** : اذ يقول فيه الجرجاني : ((ذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه ، كخبر المبتدأ اذا قدمته على المبتدأ ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك : " منطلق زيد " و " ضرب عمراً زيدٌ " ، معلوم أنّ " منطلق " و " عمراً " لم يخرجا بالتقديم عمَّا كانا عليه ، من كون هذا خبر مبتدأ ومرفوعاً بذلك ، وكون ذلك مفعولاً ومنصوباً من أجله، كما يكون إذا أخرت.))(٣) ، من قوله هذا نستشف أنَّ هذا النوع من التقديم والتأخير هو تغيير موقعي في بنية الخطاب ليس إلاَّ ، فما كان في موقعه مرفوعاً يبقى مرفوعاً سواء تقدم أو تأخر ، لكن السيد المدرسي له رأي في التقديم والتأخير في هذا المضمار ، إذ إنَّ التغيير يكون معنوياً وليس في شكل الخطاب ، فإذا اراد المتكلم تقديم الفاعل على فعله بهذا يريد لفت نظر السامع او القارئ إلى الفاعل اكثر من الفعل (٤) ، فإنَّ التغيير في الموقع يحدث تغييراً معنوياً خاصاً .

فقوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة (٥)] ، الضمير ﴿ إِيَّاكَ ﴾ في موضع نصب مفعول به لـ [نعبد ، نستعين] بالعطف على إنهما مفعولان تقدما ليُفيدا دلاليا الحصر للعبادة والاستعانة لله وحده لا شريك له ، ولو أُخرا أي جاءا على الاصل لاتصلا من ناحية الشكل، ولأفادا أن العبادة لله ولا مانع من عبادة غيره معه من ناحية الدلالة (٥) ، ((فضلاً عن ان تقديم المفعول ، أفاد في رعاية الشرط الجمالي

---

(١) إجابة السيد المدرسي لسؤال الباحث : ما هو رأيكم في التقديم والتأخير الوارد في القرآن الكريم ، وقد أجاب السيد المدرسي بما اوردناه من معنى . اللقاء في مسجد الإمام موسى الكاظم " عليه السلام " ، كربلاء المقدسة ، برفقة الأستاذ المشرف ، في يوم الأربعاء ، الموافق ٢٠١٦/١٠/١٨ .

(٢) فقه الاستنباط : ج٢ : ص٢١٠ ـ ٢١١ .

(٣) دلائل الإعجاز : ص١٠٦ .

(٤) لقاء للباحث مع السيد المدرسي في اللقاء في مسجد الإمام موسى الكاظم " عليه السلام " ، كربلاء المقدسة ، برفقة الأستاذ المشرف ، في يوم الأربعاء ، الموافق ٢٠١٦/١٠/١٨ .

(٥) يُنظر : التقديم والتأخير في ترتيب الأشياء في القرآن الكريم دراسة دلالية ، د. تومان غازي حسين ، د. خالد كاظم حميدي ، مجلة دواة ، تصدر عن العتبة الحسينية المقدسة ، قسم الإعلام ، دار اللغة العربية ، العدد السابع ، ٢٠١٦م:ص١٣ .

للفواصل القرآنية بالجناس مع : (العالمين ، الرحيم ، الدين ، نستعين ، ..) وربما هذا هو ما عناه الجرجاني باللطافة وحسن الرونق المرافقة لأسلوب التقديم والتأخير ، فهو ذو وظيفة دلالية جمالية في وقت واحد))(١) ، فإذا كان قصد الشيخ الجرجاني من التقديم والتأخير ما تقدم ، فلا تعارض بين رأيه ورأي السيد المدرسي .

٢ ـ **تقديم لا على نيّة التأخير** : والمقصود في هذا النوع هو التغيير في شكل المتقدم ، أي أن الاصل فيه اذا تأخر تتغير حركته الإعرابية ، وفي تقديمه تتغير أيضاً فتجعل له باباً غير بابه الأصلي ، وكذلك اعرابه (٢) ، وهذا مما يحتمل أن يأخذ اللفظ مكان الآخر ، وقد مثل لذلك الجرجاني بالآية القرآنية المباركة: ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم (٤)] ، وقال : ((أنَّا نعلم أن "اشتعل" للشيب في المعنى ، وإن كان هو للرأس في اللفظ ، .... وإن أُسند إلى ما أسند إليه .. تأخذ اللفظ فتُسنده إلى الشيب صريحاً فتقول : " اشتعل شيبُ الرأس" أو " الشيب في الرأس " ثم تنظر هل تجد ذلك الحسن وتلك الفخامة ؟ وهل ترى الروعة التي كنت تراها ؟)) (٣) ، فالجرجاني يرى أن الأصل في الفاعل هو الشيب وللغرض البلاغي تأخر ويرى أن الاشتعال مخصوص في المعنى للشيب لا للرأس .

بينما يرى السيد المدرسي أن " الاشتعال " استعيرت لغرض بلاغي يوحي بسرعة الانتشار ، وذلك في قوله : ((والتعبير بكلمة **"اشتعل"** تعبير بلاغي يُلفت النظر إلى المشاق والصعوبات التي لاقاها في عمره الطويل ، كما توحي أيضاً بسرعة الشيب في الرأس))(٤) ، فقول السيد المدرسي يؤكد أن " اشتعل" للرأس لفظاً ومعنىً ، وليس للشيب في الاشتعال نصيب ، وهذا هو الصواب ، اذ لو سلمنا لقول الجرجاني لكان الاشتعال للشيب لا للرأس ، والسياق القرآني يؤكد أن الرأس هو الذي اشتعل بانتشار الشيب .

هذه تقسيمات الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، وقد اضاف الزركشي نوعين آخرين فيكون :

٣ ـ **ما قُدِّمَ والمعنى عليه**: وله مقتضيات كثيرة، منها: الرتبة، الداعية، السبق ، والتعظيم والشرف، وسبق ما يقتضيه تقديمه ومراعاة اشتقاق اللفظ (٥) ، وغيرها من تلازمات دلالية ، وهذه مظاهر بلاغية للتقديم والتأخير .

---

(١) التقديم والتأخير في ترتيب الأشياء في القرآن الكريم دراسة دلالية : ص١٣ .

(٢) يُنظر : دلائل الإعجاز : ص١٠٦ ، الأسرار البلاغية للتقديم والتأخير في سورة البقرة "دراسة تطبيقية" ، (رسالة) ، خالد بن محمد العثيم ، جامعة ام القرى ، كلية اللغة العربية، السعودية ، ١٩٩٨م : ص٤٦ .

(٣) دلائل الإعجاز : ص١٠٠ ـ١٠١ .

(٤) من هدى القرآن : ج٥ : ص١١٣ .

(٥) يُنظر : البرهان في علوم القرآن : ج٣ : ص١٥٤ـ ١٥٥ ، بدر الدين الزركشي وجهوده البلاغية ، (رسالة) ، مكي محي عيدان الكلابي ، الجامعة المستنصرية ، كلية الآداب ، ١٩٩٧م : ص٦٤ .

وتابع السيدُ المدرسي الزركشيَّ في هذا التقسيم ، فقد أشار إلى هذه المعاني في تفسير عدد من الآيات القرآنية ، منها ما يفيد الرتبة جاء في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ [الزخرف(٨١)] ، يقول السيد المدرسي : ((ويمكن اعتبار إِنْ هنا وصلية ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ ﴾ سواء بالتجزيء أو تشريفا لخصوصية النبوة وبعض الامتيازات، فقد كانوا الأكثر عبادة ورفعة من عبد الرحمان فاتخذهم الله ولدا تشريفا كما تحكي هذا التوهم: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء(٢٦)].

﴿ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ في رتبة العبودية وكما أنني الأوّل في درجات العصمة والولاية والرسالة بين الانبياء، إذن فأنا أوّل وأولى مَن يُتخذ ولدا لهذه الكرامة العليا. لكن هل يكون العبد ربّاً، وهل يظهر من الأنبياء تجاه الرب إلا العبودية؟ فإذن العبودية تنفي النسبة التشريفية بالولد، كما تنفي النسبة الذاتية بالطبع))(١)، فقدَّم نفسه " عليه السلام " لأنه أعلى رتبة بين الناس في العبودية ، فتنبه السيد المدرسي لهذا التقديم بالأولية في العصمة والولاية والرسالة ، وقد أقرَّ بالعبودية لله تعالى ونفى ألوهية نفسه .

وإلى هذا المعنى ذهب السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) في تفسيره لهذه الآية المباركة فيقول : ((ابطال لألوهية الولد بإبطال أصل وجوده من جهة علمة .... والتعبير بأن الشرطية دون لو الدالة على الامتناع وكان مقتضى المقام أن يُقال : لو كان للرحمن ولد، لاستنزالهم عن رتبة المكابرة إلى مرحلة الانتصاف))(٢) ، ولم يُشر لذلك الزمخشري ت(٥٣٨هـ) وإبن عطية ت(٥٤٦هـ) وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) لذلك (٣) ، لعل السبب هو إضافة هذا القسم بعدهم على يد الزركشي ت(٧٩٤هـ) ، وهذا يدل على أن هذه الأغراض هي من وضع الزركشي ولم تكن مطروحة قبله ، وكذلك السيوطي ت(٩١١هـ) لم يذكرها لأن تفسيره كان معتمداً على المأثور فلم يورد هذا المصطلح في هذه الآية المباركة(٤) .

فقد وافق السيدُ المدرسيُّ السيدَ الطباطبائي في هذه الآية المباركة وأن التقديم لأجل الرتبة.

وقد جاء تقديم الداعية في قوله تعالى : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ [المائدة (٧٢)] ، فقدَّم نفسه لأنه داعية، فيقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((إنه داعية إليه قالها بكل صراحة: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ ثم حذر من الشرك بالله، وبين جزاء المشرك، أكد بأنه لا هو ولا غيره قادرين على مقاومة

---

(١) من هدى القرآن : ج٩ : ص٨٠ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن : ج١٨ : ص١١٤ .

(٣) يُنظر : الكشاف : ج٥ : ص٤٥٨ ، المحرر الوجيز : ج٧ : ص٥٦٥ ، البحر المحيط : ج٨ : ص٢٨ .

(٤) يُنظر : الدر المنثور : ج١٣ : ص٢٤٠ .

إرادة الله في نصرة الظالم، وانقاذه من النار))(١) ، فقال (رَبِّي) ومن ثمّ قال (وَرَبِّكم) ، اذ تنبه السيد المدرسي إلى هذا التقديم فلأنه داعية الى الله قدم نفسه عليهم ولم يقل ربنا ليجمع بينه وبينهم . ولم يتطرق أحد قبل السيد المدرسي إلى هذا التقديم (٢) فهو رأي خاص به .

وجاء التقديم للسبق وإنَّ ((مفهوم السبق أشمل من مجرد التقدم الزمني إلى الإيمان، إذ يتسع للتسارع في الخيرات، والمبادرة إلى درجات الإيمان))(٣) وفي قوله تعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ(١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر(١-٢)] ، يقول السيد المدرسي في تقديم الفجر على الليالي العشر : ((وبالرغم من أن الليالي العشر سبقت الفجر، إلا إن الفجر هو الهدف منها ولذلك سبقها بالبيان، لنعلم أن عاقبة العسر يسر، وأن ليالي الجهاد والصبر والاستقامة على ظلم الطغاة ستنتهي بفجر النصر المبين بإذن الله، كما تنتهي ليالي الحج بفجر العيد. ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ قالوا: إن ﴿ وَلَيَالٍ ﴾ جاءت بلا ألف ولام للدلالة على التعظيم، بلى، وليلة الجهد والتعب طويلة كما ليلة الترقب والانتظار، وليالي المؤمنين مزيجة أبدا بالجهد المكثف والانتظار معاً فما أطولها))(٤) ، فتقديم الفجر جاء في هذه الآية المباركة لبيان الهدف رغم أن حق الليالي بالتقديم ، فقد أشار السيد المدرسي إلى المغزى المراد من هذا التقديم.

وجاء لغرض السبق في (من هدى القرآن) في أكثر من موضع أشار إليها السيد المدرسي(٥)، وما ذكرناه على سبيل المثال .

و جاء التقديم للتعظيم في قوله تعالى : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج (٢٧)] ، يقول السيد المدرسي في تقديم الحج على الشعائر الباقية : ((هكذا يبدأ السياق بذكر الحج من [الآية(٢٦)]، ويستمر ببيان جانب هام من التقوى، هو تعظيم حرمات الله واحترام شعائره، وينهى عن الأوثان، ويأمر برفضها عبر الحنيفية التي تعني الطهارة والنقاء))(٦) ، فجاء التقديم للحج لغرض التعظيم .

ومن مراعاة اشتقاق اللفظ جاء في تقديم القلب في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج(٤٦)] ، يقول السيد

---

(١) من هدى القرآن : ج٢ : ص٢٦٢ .

(٢) يُنظر : الكشاف : ج٢ : ص٢٧٦ ، المحرر الوجيز : ج٣ : ص٢٢٤ ، البحر المحيط : ج٣ : ص٥٤٣ ، الميزان في تفسير القرآن : ج٦ : ص٦٥ .

(٣) من هدى القرآن : ج١٠ : ص١٩٤ .

(٤) المصدر نفسه : ج١٢ : ص١٨٤ .

(٥) يُنظر : المصدر نفسه : ج٣ : ص٢١٣ ، ج١٠ : ص١٦٩ ، ص١٩٣ ، ص٤٤١ .

(٦) المصدر نفسه : ج٥ : ص٣٥٠ .

المدرسي في تفسيرها : ((﴿ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ قد يكون اشتقاق ﴿قُلُوبٌ﴾ لغوياً من الفعل (قلب- يقلب) أي تقليب الأمر بشتى وجوهه واحتمالاته فيكون مدلول القلب قريباً من مدلول (الفكر)، فيكون معنى الآية: أفلا يتفكرون في الحياة، ويعقلون حقائقها، وكيف حلَّ بمن قبلهم لما عصوا وكانوا يعتدون))(١)، فتنبه السيد المدرسي إلى هذا الإشتقاق وقربه من الفكر ، لذا قُدِّم على العقل .

وهذه الموارد لم يُشر إليها الثعلبي ت(٤٢٧هـ) والواحدي ت(٤٦٨هـ) والزمخشري ت(٥٣٨هـ) وابن عطية ت(٥٤٦هـ) وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) والسيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) (٢)، اذ كان تفسيرهم فقهياً وعقدياً ، ولم يتطرقوا لهذه المعاني البلاغية .

٤ ـ ما تقدَّم في آية وتأخر في آية أُخرى :

في القرآن الكريم وردت ألفاظ تقدمت في آية وتأخرت في آية أخرى ، وكل من هذين الغرضين له معناه السياقي القرآني الذي يريد أن يؤديه ، فلا يؤدي معنى السياق إلا بكامل مفرداته في القرآن الكريم، وهذا ما تفرد به كلام ربنا عزَّ وجل دون غيره من الكلام .

((فمن ذلك قوله في فاتحة الفاتحة : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ [الفاتحة (١)] ، وخاتمة الجاثية : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ ﴾ [الجاثية(٣٦)]، فتقديم (الحمد) في الاول جاء على الأصل ، والثاني على تقدير الجواب، فكأن قيل: عند وقوع الأمر: لمن الحمد ؟ ومن أهله ؟ فجاء الجواب على ذلك))(٣) ، ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ ﴾.

ولم يأتِ التقديم والتأخير في القرآن الكريم اعتباطاً ، وإنَّما جاء بصيغة اسلوب فنيٍّ مقصود ، لأن الجملة العربية تخضع لترتيب خاص في سياق الكلام ، مراعاةً للوظائف التي تشغلها اركانها الإسنادية في موضعها الأصلي ، فالخرق الحاصل لهذا النظام اللغوي هو زيادة في المعنى الدلالي يضيفه للسياق الوارد فيه ، فينقل المعاني من السطحية إلى معانٍ عميقة (٤) .

---

(١) من هدى القرآن : ج٥ : ص٣٩٨ .

(٢) يُنظر : الكشف والبيان : ج٧ : ص٢٧ ، التفسير البسيط : ج١٥ : ص٤٤٣ ، الكشاف : ج٤ : ص٢٠١ ، المحرر الوجيز : ج٦ : ص٢٥٨ ، البحر المحيط : ج٦ : ص٣٥٢ ، الميزان في تفسير القرآن : ج١٤ : ص٣٥٥.

(٣) التقديم والتأخير في ترتيب الأشياء في القرآن الكريم دراسة دلالية : ص١٤ .

(٤) يُنظر : المعاني في ضوء أساليب القرآن : د. عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٧٨م :ص٢١٧.

• الأغراض البلاغية التي يفيدها التقديم والتأخير :

ذكرنا بشكل مختصر أن لهذا الاسلوب البلاغي أغراضاً يؤديها من خلال التغيير في بنية الجملة، حيث ينقل المعنى إلى اكثر من المعنى الظاهر المعروف من خلال الألفاظ الواردة في السياق ومن هذه الاغراض :

١ـ التخصيص :

وهو من الأغراض البلاغية التي يفيدها اسلوب التقديم والتأخير من خلال سياق الخطاب ، وللسيد المدرسي رأي في البسملة ، إذ لا يُقدر أفعالاً [أقرأ ، أتلو ، أبتدأ] كما قدر ذلك المفسرون (١)،وإنَّما طبق رأي الأصوليين فيها فإنَّه يرى أن ﴿ بِسْمِ اللهِ ﴾[الفاتحة (١)] تكفي لإيراد معنى كامل وهذا من المخصوصات بالله تعالى (٢)، ومن التخصيص ما جاء في قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلّهِ ﴾ [الفاتحة (٢)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((تؤكد السورة الشريفة على تخصيص الحمد لله وحده، فنذكره بالصفات الحسنى لأنه رب العالمين، وهو الرحمن الرحيم الذي خلق العالمين برحمته، ولأن مصيرهم إليه، فهو مالك يوم الدين، حيث يحكم بينهم بالعدل، فنعبده ونتوسل إليه ونستعين به، فنهتدي بأوامره فقط، ولا نكون عبيداً لمخلوقاته))(٣) ، ونستنتج من هذا أن التخصيص عند السيد المدرسي يكون في تقديم المسند اليه أيضاً لا في المسند فقط ، لأنه أشار إلى معنى التخصيص في المبتدأ في هذه الآية المباركة .

وإلى هذا المعنى ذهب أبو حيان ت(٧٤٥هـ) في تفسيره لهذه الآية المباركة ، فيقول : ((فيتخصص الحمد بتخصص فاعله وأشعر بالتجدد والحدوث ..))(٤) ، فقد وافق السيد المدرسي أبا حيان في تفسير هذه الآية المباركة ، اذ أنها لتخصيص الحمد لله وحده .

وفي قوله تعالى : ﴿ لَّن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا ﴾ [الكهف(١٤)] ، يقول السيد المدرسي بسبب تأخير ﴿إِلَهًا﴾ : ((فكلمة ﴿ إِلَهًا ﴾ تشير إلى عدم التخصيص بالملك الذي كان يحكم في زمانهم، بل إلى كل من يتصف بادعاء الندية لله سبحانه وهكذا كانت رؤيتهم صافية. لأنَّ الله سبحانه أيدهم وربط على قلوبهم))(٥)، فالتأخير أدى إلى عدم التخصيص بالألوهية ، فقد تنبه السيد المدرسي إلى أن التقديم والتأخير له الأثر البالغ في إيراد

---

(١) يُنظر : الكشاف: ج١ : ص١٠٠، التفسير الكبير(مفاتيح الغيب) : ج١ : ص١٠٨ ، تفسير الطبري :ج١:ص٩.

(٢) يُنظر : من هدى القرآن : ج١ : ص١٤٣ ـ ١٤٤.

(٣) من هدى القرآن : ج١ : ص١٤١ .

(٤) البحر المحيط : ج١ : ص١٣١ .

(٥) من هدى القرآن : ج٥ : ص٢٨ .

المعاني العميقة الواردة في السياق القرآني ، فالتأخير هنا أدى إلى معانٍ عميقة أبعد من المعاني الظاهرة، ألا وهي نفي الثابت وعدم التخصيص .

وكذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً ﴾ [الأحزاب(٧)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((ولعل وجه التخصيص أن أولي العزم أكرم الناس عند الله، فهم أكثرهم تعرضا للبلاء والمصاعب))(١) ، اذ رأى السيد المدرسي أن تقديم المسند ﴿ مِنْهُمْ ﴾ على المسند إليه ﴿مِيثَاقاً غَلِيظاً ﴾ أدى إلى معنى التخصيص . إذن مما تقدم تبين لنا أن السيد المدرسي قد تنبه إلى المغزى من التقديم والتأخير في السياق القرآني ، وما الغرض منه . وما اوردناه هو للمثال لا للحصر ، فقد وجدنا خروج هذا الاسلوب لغرض التخصيص في التفسير كثيراً ، فارتأيتُ أن أذكر نماذج فقط(٢) .

٢ـ الحصر :

من الأغراض التي أفادها القرآن الكريم في سياقاته المختلفة هو [الحصر] ، وهذا ما ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينَ ﴾ [الفاتحة (٥)] ، كما نوهنا في موضوع الإلتفات ، إنَّ السيد المدرسي فسر هذه الآية في سورة الأحزاب مع آية التطهير لبيان التحوُّل الحاصل فيها من الغيبة إلى الخطاب ، وفي المورد ذاته يذكر أنها تفيد الحصر ، وذلك في قوله : ((... عبارة : نعبدك ونستعينك ، تحمل الظن أننا نعبد غيره تعالى أيضاً ، أمّا وقد تقدمت كاف الخطاف (*) التي تخص بالخطاب فقد حصرت العبادة والاستعانة في الله وحده))(٣) ، فقد بيَّن السيد المدرسي أن تقديم المفعول به هنا أفاد معنى الحصر .

وإلى هذا المعنى ذهب السيد الطباطبائي إذ يقول : ((فهو تعالى مالك على الإطلاق من غير شرط ولا قيد وغير مملوك على الإطلاق من غير شرط ولا قيد فهناك حصر من جهتين ، الربّ مقصور على الملكية ، والعبد مقصور على العبودية ، وهذا الذي يدل عليه قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ حيث قدم المفعول وأطلق العبادة ....))(٤) .

---

(١) من هدى القرآن : ج٧ : ص١٧١ .

(٢) يُنظر : من هدى القرآن : ج٧ : ص٢٢٧ ، ج٨ : ص١٥ ، ص٦٥ ، ص٩٨، ص٤٢٢، ج١٠ : ص٤٢٤، ج١١: ص٣٤١ ، ج١٢ : ص١٥٧ .

(*) كذا في الأصل ، والصواب : كاف الخطاب .

(٣) من هدى القرآن : ج٧ : ص١٩٩ .

(٤) الميزان في تفسير القرآن : ج١ : ص٢٨ .

في حين الزمخشري ت(٥٣٨هـ) والبيضاوي ت(٦٨٥هـ) يذهبان إلى أن هذه الآية المباركة تفيد التخصيص (١) ، لكن حصر العبادة في الله أقرب للسياق من التخصيص ، فما ذهب إليه السيد الطباطبائي والسيد المدرسي أقرب .

وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ [سبأ (٤٠)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((ولعل تقديم المفعول الذي يدل على الحصر يوحي بأن طبيعة العبادة لا تتجزأ، فلو كانوا يعبدون الملائكة حقا فلابد أنهم كانوا يخلصون العبادة لهم))(٢) .

لكن أبا حيان يرى ان التقديم هنا جاء للبلاغة ولرعاية الفاصلة ، وذلك في قوله : ((و(إياكم) مفعول (يعبدون) ولما تقدم انفصل . وانما تقدم ، لأنه ابلغ في الخطاب ، ولكون (يعبدون) فاصلة ، فلو أتى بالضمير منفصلاً (*) كان الترتيب : يعبدونكم ولم تكن فاصلة))(٣) .

ولا ضير في أن يأتي التقديم هنا للحصر ومراعاة للفاصلة ، فأبو حيان الاندلسي لم يشرح قوله : (أبلغ في الخطاب) ربما قصد معنى الحصر وهذا وارد لأنه من الفنون البلاغية التي يقدمها التقديم والتأخير في الألفاظ الواردة في سياق الآيات القرآنية المباركة ، وقد تنبه السيد المدرسي إلى المعنى الذي أعطاه التقديم ـ تقديم المفعول به ـ ههنا الحصر وهو الصواب .

وكذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الزمر (٦٦)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((وفي مقابل دعوة الله نبيه وبالتالي كل مؤمن لرفض الشرك في الآيتين المتقدمتين، يدعوه في هذه الآية لعبادة الله وحده وشكره على توفيقه له لعبادته. لأن ذلك من أكبر نعم الله على الإنسان. ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾وفي تقديم كلمة اللَّهَ (المفعول به) على الفعل والفاعل ﴿ فَاعْبُدْ ﴾ دلالة على أن العبادة يجب أن تكون خالصة منحصرة لله وحده. وهذا يشبه تقديم الضمير المنفصل﴿ إِيَّاكَ ﴾ وهو المفعول على الفعل والفاعل نَعْبُدُ في سورة الحمد، أما الشكر المأمور به فهو على عبادة الله التي لا تتم إلا بتوفيق الله أو هو على عموم نعم الله)) (٤) ، فقد تنبه السيد المدرسي إلى تقديم المفعول به لفظ الجلالة [الله] للدلالة على حصر العبودية له سبحانه .

---

(١) يُنظر : الكشاف : ج١: ص١٠٢ ، تفسير البيضاوي : ج١: ص٦ .

(٢) من هدى القرآن : ج٧ : ص٢٩٥ .

(*) كذا في الأصل والصواب : متصلاً .

(٣) البحر المحيط : ج٧ : ص٢٧٣ .

(٤) من هدى القرآن : ج٨ : ص١٩٠ .

٣ـ الترتيب :

جاء هذا الغرض في بلاغة التقديم والتأخير للألفاظ لترتيب الأشياء ، ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾ [المدثر(١٨)] ، ينقل السيد المدرسي بعض آراء المفسرين ويوافقها، فيقول : ((والتفكير هو تقليب وجوه الرأي، والتقدير هو تحويل التفكير إلى خطة بعد الدراسة، يقال: فَكَّر في الأمر وتَفَكَّرَ، إذا نظر فيه وتدبر، لما تفكر رتب في قلبه كلاما وهيأه، وهو المراد من قوله: ﴿وَقَدَّرَ﴾ ، وقال العلامة الطباطبائي: والتقدير عن تفكير نظم معاني وأوصاف في الذهن بالتقديم والتأخير، والوضع والرفع لاستنتاج غرض مطلوب، وقد كان الرجل يهوى أن يقول في أمر القرآن شيئا يبطل به دعوته ، ولقد توهم الوليد بتفكيره وتقديره أن تهمة السحر ستدحض الحق .. وليس الأمر كذلك ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ ، ولقد ذم الله تفكره لأنه. فكر فكراً يحتال به للباطل، لأنه لو فكر على وجه طلب الرشاد لم يكن مذموما بل كان ممدوحاً ، لأن التفكير والتخطيط بإعمال العقل على ضوء المعلومات والمعطيات أمر حسن بذاته، وإنما جاءت رسالات الله وبعث الأنبياء لغرض إصلاح الناس وهدايتهم باستثارة العقول))(١) ، ولم يعارض السيد المدرسي أحدا من المفسرين (٢) بل وافقهم في ان هذه الآية في تقديمها وتأخيرها لبعض ألفاظها أفادت ترتيب الأشياء.

٤ـ العناية :

من الأغراض التي يؤديها التقديم والتأخير هي العناية بالمتقدم وما حقه التأخير ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ [الصافات (٨٦)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((قال المفسرون : إنما قدَّم كلمة ﴿ أَئِفْكاً ﴾ وهي مفعول ، للعناية الخاصة بها ولبيان أن كل تبريراتهم لعبادة الآلهة خاطئة فليسوا هم إلا كاذبين. وهذا يمثل قمة التحدي، من إبراهيم عليه السلام لذلك الضلال المنتشر بين قومه))(٣) .

---

(١) من هدى القرآن : ج١١ : ص٣٥٢ .

(٢) يُنظر : التفسير الكبير : ج٣٠: ص٢٠٠ ، الميزان في تفسير القرآن ج٢٠:ص٨٦ ، التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي ت(٤٦٠هـ) ، تحقيق : أحمد حبيب قصير العاملي ، مكتب الإسلام الإعلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٩م : ج١٠ : ص١٧٧ .

(٣) المصدر نفسه : ج٨ : ص٤٤ .

وقد ذهب إلى هذا المعنى الزمخشري ت(٥٣٨هـ) في قوله : ((إنما قدم المفعول على الفعل للعناية))(١) وكذلك ذهب أبو حيان ت(٧٤٥هـ) إلى أن التقديم ههنا أفاد العناية بقوله : ((وقدَّمه عناية به))(٢) ، وإلى هذا المعنى ذهب السمين الحلبي ت(٧٥٦هـ) (٣) أيضاً.

فالسيد المدرسي وافق الزمخشري واباحيان والسمين الحلبي في هذه الآية المباركة ، أن التقديم ههنا للعناية ، لأنه لم يَعترض على ما قالوا به مما يتبين موافقته لهم ، فهي للعناية

٥ـ التنبيه :

وهو من الأغراض التي يفيدها التقديم والتأخير ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ [المدثر(٣)] ، يشرح السيد المدرسي هذه الآية شرحا مفصلاً ويبين ان التقديم ههنا جاء للتنبيه بعد أن يذكر رأي الرازي ، فيقول : ((ولعل من مفاهيم تكبير الله أن يسعى الإنسان المؤمن لتحطيم كيان الضلال والكفر، كي تتهاوى أنظمة الاستكبار والإفساد، وتبقى كلمة الله هي العليا في الواقع السياسي والاجتماعي، ويكون هو الأكبر في نفوس الناس ووعيهم، وتكبره ألسنتهم بالغدو والآصال، قال الفخر الرازي: وهذا تنبيه إلى أن الدعوة إلى معرفة الله ومعرفة تنزيهه مقدمة على سائر أنواع الدعوات (*) ، والذي يريد أن يدعو الناس إلى التوحيد يجب عليه أن يسقط كل الأصنام في نفسه بالتكبير أولا، ثم يقدم نفسه نموذجا حقيقيًّا لرسالته، فإن ذلك يعظِّم الله ويكبِّره في نفوس الآخرين))(٤) .

نرى أن السيد المدرسي قد وافق الفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) في هذا المورد ، في أن تقديم المفعول به أفاد التنبيه في المعنى .

---

(١) الكشاف : ج٥ : ص٢١٦

(٢) البحر المحيط : ج٧ : ص٣٥٠ .

(٣) يُنظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ج٩ : ص٣١٩ .

(*) يُنظر : التفسير الكبير : ج٣٠: ص١٩١ .

(٤) من هدى القران : ج١١ : ص٣٤٢ .

٦ـ الحذر والإحتراز :

من الفوائد التي يأتي لأجلها التقديم والتأخير هو الحذر والاحتراز ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ [المدثر(٥)] ، يقول السيد المدرسي : ((أي اقطع صلتك به. واختُلف في الرجز فقيل: هو الأصنام والأوثان عن ابن عباس، وقيل: المعاصي عن الحسن، وقيل معناه: جانب الفعل القبيح والخلق الذميم، وقيل معناه: أخرج حب الدنيا من قلبك لأنه رأس كل خطيئة (*) ، وقيل:

اهجر ما يؤدي إلى العذاب (**) ، وقال الرازي : الرجز العذاب، قال الله تعالى : ﴿ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ ﴾ [الأعراف(١٣٤)] أي العذاب، ثم سُمِّي كيد الشيطان رجزا لأنه سبب للعذاب، وسميت الأصنام رجزا لهذا المعنى، فعلى هذا القول تكون الآية دالة على وجوب الاحتراز عن كل المعاصي(***)، ومثله صاحب الكشاف والميزان. وعن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول: هِيَ الأَوْثَانُ (****).

وكل ما ذكره المفسرون صحيح، إلا أنه مصاديق لشيء واحد هو الباطل، وأظهر مفردات الرجز التي يجب على الداعية الرسالي مقاطعتها))(١) .

فالسيد المدرسي يوافق الذين سبقوه في آرائهم ويَزيد عليها ، الإحتراز والحذر من كل باطل ، فهو يعرض آراءهم ومن ثم يزيد عليها الإحتراز من الرجز على الصعيد الفردي من عقائد وأفكار باطلة وأخلاق وصفات سيئة وممارسات وسلوكيات خاطئة ، وعلى الصعيد الاجتماعي من فواحش كالزنى والسرقة وغيرها ، وعلى الصعيد السياسي من إعانة الطغاة على الفقراء ، والخضوع للظلمة وغيرها(٢).

(*) يُنظر : مجمع البيان في تفسير القران : ج١٠ : ص٤٨٨ .

(**) يُنظر : التبيان في تفسير القرآن : ج١٠ : ص١٧٣ .

(***) يُنظر : التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ج٣٠ : ص١٩٣.

(****) يُنظر : المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا محيي الدين يحيى النووي ت (٦٧٦هـ) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٢هـ : ج٢ : ص٢٧٠ ، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن المعروف (الحر العاملي) ، مؤسسة أهل البيت "عليهم السلام" لإحياء التراث ، قم المقدسة ، إيران ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ : ج١٧ : ص٣٠٩ ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ت(٩١١هـ)، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣ م : ج٦ : ص٢٨١ .

(١) من هدى القرآن : ج١١ : ص٣٤٤ .

(٢) يُنظر : المصدر نفسه : ج١١ : ص٣٤٤ ـ ٣٤٥ .

٧ـ التوعية والإرشاد :

هو أحد الأغراض البلاغية التي يفيدها التقديم والتأخير ، وقد جاء في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ [الضحى (٩)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((لقد نهض النبي من أرض الحرمان، فكان نصير المحرومين، وقد أوصاه الرب بمداراة اليتيم، ونهاه عن قهره، وتجاوز حقه. ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ إن إحساس اليتيم بالنقص يكفيه قهرا، ولا بد أن يقوم المجتمع بتعويض هذا النقص بالعطف عليه، لكي لا يتكرس هذا النقص في نفسه، فيصاب بعقدة الضعة، ويحاول أن ينتقم عندما يكبر من المجتمع، ويتعالى على أقرانه، ويستكبر في الأرض. ولعل التعبير بعدم القهر يشمل أمرين: الأول: دفع حقوق اليتيم إليه، الثاني: عدم أخذ الحق من عنده بالقهر والتسلط))(١) .

وإلى هذا المعنى ذهب الفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) في تفسير هذه الآية المباركة ، وذلك في قوله : ((فأوصاه برعاية حق اليتيم)) (٢) ، وكذلك الزمخشري ت(٥٣٨هـ) من قبل وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) وإبن كثير ت(٧٧٤هـ) فهم يذكرون هذا المعنى من تلطف وعطف على اليتيم ورعايته وعدم زجره(٣) من خلال تذكير رسول الله بيتمه في السابق ، فجاء الإرشاد إليه بعدم أذية اليتيم.

فجاء رأي السيد المدرسي موافقاً لآراء علماء التفسير السابقين .

يبدو أن هذا الإرشاد جاء من باب [إياك أعني واسمعي يا جارة] فالرسول الكريم ليس بحاجة لهذا الإرشاد وإنمّا هو على خُلقٍ عظيم والقرآن يأمرنا بأخذنا بما يأمرنا به حيث قال تعالى : ﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر (٧)] ، فالتوعية والإرشاد لنا ، وإنما جاء الخطاب للرسول الأكرم " صلى الله عليه وآله " بوصفه الراعي الأول للبشرية ، ومخاطبته تشمل جميع الوجودات لأنه واسطة فيض الوجودات ، وهو ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة (١٢٨)] ، فمن باب أولى أن يكون مرشداً لنا ومعلماً، وهو كذلك ، فالمعني بهذه الآية ليس الرسول الأكرم ، وإنما توعية وارشاد للمسلمين .

---

(١) من هدى القرآن : ج١٢ : ص٢٣٦ .

(٢) التفسير الكبير : ج٣١ : ص٢٢٠ ، يُنظر : سورتا المائدة ومريم موازنة بلاغية ، (رسالة) : ص١٥٨ .

(٣) يُنظر : الكشاف : ج٦ : ص٣٩٤ ـ ٣٩٥ ، البحر المحيط : ج٨ : ص٤٨٢ ، تفسير القرآن العظيم : ج١٤ : ص٣٨٥، ويذهب إلى هذا الرأي أيضاً الدكتور فاضل السامرائي ، يُنظر : على طريق التفسير البياني ، د .فاضل السامرائي ، جامعة الشارقة ، الإمارات ، د.ط ، ٢٠٠٢م : ج١:ص١١٩ .

٨ـ السبق :

يأتي التقديم والتأخير بسبب سبق في الخلق ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات (٥٦)] ، وقد أشار السيد المدرسي إلى الأسبقية في الخلق بالنسبة للجن على الإنس في آية الحجر فيقول : ((قبل أن يخلق الله البشر خلق عدوه- الجان- الذي يقابل الإنس، ذكر هنا بلفظة جان للدلالة على طبيعته كما نقول (**الإِنْسَان**) ونشير إلى طبيعته دون ملاحظة أفراده))(١) ، فالأسبقية في الخلق هي من حتَّمت على أن يأتي لفظ الجن سابقاً على لفظ الإنس . وقد جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر (٢٧)] .

وذهب إلى هذا المعنى السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) في تفسير هذه الآية المباركة فيقول: ((لعلَّ تقديم الجن على الإنس لسبق خلقهم على خلق الإنسان قال تعالى : ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر(٢٧)]))(٢) ، فقد وافق السيد المدرسي الطباطبائيَّ في تفسير هذه الآية المباركة .

لكن العلوي ت(٧٤٩هـ) له رأي آخر في تفسير سبق اللفظ وتأخير الآخر بين الجن والإنس فيقول: ((إن الجن إنما قُدم ههنا لما كان المقام مقام خطاب بامتثال الأوامر في العبادة ، فقدَّمهم لمّا كانت المخالفة منهم في ترك العبادة أكثر من الإنس))(٣) ، وهذا الرأي فيه وجهة نظر قريبة ، لكن ما ذهب إليه السيد المدرسي والسيد الطباطبائي هو أقرب للسياق ، فالسبق في الخلق أقرب للسياق من السبق في العصيان، لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً ، وآية الحجر فسرت آية الذاريات بقوله تعالى : ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر (٢٧)] .

ولم يتعرض الزمخشري ت(٥٣٨هـ) أو أبو حيان ت(٧٤٥هـ) لهذه الأسبقية بتفاصيلها إن كانت في الخلق أو في العصيان (٤) .

---

(١) من هدى القرآن : ج٤ : ص٢٧٧ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن : ج١٨ : ص٤٢١ .

(٣) الطراز : ج٢ : ص٢٣٢ .

(٤) يُنظر : الكشاف : ج٥ : ص٦٢٠ ، البحر المحيط : ج٨ : ص١٤١.

الفصل الثاني

المبحث الثاني

القَصْر

أركانه ...

أنواعه ...

طرقه ...

المبحث الثاني

القَصْرُ
أركانه ،وأنواعه ، وطرقه

في اللغة :

تناول أصحاب اللغة في معاجمهم جذر القَصْر ، إذ إنَّ ((القاف والصاد والراء أصلان صحيحان ، أحدهما يدل على أن لا يبلغ الشيء مداه ونهايته، والآخر الحبس، .... فالأول : القِصَر : خلاف الطول ..... والأصل الآخر القَصْر: الحبس، يُقال : قصرته ؛ إذا حبسته ، وهو مقصورٌ : أي محبوس))(١)، فقد دارت دلالات القصر في اللغة على الحبس والحصر وعدم بلوغ الشيء .

وقد جاءت لفظة (**القصر**) ومشتقاتها في القرآن الكريم للدلالة على معانٍ متعددة ، منها : قصر النظر عن المحرم (٢) ، والحبس والستر (٣) والنقص (٤) والبيت الفخم (٥) والقص (٦) .

في الإصطلاح :

تناول أصحاب البلاغة في علم المعاني أسلوب القصر وأولوه عناية كبيرة نكاد نجزم أنه لا يوجد كتاب في علم البلاغة خالياً من أسلوب القَصْر ، لأنه من الأساليب الكثيرة الإيراد في القرآن الكريم وكلام العرب ، ويعني : ((تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص)) (٧) ، ومن العلماء

---

(١) معجم مقاييس اللغة : ج٥ : ص٩٦- ٩٧ ، يُنظر : القاموس المحيط : ج٢ : ص١٢١ ـ ١٢٣ ، المعجم القرآني : ج٣ : ص٦٧ .

(٢) سورة الصافات : آية (٤٨) .

(٣) سورة الرحمن : آية (٧٢) .

(٤) سورة النساء : آية (١٠١) .

(٥) سورة الحج : آية (٤٥) .

(٦) سورة الفتح : آية (٢٧) .

(٧) التلخيص في علوم البلاغة : ص١٣٧ ، يُنظر : الإيضاح : ص١١٨ ، مفتاح العلوم : ص٢٨٨ ، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ، عبد المتعالي الصعيدي ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، ط٨ ، ١٩٧٣م : ج٢ : ص٣ ، مدخل إلى البلاغة العربية ، يوسف مسلم أبو العدوس ، دار الميسرة ، عمان ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٧ م : ص١١٢ ، علم المعاني ، درويش النجدي ، مطبعة الرسالة ، مصر ، ط٢ ، ١٩٦٢م : ص١٢٧ ، تهذيب البلاغة في تلخيص مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني ، علي عرب خراساني ، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر ، قم المقدسة ، ط١ ، ١٤٣٢ هـ : ص٨١ .

من ذكره باسم (الحصر) ويقصد به القَصْر (١) ، والمقصود بالشيئية في قولهم : (شيء بشيء) يقصدون بها طرفا القَصْر [المقصور والمقصور عليه] ، ((وقولهم بطريق مخصوص تحديد لطرق القصر الأربعة الاصطلاحية ، وذلك لتميزها في تحديد معالم الأسلوب وثرائها وغناها وكثرة فوائدها وقوة تأثيرها))(٢). ومما تقدم نجد فائدة القصر تتجلى في كونه ((يوجز الكلام ويقدم المعنى بجملة واحدة بدلاً من جملتين ويمكِّن الكلام ويُقرره في الذهن ، وينفي عن الذهن كل إنكار وشك))(٣) .

- **أركان القصر أو أطرافه** :

كما تقدم أن للقصر طرفين أساسيين من خلالهما تحدد جملة القصر ، وهما :

١ـ **المقصور** : ويقصد به (الشيء المخصص) .

٢ـ **المقصور عليه** : ويُقصد به (الشيء المخصص به) .

٣ـ **أداة القصر** : أدوات يُعرف بها مثل : [إنَّما] (٤) .

وللقصر طرقٌ يُؤدى بها سنتعرض لها في موقعها .

- **طرق القصر وورودها في تفسير من هدى القرآن** :

عالج السيد المدرسي أسلوب القصر في الآيات التي ورد فيها ، لكنه كان يُسميه (الحصر) مع التوجه الأصولي (٥) دون لفظ (القصر) الإصطلاح البلاغي في معالجة الدلالات ، والطرق التي ورد فيها القصر في تفسير (من هدى القرآن) هي :

---

(١) يُنظر : الإتقان في علوم القرآن : ج٣ : ص١٢٧ ، ومعترك الأقران : ج١ : ص١٣٦ ،علم المعاني ودلالات الامر في القرآن الكريم دراسة بلاغية: د. مختار عطية، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية، جمهورية مصر العربية، د.ط ، ٢٠٠٤م : ص١٤١ .

(٢) تجليات الجمال في أسلوب القصر ، د. عبد الرحيم محمد أبو الهبيل ، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) ، (بحث) ، جامعة القدس المفتوحة ، المجلد التاسع عشر ، العدد الثاني ، ٢٠١١م : ص٩٧٤.

(٣) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: د. سناء حميد البياتي، دار وائل للنشر، الاردن (عمان) ، ط١، ٢٠٠٣م: ص٤٠٠ .

(٤) يُنظر : مدخل إلى البلاغة العربية : ص١١٢ ، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، د. عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ ، الرياض ، د.ط ، ١٩٨٠م : ص١١٢.

(٥) يُنظر : أصول الفقه ، الشيخ محمد رضا المظفر ، إسماعيليان ، قم ، إيران ، ط١٠ ، ١٤٢١هـ : ج١ : ص١١١ .

١ـ النفي مع الاستثناء :

وكثيراً ما يرد القصر بهذا الأسلوب ، وهو مزيج من أسلوبين من أساليب النحو والبلاغة فينتج من خلال هذا التلاقح أسلوب القصر ليُفيد فائدة التثبيت ، وقد ورد هذا الأسلوب كثيراً في القرآن الكريم كما سنرى لاحقاً .

ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر(٣)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((لماذا إذا يشرك البعض بالله، هل يعتقدون بأن لله شريكا في الأمر؟ كلا .. هؤلاء يشركون بالله لأنهم يعتقدون بأن الشركاء سبل إلى الله. ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ النفي والاستثناء دليل الحصر، وإذا كان هدف هؤلاء الوصول إليه فلماذا يختارون طريقاً لم يأمر به ...))(١) ، فقد حصروا عبادتهم لهذه الأصنام إرادةً للتقرب لله من خلالها ، فقد تنبه السيد المدرسي لهذا الحصر موافقاً لأصحاب البلاغة فيه .

ولم يُشر الزمخشري ت(٥٣٨هـ) والقرطبي ت(٦٧١ هـ) والسيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) لفائدة الحصر في هذه الآية المباركة (٢) .

وكذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ [فاطر (٤٣)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((والكلمة هذه ذروة ما نفهمه من البلاغة، إذ ذكرنا الرب بأن المكر السيئ ﴿يَحِيقُ﴾ بصاحبه من جميع جوانبه أي يحيط به، وهذا أبلغ من القول أنه يلحق به أو يصيبه، لأن صاحب المكر يزعم أنه قادر على الفرار من عاقبة عمله، ولكنه يحيق به فلا يقدر هروبا، ثم أن القرآن عبر﴿بِأَهْلِهِ﴾ ولعل السبب يكمن في أن كل العاملين مكرا ليسوا بأهله، بل بعضهم ممن تعمده واتخذه سبيلا، ثم إن الحصر يفيد أن الذي يمكر بهم ينجون عادة من المكر على حساب أهله، وقد قالوا: (من حفر بئرا لأخيه وقع فيه)))(٣)، فقد أثبت الحصر ههنا بأن الماكر يعود بمكره عليه ولو بعد حين ، وهذا ما تنبه له السيد المدرسي في فائدة الحصر في هذه الآية المباركة.

---

(١) من هدى القرآن : ج٨ : ص١٣٩ .

(٢) يُنظر : الكشاف : ج٥ : ص٢٨٧ ، الجامع لأحكام القرآن : ج١٨ : ص٢٤٧ ، الميزان في تفسير القرآن : ج١٧ : ص٢١٤ .

(٣) من هدى القرآن : ج٧ : ص٣٤٦ .

والغريب أن الزمخشري ت(٥٣٨هـ) يرى أن المعنى ((لا يحيق المكر السيء ، أي : لا يحيق الله، ولقد حاق بهم يوم بدر))(١) ، وهذا المعنى بعيد كل البعد عن معنى السياق الوارد فيه المكر ، حيث أنه ـ الزمخشري ـ يرى ان الذي يحيق هو الله تعالى بينما السياق يقول ان الذي يحيق هو المكر بصريح العبارة والحركات ، اذ ان المكر هو الفاعل وليس فيه من مضمر حتى يقبل التأويل ، فلا يمكن قبول هذا الرأي لأنه بعيد عن السياق القرآني .

وقد بيَّن السيد المدرسي أن الذي يحيق هو الماكر ، فيرجع مكره عليه وعلى أهله بالنتيجة ، أو يرجع على فاعل المكر حصراً .

وإلى هذا المعنى ذهب الثعلبي ت(٤٢٧هـ) في المعنى ذاته (٢) ، وابن كثير ت(٥٣٨هـ) في تفسيره لهذه الآية المباركة ، وذلك في قوله : ((وما يعود وبال ذلك إلا عليهم انفسهم دون غيرهم))(٣) ، فرأي السيد المدرسي والثعلبي وإبن كثير أقرب للسياق .

وكذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [ص(٦٥)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((الذي يقهر الأعداء ويغلبهم، ومن أبرز شواهد القهر ووسائله هو الموت الذي يخضع له الجميع، فلا يقوى أحد على دفعه عن نفسه، ونقرأ في دعاء الصباح لأمير المؤمنين عليه السلام قوله :**"فَيَا مَنْ تَوَحَّدَ بِالعِزِ وَالبْقَاءِ وَقَهَرَ عِبادَهُ بِالمْوُتِ وَالفَنَاءِ "** (*) ، ولا ينحصر قهر الله في الموت وحسب بل يدخل في تطبيق كل حق وسنة في الحياة، ومن لا يستجيب لله وللحق الذي تتضمنه رسالاته ، وبما ينذر به الأنبياء ومن يتبعهم باختياره وإرادته فسوف يقهره الله عليه بالرغم منه، في الدنيا إن شاء ذلك أو في الآخرة))(٤) ، فقد قُصرت الإلوهية على الله تعالى من خلال نفيها عن غيره .

وإلى هذا المعنى ذهب السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) من خلال تفسيره لذات الآية المباركة، فيقول : ((نفي لكل إله . والإله هو المعبود بالحق . غيره تعالى وأما ثبوت إلوهيته تعالى فهو مسلَّم بإنتفاء إلوهيّة غيره إذ نزاع بين الإسلام والشرك في اصل ثبوت الإله وإنما النزاع في ان الإله هو المعبود بالحق هو الله تعالى أو غيره على أن ما ذكر ....))(٥) .

---

(١) الكشاف : ج٥ : ص١٦٢ .

(٢) يُنظر : الكشف والبيان : ج٨ : ص١١٦ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ج١١ : ص٣٤٠ .

(*) بحار الأنوار : ج٨٤ : ص٣٣٩ ، مقاطع من دعاء الصباح لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب " عليه السلام".

(٤) من هدى القرآن : ج٨ : ص١١٨ ، وكذلك يُنظر : ج١١ : ص٢٩٩ .

(٥) تفسير الميزان : ج١٧ : ص٢٢٢ .

تبيَّن أن السيد المدرسي وافق السيد الطباطبائي في نفي الألوهية عن غير الله تعالى وحصرها في ذاته سبحانه ، ولكن السيد المدرسي تنبه إلى الحصر ههنا ليس في اثبات الإلوهية له تعالى فحسب ، وإنَّما القهر أيضاً كان منحصراً في الله تعالى وليس القهر في الموت فقط ، بل في تطبيق كل حق وسنة في الحياة . فالحصر عند السيد المدرسي هو الحصر عند العلامة الطباطبائي وزيادة في هذه الآية المباركة .

ومفهوم الحصر عند السيد المدرسي هو ((إن كل حصر لا بد أن يكون له جانبان؛ جانب الإثبات، وهو ما يذكر معه وفيه ، وجانب النفي الذي يفهم من دليل الاقتضاء))(١). وهذا ما أشار إليه السيد المدرسي في الآيات المباركة التي حوت النفي والاستثناء .

٢ـ القصر بالأداة [إنَّــما] :

تُعدُّ هذه الأداة أمّ الباب ، حيث أنها لا تدخل في أسلوب آخر ، فهي مختصة في أسلوب القصر ، واينما وردت ، تدل على القصر ، ويكون المقصور عليه متأخر عنها وجوباً (٢) ، ويقول عنها الشيخ عبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١هـ) : ((اعلم أنّ موضع **" إنَّما "** على أن تجيء لخبرٍ لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحَّته ، أو لما يُنزَّل هذه المنزلة . تفسير ذلك أنّك تقول للرجل **" إنّما هو أخوك "** و **"إنَّما هو صاحبك "** لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته ، ولكن لمن يعلمه ويُقرُّ به ، إلا إنَّك تريد أن تُنبهه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب)) (٣) ، من قول عبد القاهر الجرجاني نستشف أنّ الأداة **[إنَّما]** هي للتنبيه وليست لنفي وإثبات ، فهي لبيان الإثبات والتنبيه عليه .

و من المفسرين وأهل البلاغة من فصل بين (**إنَّ**) و (**ما**) وقال : هي بمعنى النفي والإثبات كأبي حيان الاندلسي ت(٧٤٥هـ) ، وذلك في قوله في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر(٢٨)] ، يقول: ((المعنى ما يخشى الله الا العلماء فغيرهم لا يخشاه))(٤) ، والشوكاني ت(١٢٥٠هـ) وعبد الفتاح لاشين أيضا ذهبا إلى هذا المعنى (٥) ، ولكن عبد القاهر الجرجاني بيَّنَ قبل ذلك ليس ما ذهب إليه هؤلاء

---

(١) بيِّنات من فقه القرآن ، السيد محمد تقي المدرسي ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١١ ، (تفسير سورة الحج) : ص٢٠١ .

(٢) يُنظر : المصطلحات البلاغية وتطورها : ج٢ : ص٤٥١ .

(٣) دلائل الإعجاز : ص٣٣٠ .

(٤) البحر المحيط : ج٧ : ص٢٩٨ .

(٥) يُنظر : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت(١٢٥٠هـ)، تحقيق : سيد إبراهيم ، دار الحديث ، القاهرة ، د.ط ، ٢٠٠٣م : ج٣: ص٥٣٧ ، التراكيب النحوية من والجهة البلاغية : ص١١٢ ، تهذيب البلاغة في تلخيص مختصر المعاني للتفتازاني : ص٨٥ .

العلماء من خلال عرضه لرأي أبي علي الفارسي ت(٣٧٧هـ) في (**المسائل الشيرازيات**)(١) ويثبت أنها لا تعني النفي والإثبات وانَّما تفيد التنبيه والتوكيد للمثبت (٢) . والسيد المدرسي يوافق الشيخ عبد القاهر الجرجاني في رأيه وهذا ما سنراه لاحقا . وهذه الأداة وردت كثيراً في القرآن الكريم.

ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ..﴾ [الحديد(٢٠)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((وربما لذلك أمرنا القرآن بالعلم قائلا: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ هنا ثلاثة تأكيدات: أحدها الدعوة المؤكدة إلى العلم، والثاني أداة التوكيد أن، والثالث الحصر أَنَّمَا، وحيث تتوالى هذه التأكيدات على حقيقة ما فهي مهمة ومهم أن يعلمها الإنسان)) (٣) أفادت الأداة ههنا زيادة التوكيد في السياق ، وهذا ما نبه إليه عبد القاهر الجرجاني كما ذكرنا .

لم يتطرق الثعلبي ت(٤٢٧هـ) والزمخشري ت(٥٣٨هـ) وأبو حيان الأندلسي ت(٧٤٥هـ) لمعنى الحصر في تفسيرهم لهذه الآية المباركة بل اكتفوا بالتفسير العقدي والفقهي دون اللغوي النحوي فيها (٤).

فالسيد المدرسي وافق الجرجاني في أن الحصر في الأداة إنّما يفيد زيادة في التوكيد والتنبيه على المثبت.

ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات (١٠)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها: ((﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وجاءت الكلمة بصيغة الحصر لتذكرنا بأن الإيمان الذي لا يرفع المنتمين إليه إلى حالة الأخوة إيمان ضعيف ناقص، فهاهنا تقاس التقوى، وتمحص النفوس للإيمان، ويستبين الصادقون عن المنافقين)) (٥) .

---

(١) كتاب (المسائل الشيرازيات) لأبي علي الفارسي .

(٢) يُنظر : دلائل الإعجاز : ص٣٢٨ ـ ٣٢٩ .

(٣) من هدى القرآن : ج١٠ : ص٢٨٢ .

(٤) يُنظر : الكشاف : ج٦ : ص٥٠ ، الكشف والبيان : ج٩ : ص٢٤٣ ـ ٢٤٤ ، البحر المحيط : ج٨ : ص٢٢٣.

(٥) من هدى القرآن : ج٩ : ص٣٢٧ .

بيد أن الزمخشري ت(٥٣٨هـ) أعطى للأداة معنى النفي والإثبات ، وذلك في قوله : ((والمعنى : ليس المؤمنون إلا أخوة))(١) ، وإلى هذا المعنى ذهب الواحدي ت(٤٦٨هـ) من قبل في تفسيره (٢) بينما السيد المدرسي يرى أن أداة الحصر أفادت التأكيد والتنبيه لا النفي والإثبات ، أي أن المعنى : إنتبهوا فإنَّكم إخوة في الدين والأخوة لا ينشب الخلاف بينهم بالمعنى الذي يؤدي الى التفرقة لأن رابط الإيمان يربط ما بينكم.

وهذا التأكيد يؤكده السياق القرآني ، فرأي السيد المدرسي أقرب للسياق .

ولم يتطرق الثعلبي ت(٤٢٧هـ) وابن الجوزي ت(٥٩٧هـ) وأبو حيان الاندلسي ت(٧٤٥هـ) لفائدة الحصر هنا بل اكتفوا بالشرح الفقهي والعقدي ومعاني الكلمات فقط (٣) .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات(١٥)] ، السيد المدرسي يشرح هذه الآية في سورة الحديد في معرض التفسير الموضوعي ، فيقول : ((وهذه الصفة تنفي انتماءهم للمؤمنين لقوله تعالى بالحصر: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾، وادعاء المنافقين أنهم من المؤمنين ومعهم مجرد محاولة لإلصاق أنفسهم بهم والتخلص من العذاب، وإلا فهم لم يؤمنوا بالله ولا برسوله ولم يستجيبوا لدعوته المتمثلة في الآيات البينات المنزلة على رسوله صلى الله عليه واله فبقوا في الظلمات))(٤) ، فالحصر ههنا أفاد التأكيد على أن المنافقين ليسوا من المؤمنين وان حاولوا الالتصاق بهم .

والى هذا المعنى ذهب الزمخشري ت(٥٣٨هـ) وإبن كثير ت(٧٧٤هـ) من معنى التنبيه والتوكيد أن المنافقين ليسوا من المؤمنين في شيء (٥) ، فقد وافق السيد المدرسي الزمخشري وابن كثير في إيراد هذا المعنى في تفسيرهم جميعاً لهذه الآية المباركة .

---

(١) الكشاف : ج٥ : ص٥٧٤ .

(٢) يُنظر : التفسير البسيط للواحدي : ج٢٠ : ص٣٥٣ .

(٣) يُنظر : الكشف والبيان : ج٩ : ص٧٩ ، زاد المسير في علم التفسير ، جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي القريشي البغدادي ت(٥٩٧هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٤م : ج٧ : ص٤٦٤ ، البحر المحيط :ج٨:ص١١١-١١٢.

(٤) من هدى القرآن : ج١٠ : ص٢٦٥ .

(٥) يُنظر : الكشاف : ج٥ : ص٥٨٨ ، تفسير القرآن العظيم : ج١٣ : ص١٧٥ .

وفي قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة(٦٠)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((... ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ وهو المسافر الذي انقطع عن أهله ولا يملك ما يوصله اليهم، فيدفع إليه زادا ونفقة كافية ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ وبتحديد مصارف الأموال العامة خصوصا بعد ذكر كلمة الحصر ﴿إِنَّمَا ﴾ ينقطع أمل المنافقين من الطفيليين وأصحاب الامتيازات، فلا يطمعون في ابتزاز القيادة الإسلامية))(١)، فقد أفاد الحصر ههنا في هذه الآية المباركة حسب ما يراه السيد المدرسي التأكيد وقطع الأمل بالنسبة للمنافقين، لأنَّ الله تعالى حصر الصدقات لهؤلاء بفريضة من الله تعالى وليس لأحد أن يتطفل في الابتزاز للقيادة الإسلامية .

وقد ذهب الزمخشري ت(٥٣٨هـ) إلى هذا المعنى في تفسيره لهذه الآية المباركة وذلك في قوله: ((﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ ﴾ قصر لجنس الصدقات على الأصناف المعدودة وانها مختصة بها ، لا يتجاوزها لغيرها))(٢) . ويرى الفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) يرى المعنى ذاته في الحصر في تفسيره لهذه الآية المباركة (٣) .وذهب أبو حيان الأندلسي ت(٧٤٥هـ) إلى هذا المعنى أيضاً من الآية المباركة عند تفسيره إياها وذلك في قوله : ((ولفظة " **إنما** " إن كانت وضعت للحصر ، فالحصر مستفاد من لفظها، وإن كانت لم توضع للحصر ، فالحصر مستفاد من الأوصاف إذ مناط الحكم بالوصف يقتضي التعليل به، والتعليل بالشيء يقتضي الاقتصار عليه ، والظاهر ان مصرف الصدقات هؤلاء الأصناف))(٤) .

أن قول ابي حيان هذا اعطى للحصر معنى غاية في الروعة ، إذ تنبه للمعنى الذي أدته الأداة [إنّما] في هذه الآية المباركة من حيث أنها وضعت للحصر أو لم توضع للحصر ، فإنّها تدل على الحصر وتؤدي وظيفتها في كل الأحوال ، فقد وافق السيد المدرسي الزمخشري والرازي وأبا حيان في هذا المعنى المستفاد من سياق الآية القرآنية المباركة .

هذا وقد جاء الحصر في الأداة [**إنَّما**] في تفسير من هدى القرآن كثير(٥) وما ذكرناه للتمثيل لا للحصر.

---

(١) من هدى القرآن : ج٣ : ص٢٨٥ .

(٢) الكشاف : ج٣ : ص٥٩ .

(٣) يُنظر : التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ج١٦ : ص١٠٢ .

(٤) البحر المحيط : ج٥ : ص٥٨ .

(٥) يُنظر : من هدى القرآن : ج١١ : ص٤٨ ، ج١١ : ص١٣٠ .

٣ـ تقديم ما حقه التأخير :

من طرق القصر التي ذكرها السيد المدرسي هو التقديم الذي حقه التأخير ، منه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينَ ﴾ [الفاتحة (٥)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((عبارة: نعبدك ونستعينك، تحتمل الظن إننا نعبد غيره تعالى أيضا، أما وقد تقدمت كاف الخطاف(*) التي تخص بالخطاب فقد حصرت العبادة والاستعانة في الله وحده)) (١) ، فبين السيد المدرسي فائدة التقديم للمفعول به (**إيَّاكَ**) على فعله وهو حصر العبادة لله عز وجل دون غيره .

وقد ذهب إلى هذا المعنى الفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) في تفسيره لسورة الحمد ، فيقول ((فإنَّ قوله اياك نعبد يفيد الحصر))(٢) ، وكذلك ابن كثير ت (٧٧٤هـ) في تفسيره لهذه الآية المباركة ، فيقول : ((وقدَّم المفعول وهو " **إيَّاكَ** " وكرر للاهتمام والحصر ، أي لا نعبد إلا إياك ولا نتوكل إلا عليك))(٣) ، وإلى هذا المعنى ذهب السيد عبد الأعلى السبزواري ت(١٤١٤هـ) في تفسيره لهذه الآية المباركة اذ إن الفصل في الضمير وتقديمه على فعله أفاد فائدة الحصر (٤) .

لكنَّ أبا حيان ت(٧٤٥هـ)عدَّ القصر للعناية والإهتمام لا الإختصاص والحصر ، ففي معرض نقده للزمخشري في تفسير هذه الآية المباركة يقول : ((والتقديم على العامل عنده ــ يعني الزمخشري ــ يوجب الإختصاص وليس كما زعم ... فالتقديم عندنا إنَّما هو للإعتناء والإهتمام بالمفعول))(٥) ، وهذا رأي جيد لكن فيه تزمت وإصرار من ابي حيان على أنه الرأي الوحيد الصائب وأن غيره مجانب للصواب، فما الضير لو كان للحصر والتخصيص والإهتمام والعناية ؟ فبهذا الرأي خالف أبو حيان الكثير من المفسرين واللغويين الذين يرون أن هذا الأسلوب للإختصاص والحصر (٦) .

اذ وافق السيد المدرسي الفخر الرازي وابن كثير والسبزواري في حصر العبادة لله تعالى ، وذلك ما أفاده تقديم المفعول على فعله ، والحصر فيها اقرب من المعاني الأخرى .

(*) كذا في الأصل ، والصواب : كاف الخطاب .

(١) من هدى القرآن : ج٧ : ص١٩٨ .

(٢) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ج١: ص٢٤٦ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ج١ : ص٢١٤ .

(٤) يُنظر : مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري ، دار التفسير ، مطبعة شريعت، ايران ، ط٢ ، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م : ج١ : ص٤٣ .

(٥) البحر المحيط : ج١ : ص١٢٧ ـ ١٤١ .

(٦) يُنظر : الكشاف : ج١ : ص٢٣ ، مجمع البيان : ج١ : ص٤٣ ، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ج١: ص٢٤٦ ، تفسير القرآن العظيم : ج١ : ص٢١٤ .

وفي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ [سبأ(٤٠)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ ولعل تقديم المفعول الذي يدل على الحصر يوحي بأن طبيعة العبادة لا تتجزأ، فلو كانوا يعبدوا الملائكة حقاً فلا بد أنهم كانوا يخلصون العبادة لهم))(١) ، فيرى السيد المدرسي أن التقديم في المفعول هنا أفاد الحصر .

بيد أنّ السمين الحلبي ت(٧٥٦هـ) يرى أن التقديم ههنا لرعاية الفاصلة والإهتمام ، وذلك في قوله: (("**إيَّاكم**" منصوب بخبر كان ، قُدِّم لأجل الفواصل والإهتمام . واستُدلَّ به على جواز تقديم خبر ((كان)) عليها اذا كان خبرها جملة ....))(٢) ، وهذا رأي أبي البقاء العكبري ت(٦١٦هـ) من قبل انها جاء فيها التقديم من باب الجواز (٣) .

وهذا الرأي بعيد عن ما يريده السياق القرآني ، فالفاصلة القرآنية علاقتها بالمعنى لها قيمة في إتمامه، والقرآن الكريم انما وضعت حروفه لقصد أراده الله تعالى ، والقائل هو الله وليس ناظماً تحكمه القافية او الفاصلة فيقدم ويؤخر لغرض الوصول إلى الفاصلة السجعية أو القافية الشعرية وما إلى ذلك من دون معنى مقصود ، بل ان القرآن الكريم وضعت حروفه لغرض مقصود لا شأن لتأثير الفواصل على السياق.

اما قوله : للاهتمام ، فلا وجود للاهتمام في " **إيَّاكُم** " لأنّ الاهتمام ههنا منصبٌّ على العبادة لا على الملائكة ، حيث أن الحصر أقرب للسياق ، وهذا ما تنبه له السيد المدرسي في أن التقديم ههنا أفاد الحصر، لا الاهتمام أو رعاية الفاصلة .

ولم يذكر الثعلبي ت(٤٢٧هـ) والواحدي ت(٤٦٨هـ) والزمخشري ت(٥٣٨هـ) وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) وابن كثير ت (٧٧٤هـ) معنى التقديم ههنا ، وما الغرض منه ، فكان تفسيرهم عقدياً وأصولياً فقهياً فقط ، ولم يولوا عناية في معنى التقديم في هذه الآية المباركة(٤) .

---

(١) من هدى القرآن : ج٧ : ص٢٩٥ .

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ج٩ : ص١٩٦ .

(٣) يُنظر : إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جمع القرآن ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ت(٦١٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ط ، د.ت : ج٢ : ص١٩٨ .

(٤) يُنظر : الكشف والبيان : ج٨ : ص٩٣ ، التفسير البسيط : ج١٨ : ص٣٧٧ ، الكشاف : ج٥ : ص١٢٨ ، البحر المحيط : ج٧ : ص٢٧٣ ، تفسير القرآن العظيم : ج١١ : ص٢٩٤.

٤ـ القصر بـ (مِنْ) :

من المعروف أن الحرف (من) حرفُ جرٍ يفيد التبعيض ، لكن من الوجهة البلاغية عند السيد المدرسي أفاد الحصر في بعض الآيات المباركات ، منها ما جاءت في قوله تعالى : ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون(٩١)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((ومن أكبر كذبهم ادعاؤهم بأن لله ولداً أو شريكاً، والقرآن ينفي هذه الكذبة إذ يقول: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾.(مِنْ) تفيد الحصر، والآية رد على الذين يزعمون بأن: الله منح قدرته وسلطانه لبعض الناس دون بعض، ولو افترضنا أن مع الله آلهة أخرى: ﴿إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ وجعل لخلقه نظاماً خاصاً به، ولكننا نجد أن النظام الذي يحكم الذرة هو الذي يحكم المجرة، ولو صح ما يزعمون لحدث التناقض بين هذه الآلهة)) (١) .

وهذا الرأي تفرد به السيد المدرسي إذ لم يذكر هذا الرأي من قبله أحدٌ لا من المفسرين ولا من اللغويين او البلاغيين ، فهذا الرأي خاص بالسيد المدرسي ، وهو رأي جميل ، فالمعنى أن الله ألغى فكرة الولد له تعالى الله عما يصفون ، وقد تنبه السيد المدرسي إلى النفي في صدر الآية المباركة والأداة (من) ههنا فهذه الأداة شأنها في ذلك شأن [إلاَّ] ، فهي أيضاً سُبقت بنفي ، لذا أفادت الحصر بلاغياً .

وبهذا ينتهي المبحث بحمد الله تعالى .

---

(١) من هدى القرآن : ج٥ : ص٤٨٧ .

الفصل الثاني

المبحث الثالث

الفصل والوصل

مواضعهما

أغراضهما البلاغية

المـبحــث الثالث

الفصل و الوصل
مواضعهما وتطبيقاتهما

مدخل :

يُعدُّ هذا الموضوع من أهم المواضيع البلاغية التي إهتمَّ بها البلاغيون وعدُّوه حدَّاً للبلاغة ، وقد تكلَّم الجاحظ ت(٢٥٥هـ) عن الفارسي لمَّا سألوه : ((ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل والوصل))(١)، وقد نقل أبو هلال العسكري عن ابي العباس السفاح (الخليفة العباسي) ما قاله لعامله من أن حلية البلاغة هي معرفة الفصل والوصل (٢) ، وكذلك عدَّه عبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١هـ) من أسرار البلاغة العربية التي لا تتأتى إلاَّ للخلَّص من الأعراب الأقحاح الذين أُتوا نصيباً من فنون الكلام والبلاغة(٣)،وجعله السكاكي ت(٦٢٦هـ) ((محلُّ البلاغة ومنتقد البصيرة ، ومعيار قدر الفهم))(٤)، و قال فيه الزملكاني ت (٦٥١هـ): بأنه ((فنٌ جليل المقدار لا يقف عليه الا الأفراد ، ولا يهتدي إليه إلا النقاد))(٥)، ويرى القزويني ت(٧٣٩هـ) ان قصر البلاغة على معرفة هذا الفن إنما هو للتنبيه على غموضه ، ومعرفته تتطلب معرفة سائر فنون البلاغة (٦)، ويرى جلال الدين السيوطي ت(٩١١هـ) أنَّ ((به يحصل حل إشكالات وكشف معضلات كثيرة))(٧)، فمعرفة الفصل والوصل تتطلب ذوق عال في البلاغة العربية ، لأنَّ لهما محلاً عظيماً، ومكاناً رفيعاً في علم المعاني ، وواقعان منه في الرتبة

---

(١) البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ ت(٢٥٥ هـ)،تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط ٥ ، ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥ م :ج١ : ص٨٨.

(٢) يُنظر : كتاب الصناعتين الكتابة، والشعر ، ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ت(٣٩٥هـ)، حققه وضبط نصه : د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٩ م : ص٤٩٧، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ت(٤٥٦هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٢م : ج١ : ص٢٤٤ .

(٣) يُنظر : دلائل الإعجاز : ص٢٢٢ .

(٤) مفتاح العلوم : ص١١٩ .

(٥) التبيان في علوم البيان ، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الانصاري الزملكاني ت (٦٥١هـ) ، تحقيق: د. احمد مطلوب ود. خديجة الحديثي ، ط١ ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م : ص١٢٨ .

(٦) يُنظر : الإيضاح : ص١٤٧ .

(٧) الإتقان في علوم القرآن : ج١ : ص١٩٥ .

العليا(١) ، وبالرغم من مكانتهما وموقعهما في علم البلاغة إلا أنّهما يحملان من المسحات النحوية الشيء الكثير (٢) ، ولا يصح العدول من الفصل إلى الوصل أو العكس (٣) ، فلكلٍّ منهما موضعه الذي يرد فيه، وفي دراستنا هذه سندرسهما في محورين :

المحور الأول : الـفَـصْـلُ [مواضعه وتطبيقاته] :

في اللغة :

فهو ما يكون حدّاً بين شيئين والفصل من الجسد موضع المفصل ، وفصلت الشيء فانفصل ، أي: قطعته فانقطع(٤). قال ابن فارس ت(٣٩٥هـ) : إنَّ ((الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدل على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه ، يُقال : فَصَلْتُ الشيءَ فصلاً ، والفيصلُ : الحاكم))(٥)

في الإصطلاح :

فهو ترك العطف بين الجمل المتوالية في السياق الواحد (٦) ، ولم يخرج شراح التلخيص عما ذهب اليه الخطيب القزويني ت(٧٣٩هـ) (٧) ، وأول إشارة للفصل وُجدت عند سيبويه ت(١٧٩هـ) والفرَّاء ت(٢٠٧هـ) والأخفش ت(٢١٥هـ) إذ أنهم أشاروا اليه دون المصطلح(٨)، وترك العطف هذا يأتي في مواضع متعددة سنأتي عليها تباعاً ان شاء الله تعالى .

---

(١) يُنظر : الطراز : ج٣ : ص٥٤١ .

(٢) يُنظر : علم المعاني بين الاصل النحوي والموروث البلاغي، د. محمد حسين علي الصغير، سلسلة الموسوعة الصغيرة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٩م : ص٨٧ .

(٣) يُنظر : من أسرار اللغة ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو ، مصر ، ط٥ ، ٢٠٠٣م : ص٢٧٦ .

(٤) يُنظر : كتاب العين مادة (فصل) : ج٧ : ص١٢٦ ، لسان العرب مادة (فصل) : ج١١: ص٥٢١ .

(٥) معجم مقاييس اللغة مادة (فصل) : ج٤ : ص٥٠٥ .

(٦) يُنظر : الإيضاح : ج١:ص١٤٧ ، التلخيص : ص١٧٥ ، شروح التلخيص : ج٣ : ص٣ .

(٧) يُنظر : المطوَّل : ص٤٣٣ ، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: إبراهيم بن عربشاه عصام الدين الحنفي (ت ٩٤٣هـ)، حققه، وعلّق عليه: د. عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون (دار الكتب العلمية)، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م : ج١ : ص٥٧ .

(٨) يُنظر: الكتاب:ج١:ص٢٢٥، معاني القرآن (للفرَّاء) : ج٢ : ص٦٩ ،معاني القرآن (للأخفش):ج١:ص١٩٨.

مواضع الفصل :

للفصل مواضع يرد فيها دائماً ، حددها البلاغيون في كتبهم ، وقد اعتنى السيد المدرسي بالكشف عن مواضع الفصل في الجمل القرآنية مبيناً الارتباط بين الجمل القرآنية وسر الفصل فيها دون الوصل، أي: دون رابط ظاهر ، وعلاقة هذه الجمل بعضها ببعض، والأغراض البلاغية التي أفادتها، ومنها ما جاء في :

١ـ كمال الإتصال (١) :

اذا جاء السياق القرآني بجملتين بينهما اتحاد تام ، فيأتي هذا الاتحاد في مواضع ، وهي:

أ ـ إذا كانت الجملة الثانية مؤكِدة للأولى ومقررة لها :

منه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ﴾ [التكوير(١٣-١٤)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((... والتعبير بـ ﴿ عَلِمَتْ ﴾ للتأكيد على أن القضية يقين وليست مجرد تخمين، أما قوله: " نَفْسٌ " فلأن النفس مركز الشعور والإحساس، فهو أبلغ مما لو قال: علم الإنسان، وإذا قلنا: رأت العين كان أبلغ مما لو قلنا: رأى الإنسان. وقوله: ﴿ مَا أَحْضَرَتْ﴾ ذروة البلاغة.)) (٢) ، فقد تنبه السيد المدرسي للغرض البلاغي الذي جاءت به الجملة بلا عطف بينها وبين ما سبقها من الجمل التي تكون هي لهنَّ بمثابة إجابة ، وهو غرض التأكيد ، اذ ان جملة ﴿ عَلِمَتْ﴾ هي تأكيد للجمل السابقة ، وهذا التوكيد كان مانعا من الوصل .

وكذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ﴾ [المجادلة(١٩)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ﴾ في الدنيا لأنهم يتولونه ويطيعونه ويتوجهون حيث يريد، وفي الآخرة لأنهم سيصيرون معه في النار، وهذا تقرير من قبل الله بأنهم ليسوا من حزبه، بالرغم من انتمائهم الظاهر إليه، وكيف يكونون من حزبه وهم يفقدون أهم شروط ومضامين الانتماء الحقيقي وهو التولي لأوليائه والطاعة للإمامة الرسالية؟!))(٣) ، فقد أشار السيد المدرسي إلى التقرير في الربط بين الجملتين دون الإتصال المباشر بأحد حروف العطف.

---

(١) يُنظر : الإيضاح : ص١٥١ ، التلخيص : ص١٨٠ ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ج٣ : ص١٥٣.

(٢) من هدى القرآن : ج١٢ : ص٥٩ ـ ٦٠ .

(٣) المصدر نفسه : ج١٠ : ص٣٤٩ .

وجاء في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً ﴾ [الجن(٣)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها بعد أن يستعرض معنى (الجد) من خلال كلمات المفسرين : ((ولا نجد في السياق ما يشير إلى أن الكلام جاء على سبيل الحكاية، وإنما يهدينا السياق إلى أنه تقرير للحق الذي جرى على ألسن أولئك النفر من الجن. والذي يبدو لي أن الجد هنا بمعنى العظمة بحيث يمكن أن نجعل الغنى عن الصاحبة والولد في إطارها أيضا))(١) ، فقد تنبه السيد المدرسي إلى معنى التقرير بين الجملتين ، إنَّه ترك العطف لشدة الإتصال .

وكذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) مَوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾ [النحل(٢١)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾ وربما جاء التأكيد على أنهم غير أحياء، لأن المراد بالأموات ليس حقيقة الموت وإنما المراد بالأموات هو موت المعنوي لذهابهم عن الحق والدين. فوجب التأكيد))(٢) ، فقد أشار السيد المدرسي إلى عدم الوصل ههنا لفائدة التأكيد على أنهم ليس فيهم حياة بالأساس ، لذا جاء التأكيد بالوجوب ، وهذا ما أُريدَ من كمال الإتصال الذي أشار إليه أصحاب البلاغة من قبل .

فالتناسب المعنوي التام بين الجملتين منع تخلل حرف العطف بينهما للتماسك والانسجام بين الكلمات الواردة في السياق الواحد ، والشيء لا يُعطف على نفسه لذا جاء بمعنى التأكيد والتقرير كما أوضحنا.

ب ـ البدلية :

المقصود بها ان الجملة الثانية تكون بدلاً عن الأولى ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الطلاق(١٠)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها: ((إن ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بدل عن ﴿ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾ ، واللب هو مخ الشيء وعمقه، وذو اللب هو صاحب البصيرة التي تنفذ إلى أغوار الأمور، وقد خاطب الله المؤمنين من هذه الزاوية لأن دراسة التاريخ وما صارت إليه تلك القرى والاعتبار منه يحتاج إلى الإيمان وإلى الألباب والبصائر التي هي محور الثواب والعقاب))(٣) ، فقد تنبه السيد المدرسي إلى ان الرابط بين الجملتين هي البدلية ، وهذه البدلية أدت إلى وجوب الفصل دون الوصل .

---

(١) من هدى القرآن : ج١١ : ص٢٨١ .

(٢) المصدر نفسه : ج٤ : ص٣١٨ .

(٣) المصدر نفسه : ج١١ : ص٧٧ .

في حين يرى ابن عطية ت(٥٤٦هـ) أنها صفة وليست بدل وذلك في قوله : ((﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ صفة لـ ﴿يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾))(١) ، ويرى السمين الحلبي ت(٧٥٦هـ) انها اما عطف بيان او صفة ، وذلك في قوله: ((﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ منصوب بإضمار أعني بياناً للمنادي ، أو يكون عطف بيان للمنادي ،أو نعتاً له ، ويضعف كونه بدلا لعدم حلوله محل المبدل منه))(٢) ، لعل السمين الحلبي كان يقصد أن النداء لا يأتي مع الاسم الموصول هو الذي حمله على عدم ترجيحه للبدلية ، لكن الموقع من الجملة يؤيد بدليتها لأن أصحاب الألباب هم الذين آمنوا وليس غيرهم ، فلمَ العطف او الصفة ؟ فهي بدل وليست صفة أو عطف بيان للجملة السابقة ، فما أشار إليه السيد المدرسي أقرب للسياق.

ولم يتطرق الزمخشري ت(٥٣٨هـ) والفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) إلى المعنى البلاغي لهذه الآية المباركة ، وإنما كان تفسيرهم بيان مَنْ هُم أصحاب العقول (٣) .

وكذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً(٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً﴾ [المزَّمِّل(٢-٣)] ، يذكر السيد المدرسي رأي الشيخ الطوسي والشيخ الطبرسي إنها بدل ، فيقول : ((فقال البعض ومن بينهم شيخ الطائفة: نصفه بدل من الليل، كقولك: ضرب زيدا رأسه وقيل: إنه بدل من القليل، فيكون بيانا للمستثنى))(٤)، ولم ينقد أحد الرأيين ، لكنه رجح رأي الشيخ الطوسي .

ورأي الشيخ الطوسي وافقه فيه الزمخشري في ان (النصف) بدل من (الليل) ، وذلك في قوله: ((﴿نِّصْفَهُ﴾ بدل من الليل))(٥) ، لكنَّ أبا حيان الأندلسي ينقد آراء المفسرين نقداً لاذعاً ، مستخفَّاً بآرائهم حتى يصل في آخر المطاف إلى أن ﴿نِّصْفَهُ﴾ بدلٌ من قليلا ، لا من الليل (٦) .

---

(١) المحرر الوجيز : ج٨ : ص٣٣٥ .

(٢) الدر المصون : ج١٠ : ص٣٥٨ .

(٣) يُنظر:الكشاف:ج٦:ص١٥١ ، التفسير الكبير(مفاتيح الغيب) : ج٣٠:ص٣٨ ،البحر المحيط:ج٨: ص٢٨٢.

(*) يُنظر : التبيان في تفسير القرآن : ج١٠ : ص١٦٢ .

(**) يُنظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : ج١٠ ، ص٤٧٨ .

(٤) من هدى القرآن : ج١١ : ص٣١١ .

(٥) الكشاف : ج٦ : ص٢٤٠ .

(٦) يُنظر : البحر المحيط : ج٨ : ص٣٥٣ ـ ٣٥٤ .

وهذا رأي الشيخ الطبرسي ت(٥٤٨هـ)، من قبل ، ولقرب البيان من البدل كان احتدام المفسرين في هذه الآية كثير، وقد أشار السيد المدرسي إلى المعنيين كليهما ووافق رأي الشيخ الطوسي ت(٤٦٠هـ) ، وذلك في قوله : ((والأقرب ـ كما يبدو لي ـ أن الضمير في ﴿ نِصْفَهُ ﴾ عائد إلى الليل ، فيكون المعنى: قم كل الليل إلا قليلا ، أو نصفه ، أو أقل من النصف بالانتقاص منه قليلا ، أو أكثر من النصف بالزيادة عليه))(١)، فكان رأي السيد المدرسي موافقاً لرأي الشيخ الطوسي والزمخشري في أنها بدل من (الليل) وهو الصواب، بالرغم من أن المفسرين الآخرين يذهبون إلى بدليتها لكن من (قليلا) لا من (الليل) .

ج ـ إذا كانت الجملة الثانية بياناً للجملة الأولى :

ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾ [المطففين (٢٠)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((﴿ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾ قالوا: إن هذه الجملة بيان لكتاب الأبرار، وأنه كتاب مرقوم واضح لا لبس فيه، ويحتمل أن تكون الجملة تفسير للعليين، باعتبار أن الكتاب هو الأعلى والأسمى، لما يحمل من صالح الأعمال، والله العالم))(٢) ، ولم يعقب على هذا الرأي مما يتبين أنه موافقه .

وإلى هذا المعنى ذهب الفخر الرازي في تفسير هذه الآية المباركة ، فيقول : ((﴿ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾ فبيَّن أن كتابهم في هذا الكتاب المرقوم الذي يشهده المقربون من الملائكة ..))(٣) ، في حين يرى أبو حيان الاندلسي أنها ليست بياناً وإنما هي بدل ، وذلك في قوله : ((إنَّ ﴿ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾ بدل أو خبر مبتدأ محذوف))(٤) ، وإبن عطية يرى أنها خبر (إنَّ)(٥) ، لكن البيانية أقرب لواقع الآية الكريمة ، فجملة ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾ تبيِّن كتاب الأبرار، فما ذهب إليه السيد المدرسي والفخر الرازي أقرب من الآراء الأخرى.

وقول السيد المدرسي (ويحتمل أن تكون الجملة تفسيراً للعليين) ، وللقرطبي ت(٦٧١هـ)

---

(١) من هدى القرآن : ج١١ : ص٣١١ .

(٢) المصدر نفسه : ج١٢ : ص٩٦ .

(٣) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ج٣١ : ص٩٨ .

(٤) البحر المحيط : ج٨ : ص٤٣٢ .

(٥) يُنظر : المحرر الوجيز : ج٨ : ص٥٦٢ .

رأي مغاير في هذه الآية ، فيقول : ((إنّ ﴿ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾ ليس تفسيراً لعليين ، بل تم الكلام عند قوله : (عليُّون) ، ثم ابتدأ وقال : ﴿ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾ أي : كتاب الأبرار كتاب مرقوم ، ولهذا عكس الرقم في كتاب الفجار))(١) ، فهو يوافقه في البيانية لكنه يخالفه في انها تفسير للعليين ، وما يهمنا إنها للبيان ، وهذا ما جاء عند الفخر الرازي من قبل والسيد المدرسي يوافقه في تفسير هذه الآية المباركة .

وكذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ . . . وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب (٣٣)] ، فالفصل الحاصل بين آية التطهير وبين الجملة السابقة لها دون الوصل ، هو لبيان هؤلاء دون غيرهم ، فيقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((ولعل الحكمة في سوقها جملة اعتراضية هو بيان المقابلة لتأكيد استحقاق البيت الطاهر مقام تمثيل الرسول "صلى الله عليه واله" ، وربما أيضا أن الحكمة المتمثلة في تنقية ما حول الرسول من كل شائبة التي مرّ بيانها سابقا هي هنا مطلوبة لإمتداده "صلى الله عليه واله" الطاهر أيضاً))(٢) ، فقد تنبه السيد المدرسي إلى بيانية الجملة لآية التطهير ، وما قبلها ، ولهذا وجب الفصل وعدم الوصل بينهما .

ولم يُشر الزمخشري ت(٥٣٨هـ) و أبو حيان ت(٧٤٥هـ) إلى البيانية في ذلك واكتفيا بالتفسير العام وإثبات أن ازواج النبي " صلى الله عليه وآله " داخلات في آية التطهير أم لا (٣) .

٢ـ شبه كمال الاتصال :

هو اذا كان بين الجملتين ما يُشبه كمال الاتصال ، فتكون الجملة الثانية جواباً لسؤال يُفهم من الجملة الأولى (٤) ، ويُسمى فصل الجملة الأولى عن الثانية ، استئنافا بيانيا ،((ومنه كل ما ورد في القرآن الكريم من الجمل المصدرة بلفظ (قال) مفصولاً عما قبله ويُعمد إلى هذا الأسلوب لإغناء السامع عن السؤال ، والقصد إلى الإيجاز ، بتقدير السؤال ، وترك العاطف))(٥). والاستئناف حاله حال الأغراض البلاغية الأخرى ، إذ إنَّه يأتي بأغراض بلاغية ذات معاني متعددة منها :

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ج٢٢ : ص١٤٩ .

(٢) من هدى القرآن : ج٧ : ص١٩٩ .

(٣) يُنظر : الكشاف : ج٥ : ص٦٦ ، البحر المحيط : ج٧ : ص٢٢٤ .

(٤) يُنظر : مفتاح العلوم : ص١٢١ ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ج٣ : ص٥٢ ، البلاغة الميسرة ، د. عبد العزيز بن علي الحربي ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠١١م : ص٤٤.

(٥) سورتا مريم والمائدة دراسة ضمن علم المعاني (رسالة) : ص١٨٦.

٣ـ كمال الانقطاع أو (الانقطاع التام)(١) **:**

ويقع عادة في موردين : أحدهما : (اختلاف الجملتين [خبراً وإنشاء] [لفظاً ومعنى]) ، والآخر : (الانتفاء الجامع بين الجملتين) ، أي لا يكون بين الجملتين مناسبة (٢) ، ولم أجد من إشارة للسيد المدرسي في تفسيره لهذه المعاني .

(١) يُنظر : مفتاح العلوم :ص١٢٢ ، الإيضاح : ص١٥٠ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ج٣ : ص١٥٣.

(٢) يُنظر : مفتاح العلوم :ص١٢٢ ، الإيضاح : ص١٥٠ ، البلاغة الميسرة : ص٤٤ ، علم المعاني ، عتيق : ص١٦٣.

المحور الثاني : الوَصْلُ (مواضعه وتطبيقاته) :

في اللغة :

مأخوذ من : وَصَلَ ، يَصِلُ ، صِلْ ، والمصدر : وصلاً ، فـ ((الواو والصاد واللام أصلٌ واحد يدل على ضمِّ الشيء إلى الشيء حتى يعلقه ، ووصلته به وصلا ، والوصل : ضد الهجران..))(١) ، والاتصال يعني : ربط الشيء بالشيء بلا قطع (٢) ، ومنه الوصول والإيصال ، وكلها تعني الربط وعدم القطع .

في الإصطلاح :

عنى البلاغيون بهذا الأسلوب مع قرينه الفصل لدقة معانيهما ، اذ أولوه عنايةً كبيرةً وتتبعوا مفاصله وأغراضه البلاغية وعرفوه بأنه : عطف بعض الجمل على بعض ، أو الربط بين جملتين ، بأداة ربط (٣)، وتسمى هذه الأداة (عاطفة) ، وكان اهتماهم بالوصل بالواو ((لأن بلاغة الوصل لا تتحقق الا بالواو العاطفة فقط تخفى الحاجة اليها ويحتاج العطف بها الى لطف فهم ، ودقة ادراك ، فهي لا تفيد الا ربط وتشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم ، خلاف الأدوات الأخرى فإنها تفيد مع التشريك معاني أخرى كالترتيب والتعقيب وغيرها))(٤) ، والعطف بالفاء أو ثمَّ يُظهر الدلالة في السياق (٥) ، لذا تركز جهد البلاغيين على بيان سر العطف بالواو ، وهذا لا يمنع من أن يكون الوصل بـ (الفاء و ثُمَّ) موجوداً(٦)، رغم قلة ورود الأسرار البلاغية فيهما ، وإن كان ذكرها جد قليل .

---

(١) معجم مقاييس اللغة مادة (وصل) : ج٦ : ص١١٥ .

(٢) يُنظر : العين مادة (وصل) : ج٧ : ص١٢٦ ، لسان العرب مادة (وصل) : ج١١ : ص٧٢٦ .

(٣) يُنظر : دلائل الإعجاز : ص٢٢٢ ، الإيضاح ص١٤٧ ، التلخيص : ص١٧٥ ، المطول : ص٢٤٧ ، الأطول : ج٢ : ص٢ ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ج٣ : ص٣٥٤ ، علم المعاني ، عتيق : ص١٦٠ ، تهذيب البلاغة : ص٩٩ ، البلاغة الميسرة : ص٤٤ ، البلاغة العربية ، تأصيل وتجديد ، مصطفى الصاوي ، المعارف ، مصر ، د. ط ، ١٩٨٥ : ص٤٣ ، من بلاغة القرآن : ص١٣٤ .

(٤) البلاغة في سؤال وجواب ، د. ضرغام كريم الموسوي ، دار التوحيد للطباعة ، كربلاء المقدسة ، ط١ ، ٢٠١٦م : ص١٤٨ .

(٥) يُنظر : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، الشيخ بهاء الدين السبكي (ت٧٧٣هـ) ، تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي ، المطبعة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م : ج١ : ص٤٩٣ .

(٦) يُنظر : الإيضاح : ج١:ص١٧٤-١٧٥ ، المباحث البلاغية في حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي : ص١٣٧.

الوصل عند السيد المدرسي :

عرَّف السيد المدرسي الوصل في تفسيره (من هدى القرآن) : بأن ((الوصل نقيض الفصل وهو الجمع بين الشيئين من غير حاجز))(١) ، وهذا من الناحية اللغوية ، ولم يتطرق لتعريفه اصطلاحاً من الناحية البلاغية كما جاء عند البلاغيين ، وكذلك لم يذكر لفظ الوصل في الآيات التي ورد فيها ، لكنه أشار إلى أغراضه البلاغية من خلال تفسيره للآيات المباركة التي ورد في سياقها الوصل كما سيتضح إن شاء الله .

الـوصــل بـــالـــواو :

ذكرنا أنّ (الواو) العاطفة عُني بها أصحاب البلاغة فكادت تكون هي المهيمنة على باب الوصل، والوصل بالواو يفيد معاني بلاغية يبينها السياق القرآني الواردة فيه ، منها :

أ ـ البيان :

من الأغراض التي يدل عليها السياق في الوصل هو البيان ، منها ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [التغابن (١٢)] ، وضوح التشريك بين طاعة الله وطاعة الرسول في سياق هذه الآية المباركة، إذ عُطف بينهما بالواو ، وهذا يدل على وجوب الإطاعة ، فيقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((ونقف هنا عند تعبير القرآن الكريم، فهو تارة يقول: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال(١)]، وأخرى يقول: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ ، بإضافة فعل الأمر ﴿ أَطِيعُوا ﴾ ، كما في هذه الآية. أوليس العطف بالواو وحده كافيا لتأدية المعنى نفسه؟.

والجواب: أن لكلا التعبيرين ظلاله الخاصة في المعنى والنفس، ولعل العطف بالواو وحدها يبين أن طاعة الرسول هي امتداد لطاعة الله، في حين أن العطف بها مع الفعل: ﴿ وَأَطِيعُوا ﴾ يؤكد استحالة الفصل بين طاعة الله وطاعة القيادة الرسالية)) (٢) فقد تنبه السيد المدرسي لهذا التشريك وما افاده من غرض بلاغي وهو البيان في وجوب الإطاعة ، وهذا الذي أدى إلى وجوب الوصل وعدم صحة الفصل .

ومما جاء لبيان الأهمية من خلال العطف بالواو ، في سياق قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ

(١) من هدى القرآن : ج١ : ص١٦٦ .

(٢) المصدر نفسه : ج١١ :ص٤٥ .

﴿ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد(٢٥)] ، يقول السيد المدرسي في تفسير ﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ ﴾ : ((وهذا الشطر من الآية معطوف على **الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ** ولكن الله يذكر أولا الهدف من الحديد. لماذا؟

يبدو لكي يبين بصيرة هامة وهي: أن العوامل المتقدمة هي الأهم، ولا بد أن تكفي في الظروف العادية ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ ﴾ (أنفسهم) ﴿ بِالْقِسْطِ ﴾ فلا يحتاجون إلى إعمال الحديد وذلك لأن القوة التنفيذية في الإسلام تستمد قوتها الأساسية من الإيمان لا من السيف))(١) ، فبيان الأهمية فرض أن يأتي بالوصل دون الفصل، وهذا ما تنبه إليه السيد المدرسي من خلال استقرائه لمفاصل السياق ، فالوصل فيه ابين للأهمية .

٢ـ التأكيد :

من الأغراض البلاغية التي يأتي بها العطف بالواو ، هو التأكيد ، وهذا ما جاء في قوله تعالى : ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [يوسف (١٢)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ثم أكدوا له أنهم سوف يتولون حراسته وحفظه ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾))(٢) ، فقد لعب العطف دوراً مهما في تأكيد التشريك ببين الجملتين ، وهذا من باب عطف الجملة الفعلية على الجملة الفعلية الأخرى (يرتع ويلعب) ، وقد أشار السيد المدرسي إلى هذا التأكيد كما ذكرنا .

ومما جاء به العطف من التأكيد والإستمرار في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس(٦٣)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((ويبدو من الآية ضرورة استمرار الإيمان والتقوى في حياة الفرد، بدلالة صيغة الماضي المؤكدة بكلمة (كان) ذلك لأن اكثر الناس يؤمنون ويتقون ولكن قبل أن يتعرضوا لامتحانات عسيرة))(٣) ، ومن دقة سياق الآية المباركة استطاع السيد المدرسي أن يضع اليد على المعنى البلاغي للعطف ، لذا كان الوصل واجباً ولا يؤدي الفصلُ هذا المعنى ، فقد أنتج الوصل قيمة معنوية من خلال الربط بين الجملتين بالأداة (الواو) التي أشركت التقوى بالإيمان .

وقد أشار أبو حيان ت(٧٤٥هـ) إلى هذا المعنى دون التصريح ، وذلك في تفسيره لهذه الآية

---

(١) من هدى القرآن : ج١٠ : ص٢٩٩ .

(٢) المصدر نفسه : ج٤ : ص١٠٧ .

(٣) المصدر نفسه : ج٣ : ص٤٠٨ .

المباركة ، فيقول : ((﴿ وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ إشعار بمصاحبتهم للتقوى مدة حياتهم وحالهم في المستقبل كحالهم في الماضي))(١) ، فقد وافق السيد المدرسي أبا حيان في هذا المعنى من الاستمرار والتأكيد في التشريك بين التقوى والإيمان .

٣ـ التدرُّج :

يفيد العطف بالواو فائدة بلاغية وهي التدرج بين الأشياء منها : التدرج في الفائدة ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَعِنَباً وَقَضْباً (٢٨) وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً ﴾ [عبس(٢٨)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((﴿ وَعِنَباً وَقَضْباً ﴾ يشير القرآن إلى نوعين آخرين من الطعام ميسورين وأساسيين للغذاء يتدرجان معا من فصيلة الخضروات والنباتات الأرضية، وهما العنب والقضب .... ولعل هذا الترتيب يدل على التدرج في الفائدة))(٢) ، فقد تنبه السيد المدرسي لفائدة الوصل في سياق هذه الآيات المباركات وهو التدرج من حيث فائدتها ومدى استفادة الإنسان منها بحسب تدرجها ، لذا كان الوصل واجباً بينهما ولا يعطي الفصل هذا المعنى ، فهذا الجمع بين هذه الخضروات والفواكه والتشريك بينهما بالأداة الواو أدى إلى معرفة الغرض البلاغي من سياقها الواحد يلي الآخر .

٤ـ الترتيب والفضل :

أفاد العطف بالواو غرض الترتيب الزمني والفضل ، وهذا ما جاء في قوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾ [الشورى(١٣)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((...﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ من رسله، كالذين سبق ذكرهم من أولي العزم الذين فضلهم الله على سائر أنبيائه، وهم نوح شيخ المرسلين الذي قدمه السياق لأنه أول نبي عقد عزمات قلبه على إبلاغ رسالة التوحيد، بتلك الصعوبات المعروفة وعبر (٩٥٠) عاما، وذكر بعده نبينا محمد " صلى الله عليه واله " لأنه الأعظم من بين أولي العزم، ثم جاء ذكر الأنبياء الثلاثة بالترتيب الزمني إبراهيم ثم موسى ثم عيسى " عليهم السلام "))(٣) ، فقد تنبه السيد المدرسي إلى التشريك بين الأنبياء بأداة العطف (الواو) ، وهذا التشريك افاد فائدة بلاغية وهي السبق الزمني والفضل والترتيب ، لذا جاء الوصل دون الفصل ، فالدلالة التي أرادها السياق لا تؤديها اداة سوى (الواو) لأنها مختصة في التشريك بين الأنبياء ، وإشارة السيد المدرسي إلى سبب مجيء الرسول الأعظم محمد " صلى الله عليه وآله وسلم " بعد نبي الله نوح " عليه السلام " إنما هو لبيان الترتيب،

---

(١) البحر المحيط : ج٥ : ص١٧٣ .

(٢) من هدى القرآن : ج١٢ : ص٤١ .

(٣) المصدر نفسه : ج٨ : ص٣٥٩ .

ومجيئه " صلى الله عليه وآله وسلم " قبل الأنبياء الباقين " عليهم السلام " هي لبيان الفضل ، فقد استنبط حكمه هذا من خلال السياق القرآني الواردة فيه الآية المباركة ، وهو رأي صائب .

٦ـ لتحقيق التوازن :

يأتي العطف بالواو في القرآن الكريم ليوازن بين جملتين معنوياً ، وهذا ما ورد في قوله تعالى : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا . . . . وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد(٢٠)] ، فقد حققت (الواو) التوازن بين الحياة الدنيوية وملذاتها وبين ما يحصل عليه الإنسان في الآخرة ، يقول السيد المدرسي في تفسير هذه الآية المباركة : ((وحينما يطمئن الإنسان إلى حقيقة الدنيا فسيعلم أن حطامها ليس بالذي يُشبع طموحاته ويحقق تطلعاته ... وهذا لا يمكن حتى يضيف إلى علمه بحقيقة الدنيا علما بحقيقة الآخرة، ومن هذا المنطلق يعطف الله على قوله: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾قوله تعالى: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ فكل إنسان يحس بفطرته، أن طموحاته أكبر من الدنيا وما فيها، ولكنه إذا غفل عن الآخرة فسيبقى مُصرًّا على التشبث بالدنيا، طمعا في تحقيق ما يقدر عليه منها مهما كان متواضعا، ولذلك نجد القرآن يُرسي قاعدة الإيمان بالآخرة في النفس ليحقق التوازن المطلوب في نفس البشر لكيلا ينساق وراء التكاثر في جمع حطامها، ظنًّا منه أنه يحقق تطلعاته بذلك))(١) ، استطاع السيد المدرسي أن يستنبط من السياق في هذه الآية المباركة ،الربط بين صدر الآية المباركة وبين النتيجة التي يحصل عليها الإنسان الخاضع لملذات الدنيا وهو الميزان الآخر(العذاب الشديد) ، فقد أفادت الواو تحقيق التوازن بين الجملتين من حيث المعنى.

(١) من هدى القرآن : ج١٠ : ص٢٨٦ ـ ٢٨٧ .

٧ـ التعليل :

من الأغراض التي يفيدها العطف **بالواو** هو **التعليل** ، فالجملة المعطوفة تكون تعليلاً للجملة المعطوف عليها ، وهذا ما ورد في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ(٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ [المعارج(٩)] ، يذكر السيد المدرسي رأي السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ)في هذه الآية المباركة ، فيقول : ((...وعلق العلامة الطباطبائي بقوله : في هذه الآية وما قبلها تعليل للصبر، فإن تحمل الأذى والصبر على المكاره يهون على الإنسان إذا استيقن أن الفرج قريب))(١) ، فقد كانت هذه الآية المباركة تعليلا للآية التي سبقتها ، ولم يعقب السيد المدرسي على قول السيد الطباطبائي ، مما يدلل على موافقته له في أنها تعليل.

وكذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ .. وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ﴾ [الشورى(٣٥)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ﴾ أي مهرب ومفزع من الله. قالوا (*): إن نصب ﴿ وَيَعْلَمَ ﴾ جاء لأنه عطف على تعليل محذوف، وكأنه قال: ينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون))(٢)، فالتعليل في هذه الآية المباركة وبعد أن ذكر السيد المدرسي رأي المفسرين الذين سبقوه ، جعله من المسلمات موافقاً لهم في الرأي ، اذ أن القيمة المعنوية للوصل أنتج التعليل في السياق الواردة فيه الآية المباركة .

ومما تقدم تبيَّن لنا أن السيد المدرسي كان موافقاً للبلاغيين (٣) بان العطف بالواو هو الأسمى والأكثر شيوعاً في السياقات القرآنية المباركة ، ولهذا ترك الحروف الأخرى على معانيها السابقة من تعقيب وتراخٍ، ولم يولها عناية ، بل كانت الواو هي أداة الوصل المهيمنة على الربط بين الجمل ، وهذا ما أثبتناه في النصوص السابقة .

---

(١) من هدى القرآن : ج١٢ : ص٢٢٦ ، ويُنظر رأي السيد الطباطبائي في : الميزان في تفسير القرآن : ج٢٠ : ص٨.

(*) هذا رأي الزمخشري ، يُنظر : الكشاف : ج٥ : ص٤١٤ ، وأبي حيان ، البحر المحيط : ج٧ : ص٤٩٨ .

(٢) من هدى القرآن : ج٨ : ص٣٩٦ .

(٣) يُنظر : دلائل الإعجاز : ص٢٣٣ ، مفتاح العلوم : ص٣٥٧ ، الإيضاح : ص١٤٥ ـ ١٤٦ .

ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء(١١)] ، فيقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((﴿ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا " تعليل لقوله ﴿ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ﴾ ذلك لأن الخير بحاجة إلى صبر. والمسؤولية لا تنمو في قلب عجول، وإنما في قلب مطمئن صبور، ولعل الآية الكريمة تذكر أيضا بأن تأخر الجزاء عن وقت العمل قد يغري الإنسان الغافل بارتكاب الجرائم لأن الإنسان كان عجولا))(١) ، فقد أشار السيد المدرسي إلى الغرض البلاغي الذي أفاده العطف بين الجملتين، ألا وهو التعليل .

ولم يشر الواحدي ت(٤٦٨هـ) والزمخشري ت(٥٣٨هـ) وابن عطية ت(٥٤٦هـ) وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) والسمين الحلبي ت(٧٥٦هـ) إلى الغرض البلاغي من العطف ههنا ، فكان تفسيرهم لهذه الآية تفسيراً عامًّا تاريخياً فقهياً روائياً ، إذ ذكروا رواية عن النبي "صلى الله عليه وآله" وزوجته أم المؤمنين (سودة)، وأنه وضع عندها اسيراً فأرخت قيده وهرب ، فدعا الرسول عليها (٢)، وهي مردودة من وجوه عدَّة ولا يمكن قبولها جملة وتفصيلاً لتعارضها مع ثوابت إسلامية ليس هذا محل تفصيلها .

في حين ذهب السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) إلى معنى التوبيخ واللوم ، وذلك في قوله : ((إنَّ الآية وما يتلوها من آيات مسوقة لغرض التوبيخ واللوم .... فهو سبحانه يلوم أنه لما به من قريحة الاستعجال لا يقدر النعمة الإلهية حق قدرها ...))(٣) .

لكن ما ذهب إليه السيد المدرسي أقرب ، لأن العطف ههنا بيَّن سبب استعجال الإنسان بدعاء الخير وقت الشدَّة ، فالعطف أفاد التعليل .

---

(١) من هدى القرآن : ج٤ : ص٤٢٤ .

(٢) يُنظر : التفسير البسيط : ج١٣ : ص٢٧٠ ،الكشاف :ج٣ : ص٤٩٨ ، المحرر الوجيز : ج٥ : ص٤٤٨ ، البحر المحيط : ج٦:ص١٢، الدر المصون : ج٧ : ص٣٢١ .

(٣) الميزان في تفسير القرآن : ج١٣ : ص٤٦ .

الفصل الثاني

المبحث الرابع

التعريف والتنكير

أقسامهما

أغراضهما البلاغية

المبحث الرابع

التعريف والتنكير
أقسامهما ، أغراضهما البلاغية

من موضوعات علم المعاني التي اعتنى بها البلاغيون والنحويون ، اذ تتصل دراسته بدراسة أحوال المسند والمسند اليه، فالنحويون اهتموا به من ناحية الإعراب والموقع الإعرابي الذي يرد فيه ، وتعمق البلاغيون في تفصيلات هذا الموضوع متوغلين في دراسة اغراضه واسراره البلاغية، والذي يهمنا ههنا هو الدراسة البلاغية في هذا الموضوع، فسنجعل دراسة هذا الموضوع بمحورين، المحور الأول: يُعنى بالتعريف وأقسامه وأغراضه البلاغية، ويُخصص المحور الثاني: للتنكير وأقسامه وأغراضه البلاغية.

المحور الأول : التعريف (أقسامه وأغراضه) :

في اللغة : التعريف أو المعرفة عند أهل اللغة : ((العين والراء والفاء أصلان صحيحان ، يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلا بعضه ببعض ، والآخر على السكون والطمأنينة ..... فالأول العُرْفُ : عُرفُ الفرس ، وسميَّ بذلك لتتابع الشعر عليه ، ..... والأصل الآخر : المعرفة والعرفان ، تقول : عرف فلانٌ فلاناً عِرْفاناً ومعرفةً))(١) ، فهو من الإعلام بعد الجهل بالشيء للاطمئنان في معرفته ، والدلالة على الشيء ذاته لا تتعدى معرفته الى غيره.

في الإصطلاح : عرفه كثير من أصحاب البلاغة والنحو ، فقد عرفه السكاكي ت(٦٢٦هـ): بأنه ((الحالة التي تقتضي تعريفه : فهي اذا كان المقصود من الكلام إفادة السامع فائدة يعتد بها))(٢) ، أما القزويني ت(٧٣٩هـ) فقد عرفه بتعريف أكثر وضوحا واوسع في المعنى، فيقول ((وأما تعريفه لتكون الفائدة أتم،لأن احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد كانت الفائدة في الإعلام به أقوى ،ومتى كانت أقرب كانت أضعف، وبعده بحسب تخصيص المسند اليه ، والمسند كلما ازداد تخصيصاً ازداد الحكم بعداً ، وكلما ازداد عموماً ازداد الحكم قرباً))(٣) وقال العلوي ت(٧٤٩هـ) هو ((ما دلَّ على شيء بعينه))(٤) ، وقد قسمه الزملكاني

---

(١) معجم مقاييس اللغة مادة (عرف) : ج٤ : ص٢٨١ ، يُنظر : المعجم القرآني : ج٢ : ص٧١٦.

(٢) مفتاح العلوم : ص١٧٨ .

(٣) التلخيص : ص٥٧ .

(٤) الطراز : ج٢ : ص١٤ ، ويُنظر : جوهر الكنز (تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة)، نجم الدين احمد بن إسماعيل ابن الأثير الحلبي ت(٧٣٧هـ)، تحقيق: د. محمد زغلول سلام، الناشر: منشأة المعارف بالإسكندرية، د.ت: ص٢٨٨ ، الفوائد الغياثية في علوم البلاغة ، للعلامة عضد الدين الايجي ت(٧٥٦هـ) ، تحقيق : عاشق حسين الناشرون، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م : ص١١٦ ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ج٢ : ص٢٨٢ .

ت(٦٥١هـ) بقوله : ((وأقسام المعرفة المضمر ، والعلم، وأسم الإشارة ، والاسم الموصول ، والمعرَّف بالألف واللام ، والمضاف إلى واحد إضافة معنوية))(١) ، وهذه تقسيمات النحاة أيضاً ، وعلى منوالهم سار البلاغيون المحدثون وتوسعوا فيه (٢) .

ولم يتطرق السيد المدرسي إلى تعريف خاص (للتعريف) وإنَّما اكتفى بالإشارة إلى أقسامه وأغراضه البلاغية في تفسيره من هدى القرآن وهذا ما سنقف عنده في هذا المبحث إنْ شاء الله تعالى.

• أقسام التعريف وأغراضه :

أولاً : التعريف بـ [الألف واللام] :

١- [أل] العهدية :

يُقصد بالعهدية ههنا : هي الإشارة الى المعهود بين المتخاطبين (٣) وفيه تلويح بملامح المعهود في النص وذلك بأن : ((يذكر شيء من لوازمه))(٤) ، مما تتضح معالم العهدية من خلال السياق الذي ترد فيه الكلمة المعرفة بالألف واللام العهدية .

ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ [الجن (١٦)] ، فالطريقة جاءت معرفة بالألف واللام ، فيقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((إن تعريف القرآن لها بألف ولام العهد والجنس يهدينا إلى أنها طريقة معينة للإنس والجن، وليس سواها طريقة حتى يستريب فيها ذهن السامع أو ينصرف عنها. ولقد كثرت الأقوال في بيان المقصود بالطريقة إلا أن أقربها- كما يبدو لي- الحق المتمثل في:

---

(١) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن ، عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني ت(٦٥١هـ) ، تحقيق : د. أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط١ ، ١٩٧٤م : ص١٣٣ .

(٢) يُنظر : علم المعاني (دراسة تاريخية لاصول البلاغة ومسائل البيان)، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، دار الامين للطباعة، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م : ج١ : ص٩٦ ، علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، احمد مصطفى المراغي، راجعه واشرف على تصحيحه أبو الوفا مصطفى المراغي، المكتبة المحمودية التجارية، مصر، ط٥ ، د.ت : ص١٢٥ .

(٣) يُنظر : الايضاح : ص٤١ .

(٤) حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي : ج١ : ص١٤٢ ،

١- الفطرة التي أركزها الله في خلقه، حيث الإيمان والتسليم للحق .. فإن الاستقامة عليها هي السبيل إلى كل خير وسعادة.

٢- خط الرسالات الإلهية والأنبياء، قال العلامة الطبرسي: لو استقاموا على طريقة الهدى بدلالة قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة(٦٦)]))(١) ، فقد أشار السيد المدرسي إلى تخصيص وتحديد الطريقة و بيَّن العهدية التي اداها التعريف بـ (الألف واللام).

ويذهب الفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) إلى هذا المعنى دون التصريح بمعنى الألف واللام ،أي : بعهديتها، وذلك في تفسيره للآية المباركة فيقول : ((الطريقة معرفة بالألف واللام فتكون راجعة الى الطريقة المعروفة المشهورة وهي طريقة الهدى))(٢) ، وهذا المعنى ذكره السيد المدرسي وزاد عليه في المعنى .

بيد أن الزمخشري ت(٥٣٨هـ) وابا حيان ت(٧٤٥هـ) لم يوضحا معنى التعريف في (الطريقة) وإنما ذهبا إلى تفسيرها أصولياً وفقهياً وعقدياً (٣) .

فقد وافق السيد المدرسي ما ذهب اليه الرازي في تفسيره لهذه الآية ، والفرق بينه وبين الفخر الرازي ، هو أن السيد المدرسي صرَّح في عهدية التعريف بـ(الألف واللام) في (الطريقة) ، والرازي لمَّح لذلك عن طريق المعنى الذي أورده في تفسيرها .

ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ [البقرة (٩٩)] ، يشير السيد المدرسي إلى العهدية التي تحملها الألف والام في (الفاسقون) وذلك في قوله : ((وقد أيَّدَ نبيَّهُ بالعلامات الواضحة والحجج البالغة ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ ، والذين يخالفونها ويكفرون بالرسالة لا يستطيعون أن يؤمنوا بشيء ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ الذين يخالفون عهد الله))(٤) ، فقد أعطى السيد المدرسي المعنى التي تحمله (أل العهد) مباشرة دون التفصيل فيها ، فالمعنى المباشر كان واضحا من العهدية فيها .

---

(١) من هدى القرآن : ج١١ : ص٢٩٣ .

(٢) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ج٣٠ : ص١٦١ .

(٣) يُنظر : الكشاف : ج٦ : ص٢٣٠ ، البحر المحيط : ج٨ : ص٣٤٤ ـ ٣٤٥ .

(٤) من هدى القرآن : ج١ : ص٢١٥ .

وقد ذهب إلى هذا المعنى السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) في تفسيره بهذه الآية المباركة ، وذلك في قوله : ((﴿ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ فيه دلالة على علَّة الكفر وإنه الفسق فهم لكفرهم فاسقون ولا يبعد أن يكون الالف واللام في قوله (الفاسقون) للعهد الذكري ، ويكون ذلك إشارة لما مرَّ في أوائل السورة...))(١) ، فكان توضيح السيد الطباطبائي شاملاً لجميع مفاصل الآية المباركة ، والمباشرة عند السيد المدرسي لا تقل أهمية عما جاء به السيد الطباطبائي ، لكن باختصار ، إذ انه وافق ما جاء به السيد الطباطبائي في هذه الآية المباركة .

٢- أل [الجنس] :

يعرفها ابن هشام الأنصاري ت(٧٦١هـ) فيقول : ((الأجناس أمور معهودة في الأذهان متميز بعضها عن بعض ، ويقسم المعهود إلى شخصٍ وجنس . والفرق بين المعرَّف بـ ((أل)) هذه وبين اسم الجنس النكرة هو الفرق بين المقيَّد والمطلق ، وذلك لأن ذا الألف واللام يدلُّ على الحقيقة بقيد حضورها في الذهن واسم الجنس النكرة يدل على مطلق الحقيقة لا باعتبار قيد))(٢) ، فمن تعريف ابن هشام نستشف أن (أل الجنس) تدخل على النكرة لتفيد في دخولها الجنس المحض دون العهد ، وتأتي بمعانٍ تُكتشف من خلال السياق التي ترد فيه .

أ ـ تفيد العموم :

وقد وردت (أل الجنس) وأفادت العموم في غرضها البلاغي في قوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ [الرعد(٢)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ إن الله سخر الشمس والقمر لأهداف معلومة وإلى وقت معلوم، لذلك لا نتطرق إلى هذه الأهداف، ولكن الذي يهمنا هو أن الشمس والقمر لفظان يدلان على العموم مما كان من جنسهما، وهذا يعني حتى الأرض، وربما أن الله سبحانه ذكر هذين الاثنين للإشارة إلى أبناء الارض))(٣) ، فقد أشار إلى جنس الشمس والقمر وقد أفادت عموم الكواكب الأخرى ، وهذا ما استنبطه السيد المدرسي من سياق الآية المباركة ﴿ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ ، فالكُلِّية دخلت من خلالها الكواكب الأخرى التي لم يذكرها السياق القرآني .

---

(١) تفسير الميزان : ج١ : ص٢٢٧ .

(٢) مغني اللبيب : ج١ : ص٤٥ ـ٤٦ .

(٣) من هدى القرآن : ج٤ : ص١٧٨ ، وبهذا يكون مجازاً مرسلاً علاقته الحالية بأن أطلق المحل وأراد به الحال بذاك المحل .

ولم يُشر أحدٌ من المفسرين إلى (ال الجنس)في الشمس والقمر ولكن أشاروا إلى العمومية التي أفادها السياق القرآني (١) . فقد تنبه السيد المدرسي إلى الألف واللام في (الشمس والقمر) والتي دلت على جنسهما وعموم الكواكب الأخرى التي لم يذكرها السياق وأداها لفظهما .

ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب(٣٥)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((ثم نجد إشارة إلى حقيقة هامة وهي: أن ما جاء في القرآن من الآيات بصيغة المذكر لا يدل على اختصاصها بالذكور دون الإناث، إنما يشمل الجنسين: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ ﴾ كل ذلك قولًا وعملًا ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ ﴾ الذي يكون الإحساس سمة علاقتهم مع الآخرين، فهم كما يسعون لإصلاح أنفسهم وبنائها يسعون لبناء المجتمع وسد حاجته))(٢).

وإلى هذا المعنى ذهب الزمخشري ت(٥٣٨هـ) دون التصريح بمعنى الجنس في الألف واللام (٣) ، فقد كان السيد المدرسي مصرحاً بالتعريف ههنا الذي أفاد الجنس للمذكر وعموم الإنسان من مذكر ومؤنث.

ب ـ التحقير : تخرج ال الجنس لتفيد التحقير بلاغياً كما جاء في قوله تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ ﴾ [الحديد(٢٠)] ، يقول السيد المدرسي في تفسير تعريف الدنيا:((وبالرغم من أن ظاهر التعريف بالدنيا يُحقِّرها في نفوسنا، لكن ربنا لا يريد من هذا التعريف أن يَحُطَّ من قدرها لكي ننصرف عنها انصراف المتصوفة، فهي ذات أهمية لكل إنسان، لأنها دار تقرير المصير الأبدي، وإن ساعة من الدنيا خير من ساعات في الآخرة، لأنه يربح بساعة دنيوية آلاف الساعات، وربما اشترى بها الخلود في الجنة كالحر بن يزيد الرياحي، الذي لم يكن بين توبته وشهادته إلا لحظات، وإنما أراد الله أن يبين لنا طبيعة الدنيا وطبيعة الإنسان حينما يحبها ويتخذها هدفا، دون مرضاة الله))(٤) ، فقد بيَّن السيد المدرسي ماهيَّة الدنيا من خلال ال الجنس في ايراد المعنى في التحقير لها . وقد ذهب الزمخشري

---

(١) يُنظر : الكشاف : ج٣ : ص٣٣٢ ، المحرر الوجيز : ج٥ : ص١٧١ ، التفسير الكبير(مفاتيح الغيب) : ج١٨ : ص٢٣٦ـ ٢٣٩ ، البحر المحيط : ج٥ : ص٣٥٣ ـ ٣٥٤ ، التفسير البسيط : ج١٢ : ص٢٨٥ ، الكشف والبيان : ج٥ : ص٢٦٩ ، الدر المصون : ج١٠ : ص١٠ .

(٢) من هدى القرآن : ج٧ : ص٢٠٥ ، وينظر : ج١٠ : ص١٧٧ .

(٣) يُنظر : الكشاف : ج٥ : ص٦٩ ـ ٧٠ .

(٤) من هدى القرآن : ج١٠ : ص٢٨٢ .

ت(٥٣٨هـ) من قبل إلى هذا المعنى فيقول : ((فيها ازدراء للدنيا وتصغير لأمرها ، وكيف لا يصغِّرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة))(١) .

وكذلك السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) يرى هذا المعنى في تفسيره للآية المباركة في قوله : ((وفي الآية كما ترى قصر الحياة الدنيا في اللهو واللعب والإشارة إليها (بهذه) المفيدة للتحقير))(٢) .

وبهذا فقد وافق السيد المدرسي الزمخشري و الطباطبائي في تحقير الدنيا من خلال تبيين جنسها وقصرها بالفانيات التي لا يخلد منها شيء ، اذ انها لذَّة لحظة لا غيرها ، وهذا لا ينفي من الفائدة فيها لأنها دار زرع والآخرة دار حصاد ، لذا الإستفادة منها يحصل و يجنيه في الآخرة .

د ـ الإستغراق:

من المعاني التي يأتي بها التعريف بالجنس بلاغياً هو الإستغراق ، وهذا ما جاء في قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ ﴾ [الرعد(١)] ، يقول السيد المدرسي في تعريف الحق : ((﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ ﴾ لابد أن تعرف إن الذي أنزل إليك هو الحق- كل الحق-، لم يقل الله (والذي أنزل اليك من ربك حق) بل قال: (الْحَقُّ)- فالألف واللام تعطي معنى الاستغراق- أي لا يوجد حق في غير القرآن))(٣) .

وإلى هذا المعنى ذهب الفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) في تفسيره لهذه الآية المباركة دون ذكر لفظ الإستغراق ، لكن المعنى ذاته الذي ذكره السيد المدرسي ، فيقول : ((فثبت ان الحكم المثبت بالقياس غير نازل من عند الله . وان كان كذلك وجب ان لا يكون حقاً لأجل أن قوله ﴿ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ ﴾ يقتضي أنه لا حقَّ إلا ما أنزله الله فكل ما لم ينزله الله وجب ان لا يكون حقاً . واذا لم يكن حقاً وجب أن يكون باطلاً لقوله تعالى : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ ﴾ [يونس(٣٢)]))(٤) . ولم يتطرق الثعلبي ت(٤٢٧هـ) الزمخشري ت(٥٣٨هـ) وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) والسمين الحلبي ت(٧٥٦هـ) وابن كثير ت(٧٧٤هـ) إلى معنى التعريف للحق بلاغياً ، أو معنى الألف واللام فيه ، اذ اكتفوا بالتفسير الأصولي والفقهي والعقدي(٥).

فقد وافق السيدُ المدرسي الفخرَ الرازي في معنى التعريف في لفظة (الحق) ، لكنه تنبه إلى المعنى

---

(١) الكشاف : ج٥ : ص٨٢٣ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن : ج١٦ : ص١٥٧ .

(٣) من هدى القرآن : ج٤ : ص١٧٦ .

(٤) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ج١٨ : ص٢٣٥ .

(٥) يُنظر : الكشف والبيان : ج٥ : ص٢٦٨ ، الكشاف : ج٣ : ص٣٣٢ ، البحر المحيط : ج٥ : ص٣٥٣ ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ج٧ : ص٧، تفسير القرآن العظيم : ج٨ : ص١٠١.

الكلي ليخرج بلفظ شامل يحتوي المعنى بأكمله وهو (الإستغراق) الذي لم يُصرح به الفخر الرازي باللفظ ، بل أورده بالمعنى ، والسيد المدرسي جاء باللفظ الصريح ، والنصان كلاهما يؤديان إلى نتيجة واحدة .

ثانياً : التعريف بالموصول : من المعارف التي وردت كثيراً في القرآن الكريم ، وهذه الموارد أيضاً جاءت على معانٍ متعددة في البلاغة ، وهي :

١ـ الشمول : من الموارد التي يأتي بها الاسم الموصول هو مورد التحقير ، ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد (١)] ،يقول السيد المدرسي : في تفسيرها : ((ولسنا بحاجة إلى تأويل ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لينصرف إلى ما يعقل، وذلك لأنه يخالف ظاهر اللغة العربية التي اعتبرت **مَا** لغير العاقل، وما دام الوجود كله يسبح لله فإن عدم تسبيح الإنسان يعد تخلفا عن عهده التكويني الفطري مع ربه، وشذوذا عن واقع الكائنات)) (١) ، فقد قال السيد المدرسي بشمولية (ما) للعاقل وغير العاقل .

وذهب إلى هذا المعنى الواحدي ت(٤٦٨هـ) وابن عطية ت(٥٤٦هـ) (٢) وكذلك أبو حيان ت(٧٤٥هـ) حيث أنه يرى أن (ما) في القرآن الكريم إذا جاءت في سياق فيه العاقل فهي تدل على الجميع العاقل وغير العاقل ، وذلك في قوله : ((وأتى بلفظ ما .... وان كانت لما لا يُعقل ، لأن ما لا يُعقل إذا اختلط بمن يُعقل جاز ان يُعبَّر عن الجميع بما))(٣) والسيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) أيضاً يشاركهم الرأي في أنها أفادت الشمولية (٤) .وهذا الرأي أقرب للسياق ، لأنَّ القرآن الكريم استعمل (ما) في مضمار العاقل وغير العاقل ، وقد نادى المحدثون الذين دعوا إلى النحو القرآني إلى النظر في مثل هذه القواعد التي أُلزمَ بها المتعلمون(٥)،وهي مخالفة للنصوص القرآنية التي لا يأتيها الباطل ، فقد وافق السيد المدرسي الواحدي

---

(١) من هدى القرآن : ج١ : ص٢٣٢ .

(٢) يُنظر : التفسير البسيط : ج٢١ : ص٢٧٥ ، المحرر الوجيز : ج٨ : ص٢١٨ .

(٣) البحر المحيط : ج١ : ص٥٣٢ .

(٤) الميزان في تفسير القرآن : ج١٩ : ص١٣٩ .

(٥) يُنظر : نحو التيسير ، د. احمد عبد الستار الجواري ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٨٥م : ص٧ـ١٣ ، نحو القرآن ، د. احمد عبد الستار الجواري ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٧٤ م : ص٦ـ١٢ ، نحو النص ، د. عمر أبو خرمة ، عالم الكتب ، أربد ، ط١ ، ٢٠٠٣م: ص٩٦ ، نظرية المعنى في الدراسات النحوية ، د. كريم حسين ناصح ، دار صفاء ، عمان ، ط١ ، ١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦م : ص٣١٣ ، النحو القرآني في ضوء لسانيات النص ، د. هناء محمود إسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٢م : ص٢٨ـ٢٩ .

وابن عطية وأبا حيان والسيد الطباطبائي في شمولية (ما) في هذه الآية المباركة .

٢ـ الإطــلاق :

من الأغراض البلاغية التي يفيدها التعريف هو الإطلاق ، وذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾ [الرعد(١٥)] ، يقول السيد المدرسي في معنى (مَنْ) : ((**(مَنْ)** اسم موصول للعاقل، ويبدو أن المراد منه هنا مطلق الأشياء. وذلك لأن ما نسب إليه هو فعل العقلاء فلله يسجد من في السماوات والأرض من الكائنات كالحيوان والإنسان، وغيرهما مما لا يعلمه إلا الله، إنما تسجد لله خاضعة له بإرادتها فإن لم تسجد لله طوعا أسجدها الله له كرها، والسجود بالنسبة للمكرهين تعبير عن الخضوع لأمره، فهذا الإنسان محكوم بقوانين وضعها الله له في كل جوانب حياته، وبعد مماته))(١)، فقد تنبه السيد المدرسي إلى معنى التعريف باسم الموصول للدلالة على الإطلاق.

والى هذا المعنى ذهب الطبري ت(٣١٠هـ) من قبل ، حصرها بالروايات الواردة في تفسيرها (٢)، وكذلك الثعلبي ت(٤٢٧هـ) والزمخشري ت(٥٣٨هـ) أيضا بشكل مختصر في تفسيرهما الآية الشريفة (٣) ، وهي لا تخرج عن المعنى نفسه ، وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) أيضاً في تفسير هذه الآية المباركة ، فيقول: ((ان كان السجود بمعنى الخضوع والانقياد ، فمن عمومها ينقاد كلهم الى ما أراده تعالى بهم ، شاءوا أم أبوا ، وتنقاد له تعالى ظلالهم حيث هي مشيئته من الامتداد والتقلص والفيء والزوال))(٤) ، والعموم ليس ببعيد عن الإطلاق ، فهما كلاهما يدلّان على الشمول والكلّية .

فقد جاء رأي السيد المدرسي موافقاً للمفسرين الذين سبقوه ، إلاَّ انه تنبه إلى معنى الاسم الموصول، وما افاد من غرض بلاغي وهو الإطلاق .

---

(١) من هدى القرآن : ج٤ : ص١٩٤ .

(٢) يُنظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت(٣١٠هـ) ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط٢ ، د.ت : ج١٦ : ص٤٠٣ .

(٣) يُنظر : الكشف والبيان : ج٥ : ص٢٨٢ ، الكشاف : ج٣ : ص٣٤٣.

(٤) البحر المحيط : ج٥ : ص٣٦٩ .

ثالثاً : التعريف بالإضافة :

جاء التعريف في السياق القرآني بالإضافة أيضاً وهذا التعريف كذلك افاد معانٍ متعددة منها :

١ـ التخصيص :

احد الأغراض البلاغية التي جاء بها التعريف في القرآن الكريم ، هو التخصيص ، وهذا ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ [الصافات(٢٠)] ، يقول السيد المدرسي في تفسير (يوم الدين) : ((﴿ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ الدين هو مجموع الفروض والواجبات التي فرضها الله على الناس، كإقامة الصلاة والعدل و .. و .. و بالتالي فإن الدين هو المسؤولية، وقد تهرب هؤلاء منها ولم يتحملوها، لكنهم وجدوها يوم البعث هي الحاكمة، فعلموا بأنهم هالكون وخاسرون، معنى الدين هنا خصوص الجزاء بقرينة الإضافة لليوم وقرينة مقام المقال))(١) ، اذ يرى السيد المدرسي أن اليوم خُصص بالمضاف اليه وهو (الدين) .

والزمخشري ت(٥٣٨هـ) يقول : ((يوم الدين : هو اليوم الذي ندان فيه، أي : نجازى بأعمالنا، ويوم الفصل : يوم القضاء ، والفرق بين فرق الهدى والضلالة))(٢) ، وإلى هذا المعنى يذهب وابو حيان ت(٧٤٥هـ) وابن كثير ت(٧٧٤هـ) ، والسيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) ، ولم يتطرق احدٌ منهم إلى معنى الإضافة ههنا (٣) لكنهم فسروا (يوم الدين) بيوم الجزاء، وهو اليوم الذي يُجازى فيه كل الخلائق على أعمالهم، فقد تنبه السيد المدرسي إلى معنى الإضافة وما أفادته من غرض بلاغي ألا وهو التخصيص، وهذا الرأي خاص به .

---

(١) من هدى القرآن : ج٨ : ص٢٠ .

(٢) الكشاف : ج٥ : ص٢٠٥ .

(٣) يُنظر : البحر المحيط : ج٧ : ص٣٤١ ، تفسير القرآن العظيم : ج١٢ : ص١٠ ، الميزان في تفسير القرآن : ج١٧: ص١٢١ .

٢ـ التفخيم :

جاء في القرآن الكريم التعريف بالإضافة لغرض التفخيم ، ومنه ما ورد في قوله تعالى : ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة (٨)] ، يقول السيد المدرسي في التركيب الإضافي (أصحاب الميمنة) : ((﴿ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ جاء هذا التعبير إشارة إلى التفخيم، والمراد بيان ما يتميزون به من أصحاب الشمال من الثواب العظيم))(١) ، يرى السيد المدرسي أن هذا التركيب اعطى غرض التفخيم ولفت النظر اليهم من خلال تبيان الثواب الحاصلين عليه .

وقد ذهب الى هذا المعنى والواحدي ت(٤٦٨هـ) ايضاً ذكر انها جاءت للتفخيم فيقول : ((هاهنا تفخيم لقصتهم وتعظيم لشأنهم وتعجب منهم))(٢) ، والزمخشري ت(٥٣٨هـ) من قبل أيضا أورد هذا المعنى دون التصريح بلفظ التفخيم (٣) ، والقرطبي ت(٦٧١ هـ) جاء بلفظ التفخيم في تفسيره لهذه الآية المباركة فيقول : ((" ما أصحاب الميمنة " .... للتفخيم والتعجب))(٤)

لكن أبا حيان ت(٧٤٥هـ) يذهب إلى معنى التعظيم ، وذلك في قوله : ((وأصحاب الميمنة خبر عن ما ، وما بعدها خبر عن أصحاب ،وربط الجملة هنا بالمبتدأ تكرار المبتدأ بلفظه ، وأكثر ما يكون ذلك في موضع التهويل والتعظيم))(٥) .

فالسيد المدرسي كان موافقاً للواحدي والزمخشري والقرطبي في تفسير هذه الآية المباركة، فهي للتفخيم .

٣ـ البيان :

من الأغراض المجازية التي يفيدها التعريف بالإضافة هو التبيين أو البيان ، ومنه ما ورد في قوله تعالى:﴿ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ﴾ [فاطر (٤٣)] ،السيد المدرسي يذكر رأي الرازي ولم يعقب عليه مما يتضح أنه يوافقه الرأي فيقول:((﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ قال الرازي عن المكر السيئ: إنه إضافة الجنس إلى نوعه، كما يقال علم الفقه وحرفة الحدادة ، وتحقيقه أن يقال معناه: ومكروا مكرا

---

(١) من هدى القرآن : ج١٠ : ص١٩١ .

(٢) التفسير البسيط : ج٢١ : ص٢١٧ .

(٣) يُنظر : الكشاف : ج٦ : ص٢٢ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ج٢٠ : ص١٨٢ .

(٥) البحر المحيط : ج٨ : ص٢٠٤ .

سيئا ثم عرف لظهور مكرهم ثم ترك التعريف باللام وأضيف إلى السيئ لكون السوء فيه أبين الأمور(*))(١) ، فالتعريف بالإضافة أدى الى بيان السوء وكيفية العودة على عامله .

وكذلك يذكر أبو حيان ت(٧٤٥هـ) رأي الفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) ولم يعارضه في رأيه (٢) ، ولم يخرج الزمخشري ت(٥٣٨هـ) عن هذا المعنى في تفسيره لهذا الآية المباركة (٣) ، ومن ذلك تبين لنا أن الرازي هو من تنبه لمعنى البيان ، ومن جاء بعده ذكر قوله وأيده ، والسيد المدرسي وافق الرازي في رأيه في أن التعريف بالإضافة هاهنا أفاد بيان المكر ، وهو الصواب.

٤ـ العموم :

من الأغراض التي جاء بها التعريف في بالموصول هو العموم ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس (٩٤)]، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((ولا يعني السؤال هنا: أن يذهب رسول الله أو المؤمنون به إلى شخص مثل (عبد الله بن سلام) الذي آمن بالرسالة، وكان عارفاً بتاريخ الرسالات، إنما جرى الحديث مجرى العموم، أي مراجعة الخبراء والعارفين بالتاريخ من جميع الطوائف، وطبيعي أن سؤالهم يؤيد الحقائق القرآنية، ولكن بشرط أن يكونوا ثقات، والثقة شرط فطري وعقلي للعالم الذي يسأله الناس))(٤)، حيث أن السيد المدرسي تنبه إلى أن هذه الآية ليست خاصة في حادثة معينة وإنَّما هي عامة لكل زمان ومكان ، فلأجل المعرفة عليك أن تسأل ذوي الإختصاص .

ولكن الزمخشري ت(٥٣٨هـ) ذهب إلى أن المعنى الفرض أو التمثيل ، وذلك في قوله : ((قوله : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾ بمعنى : الفرض والتمثيل ، كأنه قيل : فإن وقع لك الشك مثلاً ، وخيل لك الشيطان خيالاً منه تقديراً ...))(٥)، وذكر أبو حيان ت(٧٤٥هـ) قول الزمخشري ولم يُعقب ، وبهذا يُفترض

(*) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ج٢٦ : ص٣٤.

(١) من هدى القرآن : ج٧ : ص٣٤٦ .

(٢) يُنظر: البحر المحيط : ج٧ : ص٣٠٥ .

(٣) يُنظر : الكشاف : ج٥ : ص١٦٢.

(٤) من هدى القرآن : ج٣ : ص٤٢٩ .

(٥) الكشاف : ج٣ : ص١٧٣ .

موافقته للزمخشري (١) . وهذا بعيد عن مكانة رسول الله من القرآن الكريم ، حيث أن القرآن يسري في عروقه " صلى الله عليه وآله وسلم " فكيف يتسلل الشك إلى قلبه ؟! ، أو بمجرد تزعزع ثقته بالذي أُنزلَ إليه ، حاشاه ما هكذا كان ولا بهذا أُخْبِرْنَا عنه ، وهو الذي وقف بوجه صناديد قريش بكل قوة وشجاعة مدافعاً عن دينه ودعوته الحقَّة ، واللهُ يعرف رسوله ومدى الإيمان في قلبه ، فلا يمكن قبول الرأي الذي يقول : أن المقصود بالشاك هو الرسول الأعظم " صلى الله عليه وآله وسلم " .

ذكر الواحدي ت(٤٦٨هـ) رواية أن ((الناس كانوا في عصر النبي أصنافاً منهم كافر به ..... ومنهم مؤمن به مصدق ... وشاك في الأمر لا يدري كيف هو ، ... فخاطب الله هذا الصنف من الناس فقال : فإن كنت أيها الإنسان في شك مما أنزلنا اليك من الهدى على لسان محمد " صلى الله عليه وآله وسلم " فسأل، قال : ووحد وهو يُريد الجمع))(٢) ، وهذه الرواية تؤكد أن الشاك ليس رسول الله ، كما أن المفسرين ذكروا أن الرسول قال: لا أشك ولا أسأل ، وكل هذا في معرض حديثهم عن هذه الآية المباركة .

وإلى هذا المعنى ذهب الطبري ت(٣١٠هـ) من قبل والثعلبي ت(٤٢٧هـ) (٣) ، وهذا الرأي ليس ببعيد عن المعنى الذي ذهب إليه السيد المدرسي ، إذ إن الشمول هو ذاته العموم الذي قصده السيد المدرسي، فمن ذلك يَتَبَيَّن لنا ان السيد المدرسي وافق والطبري والثعلبي والواحدي ، وهو الرأي الصواب كما أثبتناه.

رابعاً : التعريف بالضمير :

أحد مصاديق التعريف في السياق القرآني ، هو التعريف بالضمير ، والضمير على نوعين : متصل ومنفصل ، وكل هذه الضمائر حين ورودها في سياق التعريف تفيد فائدة بلاغية ، منها:

١ـ التعظيم :

من الأغراض البلاغية التي يفيدها التعريف بالضمير هو التعظيم ، ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿عَنْ ذِكْرِنَا﴾ [النجم (٢٩)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((قال تعالى: ﴿عَنْ ذِكْرِنَا﴾ وهي للتعظيم، ولم يقل عن ذكري، لأن الضمير المفرد يستخدمه الله في موضع إثبات التوحيد وتأكيده، أو في مجال الرحمة والعطف، والحال أن هؤلاء تكبروا عن الحق، وتولوا معرضين عنه، فالمقام مقام التعالي والتكبر

---

(١) يُنظر : البحر المحيط : ج٥ : ص١٩٠ .

(٢) التفسير البسيط : ج١١ : ص٣١٦ .

(٣) يُنظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ج١٥ : ص٢٠٢ ، الكشف والبيان : ج٥ : ص١٤٩.

عليهم مما يتناسب واستعمال ضمير التعظيم (أو ما يسمى بضمير الجمع)، ذلك لأن إعراضهم لا ينال شيئا من عظمة الله، كما أن إيمان المؤمنين لا يزيده سبحانه شيئا.))(١) ، فقد بيَّن السيد المدرسي تأثير الضمير في هذه الآية المباركة فلأنه في مقامٍ عالٍ ، وفيه تكبر احتاج إلى ضمير التعظيم .

والمفسرون عنوا بتعريف الذكر وقالوا : أنه اما القرآن أو الإيمان أو الرسول الأعظم محمد " صلى الله عليه وآله وسلم " (٢) ، ولم يبيِّنوا لماذا قال تعالى : ذكرنا ولم يقل ذكري ، بيد أن السيد المدرسي بيَّن ذلك وهذا أقرب للسياق، من أنّ المقام مقام علو وتكبر فجاء باللفظ الذي يفيد التعظيم.

ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ [القمر (٣١)] ، يقول السيد المدرسي:

((﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ صوتاً هائلًا صاعقاً، ربما يشبه انفجار القنبلة الذرية في العصر الحاضر أو أعظم .... لكيلا يبقى لهم أثر في الحياة، وتحدث الله بضمير الجمع **إِنَّا** الدال على التعظيم والتكبر لأن المقام مقام عزة الله وسلطانه))(٣) ، فقد تنبه السيد المدرسي للضمير في هذه الآية المباركة وقد أفاد بلاغياً معنى التعظيم .

كذلك هذه الآية المباركة لم يُشر فيها المفسرون إلى معنى الضمير الجمعي هنا ، بل كان تفسيرهم منصباً على المعنى العام للآية (٤) ، لكن السيد المدرسي كان منتبهاً لمعنى الجمع هنا اذ ان المقام يحتاج إلى تعظيم فجاء تعالى بالضمير الجمعي الدار على العظمة ، وهذا الصواب .

---

(١) من هدى القرآن : ج١٠ : ص٥٨ .

(٢) يُنظر : الكشف والبيان : ج٩ : ص١٤٨ ، التفسير البسيط : ج٢١ : ص٥١ ، الكشاف : ج٥ : ص٦٤٤ ، الجامع لأحكام القرآن : ج٢٠ : ص٤١، البحر المحيط : ج٨ : ص١٦١ ، تفسير القرآن العظيم : ج١٣ : ص٢٧١.

(٣) من هدى القرآن : ج١٠ : ص١٠٣ .

(٤) يُنظر : الكشف والبيان : ج٩ : ص١٦٨،الكشاف :ج٥ : ص٦٦١ ، تفسير القرآن العظيم : ج١٣ : ص٣٠٠.

٢ـ التأكيد :

هذا الغرض كثيرا ما يرد في الأساليب البلاغية الأخرى ، و أسلوب التعريف لا يقل أهمية عن غيره ، فقد ورد فيه هذا الغرض في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [الصافات(٣٣)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((وحتى لا يتصور الإنسان بأن هذا الحديث ينصرف إلى جماعة كانت في التأريخ الغابر بالذات، وأن الإشارة إليهم كانت بالضمير الغائب ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ يلحق القرآن حديثه عنهم بتأكيد مستقل على أن هذا المصير يشمل كل مجرم، فعاقبة المجرم الذي يخالف سنن الله، ويتبع هوى النفس، و يعبد ذاته، ويلحق الأذى بغيره، العذاب الأليم ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [الصافات(٣٤)]))(١)، فكان الضمير في إنهم تأكيداً عليهم لا على غيرهم ، فزاد في التأكيد الوارد في الحرف المشبه بالفعل (إنَّ).

ولم يُولِ المفسرون للضمير في هذه الآية عناية (٢) ، وبهذا يكون انتباه السيد المدرسي للمغزى البلاغي في ضمير الجمع موفق جداً ، وهو الصواب .

---

(١) من هدى القرآن : ج٨ : ص٢٥ .

(٢) يُنظر : الكشاف :ج٥ : ص٢٠٧ ، المحرر الوجيز : ج٧ : ص٢٨٠ ، زاد المسير في علم التفسير : ج٧ : ص٥٥ ، البحر المحيط : ج٧ : ص٣٤٢ ، تفسير القرآن العظيم : ج١٢ : ص١٤.

المحور الثاني : التنكير وفوائده البلاغية :

في اللغة : هو من نَكَرَ ، يَنْكُرُ ، نُكراً ، أو تنكيراً ، و((النون والكاف والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب ، ونَكِرَ الشيء وأنكره : لم يقبلْه قلبه ولم يعترف به لسانه .... والإنكار خلاف الإعتراف))(١) ، وكذلك هو: تغيير شكل الشيء من أطره الخارجية بحيث أن هيئته تكون غير معروفة ، ومنه ما يأتي بمعنى القباحة (٢) .

في الإصطلاح : شرع أصحاب البلاغة في تعريف (التنكير) قديماً وحديثاً ، إلا إنَّهم لم يخرجوا على ما جاء به السكاكي ت(٦٢٦هـ) الذي قال : ((واما الحالة التي تقتضي تنكيره فهي : إذا كان المقام للإفراد شخصاً أو نوعاً ، كـ .... قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ﴾ [النور(٤٥)] ، أي من نوع من الماء مختص بتلك الدابة ، أو من ماء مخصوص ، وهي : النطفة))(٣) ، وتبعه في ذلك الزملكاني ت(٦٥١هـ) والقزويني ت(٧٣٩هـ) وابن الأثير ت(٧٣٧هـ) ، حيث ذهبوا مذهبه (٤) ، فالتنكير : هو ((ما دلَّ على شيء لا بعينه))(٥) ، او هو التفات النفس إلى المعنى مهما يتغيَّر اللفظ (٦) ، أي أن للنكرة دلالة غير محدودة ، ((ولذلك فإنَّ النكرة تُثري التعبير التي ترد فيه بدلالات وأغراض بلاغية لا ترتقي في تأديتها المعارف))(٧) ، كما جاء عند العلوي ت(٧٤٩هـ) في الطراز اذ يرى أن التنكير ابلغ من التعريف في تقرير المقاصد المعنوية (٨) .

ولم يتطرق السيد المدرسي إلى تعريف النكرة في تفسيره ، لكنه لم تفته الأغراض البلاغية التي أفادتها النكرة ، وسنأتي عليها في هذا المحور إن شاء الله تعالى .

---

(١) معجم مقاييس اللغة مادة (نكر) : ج٥ : ص٤٧٦ ، يُنظر : المعجم القرآني : ج٣ :ص٦٠٠.

(٢) يُنظر: المعجم القرآني : ج٣ : ص٦٠٦ .

(٣) مفتاح العلوم : ص٢٨٦ـ ٢٨٧ .

(٤) يُنظر : البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن : ص١٣٤ ، التلخيص : ص٦٨ وص١١٨ ، الإيضاح : ص١٠٢ ، جوهر الكنز : ص٢٨٨ .

(٥) التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن: كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني ، تحقيق: د. احمد مطلوب، ود. خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م : ص٥٠ ، البرهان الكاشف :ص١٣٣ ، الطراز : ج٢:ص٢٠٨ ، معجم المصطلحات البلاغية : ج٢ : ص٢٨٢ .

(٦) يُنظر : الفوائد الغياثية في علوم البلاغة : للعلامة عضد الدين الايجي ت(٧٥٦هـ) ، تحقيق عاشق حسين ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م : ص١١٦.

(٧) المباحث البلاغية في حاشية الشيخ زاده (رسالة) : ص٩٢ .

(٨) يُنظر : الطراز : ج٢ : ص٢٠٨-٢٠٩ .

• الأغراض البلاغية التي أفادها التنكير في تفسير من هدى القرآن :

أفادت النكرة في السياق القرآني أغراضاً بلاغية دلت على مضمون المعاني المرادة من الآيات القرآنية المباركة الواردة فيها النكرة ، ومنها :

١ـ الكثرة والتنوع : وردت النكرة في السياق القرآني وقد أفادت الكثرة والتنوع ، منها ما جاء في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [المطففين(٢٢)] ، يقول السيد المدرسي في تنكير (نعيم) : ((الكتاب مظهر بارز لمسؤولية الإنسان عن أفعاله، أما المظهر الأجلى فإنه النعيم المقيم للأبرار، والجحيم الأليم للفجار. ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ تحيط بهم آلاء الله، قالوا: لأن كلمة نَعِيمٍ جاءت بصيغة فعيل (صفة مشبهة) فإنها تفيد الاستمرار، ولأنها جاءت نكرة فهي تفيد الكثرة والتنوع، ويبدو أن التعبير بـ ﴿ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ هو الآخر يدل على الكثرة والتنوع))(١) ، لكن كلمة نعيم هي مصدر للفعل(نَعِمَ يَنْعُمُ نعيماً) ولعلَّ فيه وهم في الوزن من قبل السيد المدرسي ، فهي مصدر مُنَكَّر يدل على الثبات والفخامة والكثرة والتنوع ، فالسيد المدرسي أصاب المعنى والغرض البلاغي فيه دون الوزن ، فهو مصدر لا صفة مشبهة .

وإلى هذا المعنى ذهب أبو حيَّان ت(٧٤٥هـ) في تفسير هذه الآية المباركة ، فيقول : ((الأبرار والمقربون في هذه الآية بمعنى واحد يقع لكل من نعيم في الجنة))(٢) ، ونعيم الجنة ما لا عين رأت ولا أُذنٌ سمعت من التنوع والكثرة ، وقد أوجزها أبو حيان بقوله : لكل نعيم في الجنة . وذهب القرطبي ت(٦٧١ هـ) من قبل وابن كثير ت(٧٧٤هـ) إلى معنى التكثير والتنوع من نعيم الجنة(٣) ، فقد وافق السيد المدرسي أبا حيان والقرطبي وابن كثير في معنى التنكير في هذه الآية المباركة ، ألا وهو التنوع والتكثير.

٢ـ العموم :

أكثر المعاني التي ترد فيها النكرة هي العمومية ، ومنها ما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ ﴾ [التغابن (١٧)]، يقول السيد المدرسي في تنكير (قرضاً حسناً) : ((ما هو القرض هنا؟ قال بعضهم: هو الدَّين، وقال البعض: بل هو كل إنفاق، أو الإنفاق المندوب (بينما الأول كان في

---

(١) من هدى القرآن : ج١٢ : ص٩٦ .

(٢) البحر المحيط : ج٨ : ص٤٣٥ .

(٣) يُنظر : الجامع لأحكام القرآن : ج٢٢ : ص١٥٠ ، تفسير القرآن العظيم : ج١٤ : ص٢٨٨ .

عموم الإنفاق) . وأنى كان فإن لكل هذه المفردات آثارا مباركة في حياة الفرد والمجتمع، ولها أيضا آثار معنوية تتصل بمصير الإنسان في الآخرة، إذ تسبب غفران الذنوب باعتبارها من الحسنات الكبيرة التي تشفع في السيئات. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ فهو يرد القرض مضاعفا بشكره، ويغفر الذنوب بحلمه))(١) ، فقد أطلق السيد المدرسي القول ههنا بقوله (وأنى كان) مما يدلل أنه موافق عليها وأزاد في المعنى في أن التنكير ههنا يفيد عموم الإنفاق .

ولم يبين الثعلبي ت(٤٢٧هـ) وابن عطية ت(٥٤٦هـ) وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) وابن كثير ت(٧٧٤هـ) معنى التنكير هنا (٢) ، اذ كان شرحهم للآية المباركة شرحاً مختصراً ، اذن فالسيد المدرسي كان بحسه البلاغي قد استخرج الفنون البلاغية المرادة من تنكير القرض هاهنا وهو العموم .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ [المزَّمِّل(١٩)] ، يذكر السيد المدرسي رأي الرازي والسيد الطباطبائي ثم يبيِّن رأيه فيقول : ((قال الفخر الرازي: " إن التذكرة ما تقدم من السورة كلها، واتخاذ السبيل عبارة عن الاشتغال بالطاعة، والاحتراز عن المعصية" (*)، واختار صاحب الميزان تعميم التذكرة على كل ما سبق، وخص صلاة الليل " بالسبيل، لأنها تهدي العبد إلى ربه"(**)، والأصح: أن السبيل عموم الصراط المستقيم الموصل إلى رضوان الله، وقيام الليل خطوات فيه، إلا أن أبرز مصاديق السبيل القِيَم الإلهية، وأظهرها القرآن، والقيادة الرسالية، ومصداقها الرسول الأعظم "صلى الله عليه واله" وأئمة الهدى "عليهم السلام"))(٣) ، وبهذا يتبيَّن لنا أن السيد المدرسي له رأي يختلف عن رأي الرازي ورأي السيد الطباطبائي في هذه الآية كما ذكرنا.

ولم يبيِّن الواحدي ت(٤٦٨هـ) والزمخشري ت(٥٣٨هـ) وأبو حيَّان ت(٧٤٥هـ) وابن كثير ت(٧٧٤هـ) علَّة التنكير في هذه الآية المباركة (٤) مما يتضح لنا ان السيد المدرسي قد تنبَّه للغرض البلاغي في هذه الآية المباركة وعلَّة التنكير التي وردت في " سبيلاً " والمراد منه عموم السبل التي توصل إلى الله تعالى منها : محمد وآل محمد صلوات ربي وسلامه عليهم ، والصلاة ، والصوم ، والجهاد في سبيل الله وغيرها من السبل التي تؤدي إلى الله تعالى ، وهذا الرأي الصائب.

---

(١) من هدى القرآن : ج١١ : ص٥١ .

(٢) يُنظر : الكشف والبيان : ج٩:ص٣٣٠ ، المحرر الوجيز : ج٨ : ص٣٢٤ ، البحر المحيط : ج٨ : ص٢٧٦ ، تفسير القرآن العظيم : ج١٤ : ص٢٤ ـ٢٥.

(*) هذا رأي الفخر الرازي ، يُنظر : التفسير الكبير(مفاتيح الغيب) : ج٣٠ : ص١٨٥ .

(**) هذا رأي السيد الطباطبائي ، يُنظر : الميزان في تفسير القرآن : ج٢٠ : ص٦٩ .

(٣) من هدى القرآن : ج١١ : ص٣٢٤ ـ ٣٢٥ .

(٤) يُنظر : التفسير البسيط : ج٢٢ : ص٣٨٣ ، الكشاف : ج٦:ص٢٤٨ ، البحر المحيط : ج٨:ص٣٥٨ ، تفسير القرآن العظيم : ج١٤:ص١٧١.

٣ـ التعظيم :

من الأغراض التي يفيدها التنكير في القرآن الكريم هو التعظيم ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ [الفجر (٢)] ، يقول السيد المدرسي في تنكير (ليال) : ((إن ﴿ وَلَيَالٍ ﴾ جاءت بلا ألف ولام للدلالة على التعظيم، بلى، وليلة الجهد والتعب طويلة كما ليلة الترقب والانتظار، ولياليَ المؤمنين مزيجة أبداً بالجهد المكثف والانتظار معاً فما أطولها))(١) ، فهو يرى انها نُكِّرت لعظمتها .

وإلى هذا قريب من هذا ذهب الشيخ الطبرسي ت(٦٠٠هـ) في أنَّ المقصود من الليال العشرة هي: إمَّا العشرة الأخيرة من ذي الحُجّة ، أو العشرة الأخيرة من شهر رمضان ، أو العشرة التي زيدت للنبي موسى (عليه السلام) ، او العشرة الأولى من محرم الحرام (٢) ، فهي لم تُخصص أي عشرة كانت من الليالي .

لكنَّ الزمخشري ت(٥٣٨هـ) يرى أنها نُكِّرت لخصوصيتها ، وليس لتعظيمها ، وذلك في قوله: ((فإن قُلت : فما بالها نُكرت من بين ما أقسم به ؟ قلتُ : لأنها ليالي مخصوصة من بين جنس الليالي: العشر جزء منها . أو مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها))(٣) ، ورأي الزمخشري هذا أقرب للسياق، حيث أن الخصوصية تنسجم مع التنكير الوارد فيها ، وان كانت للتعظيم ، فسيكون هنالك سؤال يقابلها ، أيُّ ليالٍ مقصودة ؟ ولماذا عشر ؟ . فهنا التنكير يفيد الخصوص لا العظمة .

---

(١) من هدى القرآن : ج١٢ : ص١٨٤ .
(٢) يُنظر : مجمع البيان : ج١٠ : ص٧٣٣ـ٧٣٥ .
(٣) الكشاف : ج٦ : ص٣٦٧ .

٤ـ الاستغراق :

جاء التنكير في السياق القرآني ودلَّ على معنى الاستغراق ، في قوله تعالى : ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ [المدَّثر(١٤)] ، يقول السيد المدرسي في تنكير المفعول المطلق (تمهيداً) : ((والمفعول المطلق ﴿تَمْهِيدًا﴾ يفيد التأكيد والمبالغة في الاستغراق))(١) ،فقد تنبه السيد المدرسي إلى معنى التنكير في هذه الآية المباركة ألا وهو الإستغراق في التأكيد .

ولم يذكر الزمخشري ت(٥٣٨هـ) والفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) والقرطبي ت(٦٧١ هـ) وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) سبب تنكير تمهيداً في هذه الآية المباركة ، بل اكتفوا بالمعنى العام الذي تحمله الآية المباركة وهو التوسعة والتهيئة (٢) ، وبهذا فقد كان الحس البلاغي الذي يحمله السيد المدرسي حساً راقياً يتلمس من خلاله اللمسات التي غفل عنها المفسرون من قبله، فالآية المباركة جاء فيها التنكير ليفيد الإستغراق في التأكيد والمبالغة فيه.

٥ـ الترهيب :

من الأغراض البلاغية التي يفيدها التنكير هو الترهيب ، وقد جاء في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ ﴾ [القمر(٦)] ، يقول السيد المدرسي في تفسير تنكير (شيء) : ((وعدم ذكر الداعي هنا- هل هو الله، أم إسرافيل، أم جبرائيل، أم الروح؟- يدل على أن المهم الدعوة وما تنطوي عليه، وليس شخص الداعي، لذلك أُبهم، وفي ذلك من الترهيب الشيء العظيم، ثم إنه تعالى زاد الأمر رهبة حينما جعل المدعو إليه مجهولا، فقال: ﴿ شَيْءٍ ﴾ و الشيء نكرة، والإنسان مجبول على الخوف من المجهول، وأخيرا جاءت صفة الشيء تفيض رهبة وزجرا وتخويفا بتأكيدها على أن الشيء منكر))(٣) .

وإلى هذا المعنى ذهب الزمخشري ت(٥٣٨هـ) مضمناً معنى الترهيب والتخويف في كلامه، فيقول في تفسير هذه الآية المباركة : ((﴿إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ ﴾ منكر فظيع تنكره النفوس لأنها

---

(١) من هدى القرآن : ج١١ : ص٣٥٠ .

(٢) يُنظر : الكشاف : ج٦ : ص٢٥٥ ، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ج٣٠ : ص١٩٩ ، الجامع لأحكام القرآن : ج٣١ :ص٣٧٤ ، البحر المحيط : ج٨ : ص٣٦٥ .

(٣) من هدى القرآن : ج١٠ : ص٨٨ .

لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة))(١) ، وكذلك يذهب الفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) والقرطبي ت(٦٧١هـ) وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) إلى المعنى ذاته (٢) ، إلا أن أبا حيان لم يكن دقيقاً في تحديد معنى الشيء ، بل اعتنى بتفسير الإنكار دون ايراد معنى التنكير في (شيء) (٣) .

إذن السيد المدرسي وافق المفسرين الذين سبقوه وزاد عليهم بلفظ (الترهيب) حيث أنهم اوردوا المعنى وتركوا اللفظ ، وهو صرَّح به ، والباحث يوافقه في ذلك .

٦ـ التنكير للكمال : قد يأتي التنكير يدل على كمال الجوانب الذاتية للّفظ ، وهذا ما وجدناه في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ [يس(٢٠)] ، يقول السيد المدرسي في تنكير (رجل) : ((ولعل تنكير كلمة الرجل للدلالة على اكتمال صفات الرجولة فيه من الهمة العالية، والحزم الشديد، والقول الثابت، كقوله سبحانه: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ . . ﴾ [الأحزاب(٢٣)] .وربما سعى الرجل سعيا لاهتمامه البالغ بالإنذار، وحرصه الشديد على سلامة قومه، وهكذا يحرص أصحاب النفوس الطيبة على أمن الناس، ويتفانون في إبلاغ رسالات الله لإنقاذهم من عذابه المحتوم))(٤) .

وقد ذهب الفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) إلى هذا المعنى في تفسير هذه الآية المباركة ، فيقول : ((في تنكير رجل مع انه كان معروفاً فائدتان : (الأولى) أن يكون تعظيماً لشأنه ، أي رجل كامل في الرجولية، و(الثانية) يكون مفيداً لظهور الحق من جانب المرسلين حيث آمن رجل من الرجال لا معرفة لهم به فلا يُقال أنهم تواطئوا))(٥) ، ولم يذكر الزمخشري ت(٥٣٨هـ) وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) معنى التنكير في (رجل) بل فسروا الآية تفسيراً مختصراً معتنين في مَنْ هو الرجل ولماذا جاء من أقصى المدينة(٦) في حين أنَّ الفخر الرازي والسيد المدرسي تنبها لغرض التنكير هنا، ووجدا أنه جاء للكمال ولبيان الهمة العالية التي يحملها هذا الرجل في إظهار الحق ، ولذلك كلفه سعيه حياتَه ، وهذا هو الأقرب للسياق .

فما تقدم في هذا المبحث نماذج من ايراد التعريف والتنكير في تفسير (**من هدى القرآن**) وليس جميعها، ففي التفسير يفوق ما ذكرناه، لكننا نكتفي بهذا القدر تجنباً للترهل .

---

(١) الكشاف : ج٥ : ص٦٥٥ .

(٢) يُنظر : التفسير الكبير(مفاتيح الغيب) ج٢٩ : ص٣٤ ، الجامع لأحكام القرآن : ج٢٠ : ص٧٧ ، التفسير البسيط : ج٢١ : ص٩٤ ، البحر المحيط : ج٨ : ص١٧٣ .

(٣) يُنظر : البحر المحيط : ج٨ : ص١٧٣.

(٤) من هدى القرآن : ج٧ : ص٣٦٩ .

(٥) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ج٢٦ : ص٥٤ـ٥٥ .

(٦) يُنظر : الكشاف : ج٥ : ص١٧١ ، البحر المحيط : ج٧ : ص٣١٤ .

الفصل الثاني

المبحث الخامس

الإلتفات وصوره

المبحث الخامس

الإلــتــفــــات
صوره وأغراضه وفوائده

في اللغة : يقول الخليل : ((لَفْتُ فلاناً عن رأيه أي صرفه عنه ومنه الإلتفات))(١) ، وكذلك عند ابن فارس: ((اللام الفاء والتاء كَلِمَةٌ واحدة تدلُّ على اللَّيِّ ، وصرف الشيء عن وجهته المستقيمة .... منه : لَفَتُّ الشيءَ: لويته ، ولفتُّ فلاناً عن رأيه : صرفته ... ومنه الإلتفات ؛ وهو أن تَعْدِلَ بوجهك ، وكذا التلفُّت))(٢)، و ذهب إلى هذا المعنى الراغب الأصفهاني والزمخشري وابن منظور (٣) .

في الإصطلاح : هو أحد المصطلحات البلاغية التي ذكرها البلاغيون ، وقد اولوه عناية كبيرة لكثرة وروده في كتاب الله العزيز ، وأول من ذكر هذا المصطلح قاصداً فيه بالأسلوب البلاغي المقصود هو الأصمعي ت(٢١٦هـ) (٤) ، وقد أطلق عليه إبن وهب ت(٣٣٥هـ) اسم [الصرف] ، ويعرفه ((صرف القول من المخاطبة إلى الغائب ومن الواحد إلى الجماعة))(٥) ، وكذلك أطلق عليه عدد من العلماء مصطلح (الإعتراض) و(العدول) (٦) ، وقد عرفه ابن المعتز ت (٢٩٦هـ) بانه : ((هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك . ومن الإلتفات الانصراف من معنى الى آخر))(٧) ، وعدَّه كثير من أصحاب البلاغة من أقسام علم البديع لا سيما المحدثين منهم مجارين في ذلك ابن المعتز(٨) ، ولكن الزمخشري وضعه من ضمن مباحث علم البيان

---

(١) معجم العين مادة (لفت) : ج٨ : ص١٢١ .

(٢) معجم مقاييس اللغة مادة (لفت) : ج٥ : ص٢٨٥ .

(٣) يُنظر : المفردات ألفاظ القرآن : ص٧٤٣ ، أساس البلاغة : ج٢: ص٣٤٧ ، معجم لسان العرب مادة (لفت) : ج١٢:ص٣٠١ .

(٤) يُنظر : كتاب الصناعتين الكتابة والشعر: ص٣٩٢، البلاغة تطور وتاريخ، د.شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٦ ، ١٩٦٥م : ص٣٠ .

(٥) البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم ابن وهب الكاتب، ت(٣٣٥ هـ)، تحقيق: د. احمد مطلوب، ود. خديجة الحديثي، مطبعة العاني، ط١، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م : ص١٥٢ .

(٦) يُنظر : حلية المحاضرة في صناعة الشعر، لأبي علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي ت(٣٨٨هـ)، تحقيق: د. جعفر الكتابي، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، ١٩٧٩م : ص٩٩ ، نهاية الايجاز في دراية الإعجاز، محمد بن عمر فخر الدين الرازي ت(٦٠٦هـ) ، تحقيق وتقديم: د. إبراهيم السامرائي، ود. محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ١٩٨٥م : ص١٤٦ .

(٧) البديع. عبد الله ابن المعتز، (ت٢٩٦هـ)، نشر وتعليق افناطيوس كراتشكوفسكي، مطابع دار الشعب، القاهرة، ط١، ١٩٦٥م : ص٥٨ .

(٨) يُنظر : كتاب الصناعتين الكتابة والشعر : ص٣٩٢ ، إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل) للباقلاني : ص٩٩، فن الالتفات في مباحث البلاغيين ، جليل رشيد فالح . بحث منشور في مجلة آداب المستنصرية العدد التاسع ١٩٨٤م :ص١٣٢-١٣٣ .

وعلل سبب تفنن العرب في هذا الشكل ففيه هز وتحريك للسامع (١) .

وبعد ذلك عده السكاكي ت(٦٢٦هـ)من مباحث علم المعاني (٢) وتابعه ابن الأثير ت(٦٣٧هـ) وابن مالك ت(٦٨٦هـ) والقزويني ت(٧٣٩هـ) والعلوي ت(٧٤٩هـ) (٣)، فقد جعلوه من مباحث علم المعاني و الباحث يؤيد رأيهم في أن أسلوب الإلتفات ينتمي إلى علم المعاني ، فهو مختص في تراكيب الجمل لا في جمالياتها.

ولم تكن ظاهرة الإلتفات جديدة جاء بها القرآن الكريم، بل كانت معروفة عندهم، في أشعارهم، وسجعهم، ونثرهم، وغيرها، ومنه ما جاء في شعر امرئ القيس في قوله : **[من المتقارب]**

تـطـاول لـيـلك بـالأثمدِ ونـام الـخـلي ولـم تـرقدِ

وبـات وبـاتـت له ليلة كليلة ذي الغائر الأرمدِ

وذلك مـن نـبـأٍ جـاءنـي وخبَّرتهُ عن ابي الأسودِ (٤)

- **فوائد أسلوب الإلتفات :**

لفن الإلتفات فوائد كثيرة ، منها : عامة ، تتمثل في تطرية الكلام وتجميله ، وتشنيف السمع عن الضجر والملل ، بما جُبلت عليه النفوس من حب التنقلات ، والسامة ممن الاستمرار على منوال واحد. أما الخاصة فهي التعميم ، والتنبيه والتتميم والمبالغة والاختصاص والعناية والتوبيخ (٥) .

- **مواطن الإلتفات :**

يرد الإلتفات في ثلاثة مواطن ، فيشمل :

---

(١) يُنظر : الكشاف : ج١: ص٦٢- ٦٣ .

(٢) يُنظر : مفتاح العلوم : ص٢٩٦ .

(٣) يُنظر : المصباح في المعاني والبيان والبديع : للإمام أبي عبد الله بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم (ت٦٨٦هـ)، حققه : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١م : ص٣٠ ، الإيضاح : ص٨٣ ، المثل السائر في آدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين أبن الأثير الجزري (ت٦٣٧هـ) ،تحقيق الشيخ كامل محمد عويضة ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م : ج١ : ص٤٠٨ ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : للإمام يحيى بن حمزة العلوي (ت٧٤٩هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م : ص٢٦٥ .

(٤) ديوان أمريء القيس - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم – دار المعارف- مصر – ط٣ – ١٩٩٦ م :ص٨٧.

(٥) يُنظر : البرهان في علوم القرآن ، للزركشي : ج٢ : ص٨٢٧ ، الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي : ج٣ : ص٢١٤، البحث البلاغي في تفسير اللباب ، (أطروحة) : ص٢٨٢.

((**الأول** : ما يرجع العدول فيه إلى الانتقال في الضمائر كالغيبة والخطاب والتكلم فيما بينها .

الثاني : ما يرجع العدول فيه إلى الرجوع عن الفعل المستقبل إلى الامر ، وعن الفعل الماضي إلى فعل الامر .

الثالث : ما يرجع العدول فيه إلى الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل وعن المستقبل بالماضي))(١)، فكل أسلوب في كلام الله عزَّ وجل فيه مغزى يريده الله من خلاله ، وما هذه التنقلات إلاَّ لشدِّ الذهن ولفت نظر السامع أو القارئ ، لتثير تساؤلات في ذاته ، لماذا ، وكيف ، وأين ، وكم ، .... إلى آخره .

وقد أشار السيد المدرسي إلى كثير من مواطن الإلتفات في شرحه وتفسيره للآيات القرآنية التي تحمل في طياتها التفاتاً ، واضعا يده على المغزى من هذا الإلتفات ، وسنأتي على أكثرها ان شاء الله تعالى.

- **صور الإلتفات في تفسير من هدى القرآن :**

١ـ الإلتفات من الغيبة إلى الخطاب :

هو احد الصور التي يرد فيها الإلتفات في القرآن الكريم ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة (٤ـ ٥)] ، فالسياق يقتضي ان تكون الآية الأخرى بإسلوب الغيبة (إياه نعبد واياه نستعين) لكن انتقل السياق من الغيبة إلى الخطاب في هاتين الآيتين المباركتين ، ولم يتطرق السيد المدرسي في تفسير سورة الحمد إلى هذا الأسلوب ، لكنه ذكر تفسيراً آخر لهذه الآية من خلال تفسيره لسورة الأحزاب ، وبالتحديد في تفسير آية التطهير، فيقول : ((والمثل الظاهر للالتفات في القرآن الكريم هو ما نكرره عند كل صلاة في سورة الحمد ، فبعد أن نقول : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(٢) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ(٣) ﴾ كل ذلك بضمير الغائب نقول : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ بصيغة المخاطب ، وذلك لأسباب منها :

١ـ لأن الإنسان في أول علاقته مع ربه يكون بعيداً عنه بُعد الذكر لا بُعد المسافة ، لكنه حينما يستمر في ذكره والعبادة له يتقرب اليه ، ولعل السورة تحدثنا عن هاتين المرحلتين ، ففي البداية يخاطب الإنسان ربه بضمير الغائب ، أما حينما يتقرب اليه فإنه يتحدث معه بضمير المخاطب القريب .

٢ـ عبارة نعبدك ونستعينك ، تحتمل الظن اننا نعبد غيره تعالى أيضاً ، أما وقد تقدمت كاف الخطاف(*)

---

(١) المباحث البلاغية في حاشية الشيخ زادة ، (رسالة) : ص٢٦١ ، وكذلك يُنظر : المثل السائر : ج١ : ص٤٠٨ .

(*) كذا في الأصل ، والصواب : كاف الخطاب .

التي تُخَصّ بالخطاب فقد حصرت العبادة والاستعانة في الله وحده))(١) ، فقد تنبه السيد المدرسي إلى المغزى من التحول في الخطاب ، وإن كان بطريق أسلوب الترجي ، اذ ان المغزى هو ان هؤلاء كانوا بعيدين عن الله تعالى فكان خطابهم بأسلوب الغيبة ، ولما تقربوا منه كان الخطاب بأسلوب المخاطب القريب .

وقد ذهب الزمخشري ت(٥٣٨هـ) والبيضاوي ت(٦٨٥هـ) إلى ان الآية فيها التفات ، لكنهما يريان أن الإلتفات هنا هو للتطرية وتنشيط للسامع ، وهو من باب الفن لأن العرب من عادتها التفنن في الخطاب(٢)، ولكن رأي السيد المدرسي اقوى بكثير من قولهما لأنه يعتقد بأن السياق القرآني لا يعدل من صيغة لأخرى إلا لمغزى ، ولا حاجة لله في التفنن في الخطاب بلا قصد .

وذهب ابن عادل ت(٨٨٠هـ) إلى قريب من المعنى الذي يراه السيد المدرسي ، في تفسيره فيقول: ((والفائدة في هذا الإلتفات وجوه :

أحدها : ان المصلي كان أجنبياً عند الشروع في الصلاة ، فلا جرم اثنى على الله تعالى بألفاظ الغيبة ، الى قوله [تعالى] : ﴿ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ، ثم انه تعالى كأنه قال له : حمدتني وأقررت بكوني إلها، رباً، رحماناً، رحيماً ،مالكاً ليوم الدين ، فنعم العبد أنت ، فرفعنا الحجاب ، وأبدلنا البُعد بالقرب ، فتكلم بالمخاطبة وقل : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾))(٣) ، وكذلك ذهب السيد محمد حسين الطباطبائي إلى هذا المعنى في تفسيره هذه الآية المباركة، والشيخ زادة في حاشيته يورد المعنى ذاته (٤) .

والسيد كمال الحيدري يورد الوجوبية في ذلك فيقول : ((واذا كان كذلك فحق عبادته تعالى أن تكون عن حضور من الجانبين : أما من جانب الرب عز وجل فأن يُعبد عبادة معبود حاضر كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **" أن تعبد الله كأنك تراه "** (*) . وهذا هو الموجب للالتفات المأخوذ في قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ عن الغيبة إلى الحضور . وإمّا من جانب العبد فأن يكون عبادته عبادة عبد حاضر من غير أن يغيب في عبادته))(٥) وهذا القول قريب جداً من رأي السيد المدرسي ، بل يكاد يكون الرأي نفسه،

---

(١) من هدى القرآن : ج٧ : ص١٩٩ .

(٢) يُنظر : الكشاف : ج١ : ص٦٢-٦٣-٦٤ ، تفسير البيضاوي : ج١ : ص١٢.

(٣) اللباب في علوم الكتاب : ج١ : ص١٩٨ - ١٩٩ .

(٤) يُنظر : تفسير الميزان : ج١ : ص٢٩ ، حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي : ج١ : ص٣٩ .

(*) يُنظر: رسالة الولاية ، السيد محمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة البعثة ، طهران ، د.ط ، ١٩٨١م : ص١٨.

(٥) اللباب في تفسير الكتاب ، للسيد الحيدري : ص٣٢١ .

فالحضور من العبد لربه مطلوب حتى يشعر بقربه ، والباحث يوافق هذا الرأي .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) ﴾ [عبس(١-٢-٣)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((ويبدو لي أن الآية لم تنزل في شان النبي، وأن المفسرين ذهبوا إلى ذلك بسبب ما توهموه من دلالة الآية، ومن بعض الروايات المتشابهة المختلفة، فمثلا: نجد في بعضها: أن النبي كان مع الوليد بن المغيرة، وفي بعضها أنه كان مع أمية بن خلف، وقال مجاهد: كانوا ثلاثة: عتبة وشيبة- ابني ربيعة- وأُبي بن خلف، وقال سفيان الثوري: كان النبي مع عمه العباس. وعلى افتراض أن القصة كانت صحيحة، فمن يقول إن المراد أن النبي قد عبس، فلعل واحدا من المسلمين كان حاضرا وهو الذي فعل ذلك، والشاهد أنه لم يقل ربنا: عبست وتوليت، بلغة الخطاب، وإنما قال: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ بلغة الغائب، ثم تحوَّل السياق إلى لغة الخطاب، ومن الممكن أن يكون ذلك من باب تحويل الكلام إلى الخطاب بعد ذكر الغائب، وكأنه قد أصبح بذكره حاضرا كما نجد في سورة الحمد، حيث تحول الخطاب إلى الحضور بعد ذكر الله سبحانه وقال: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة(٥)])) (١) ، وبهذه الإلتفاتة انتفت المعاني القائلة بأن الرسول الأعظم هو من عبس بوجه الرجل ، وجاءت الآية الكريمة معاتبة له .

وإلى هذا المعنى ذهب السيد محمد محمد صادق الصدر بتفصيل دقيق ومن ثمَّ يخلص إلى النتيجة نفسها(٢) ، وكذلك الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره إلى هذه الآية المباركة وذلك في قوله : ((إن العبوس ليس من صفاته [يعني الرسول الاكرم] مع اعدائه فكيف به مع المؤمنين المسترشدين !... وهو ليس من اخلاقه " صلى الله عليه وآله وسلم " الكريمة، بدلالة الآية الكريمة ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم(٤)]))(٣)، لكن تفاسير أهل السنة أغلبها تقول أن الرسول الأعظم هو من عبس بوجه الرجل (٤)، وهذا ما لا يرتضيه العقل والنقل ، فالآية الكريمة تدحض جميع الأفكار المتضمنة لهذا المعنى ، فالسيد المدرسي والسيد الصدر والشيخ ناصر الشيرازي على صواب .

---

(١) من هدى القرآن : ج١٢ : ص٣٠-٣١ .

(٢) يُنظر : منة المنان في الدفاع عن القرآن : ج٥ : ص١٢٤ .

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي ،مؤسسة البعثة ، بيروت،ط١، ١٩٩٢م : ج١٩: ص٤١١.

(٤) يُنظر : تفسير القرطبي : ج١٩: ص٢١١ ،تفسير القرآن العظيم : ج١٤ : ص٢٤٦ ،وغيرها من التفاسير.

وكذلك ورد هذا اللون من التحول في الخطاب في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ * لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴾ [المؤمنون (٦٤)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴾ولم يقل الله "حتى اذا أخذناهم بالعذاب" وهذا التحول في لحن السياق لعله يدل على فكرة معينة هي أن الله لا يأخذ كل المغمورة قلوبهم بالعذاب، بل يأخذ المترفين منهم ، والآيات التي تلي هذه الآية تفسرها . وهذه من خصائص السياق القرآني أنه يُفسر بعضه بعضاً))(١)، فقد عبَّر السيد المدرسي عن الإلتفات بـ (التحوّل) ، وقد فسر هذا التحول في الخطاب بأنه جاء لقصد التجزئة لا الكلية .

لكن السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) ذهب إلى الكلية وذلك في قوله : ((العدول عن سياق الغيبة إلى الخطاب لتشديد التوبيخ والتقريع ولقطع طمعهم في النجاة بسبب الاستغاثة وأي رجاء وأمل لهم فيها فإن اخبار الوسائط انهم لا يُنصرون لدعاء أو شفاعة لا يقطع طمعهم في النصر كما يقطعه إخبار من إليه النصر نفسه))(٢) .

وذهب الفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) إلى معنى التبكيت (٣) ، وذهب الشيخ الطبرسي ت(٥٤٨هـ)، إلى معنى الإيئاس لهم بدفع العذاب عنهم (٤) ، لكن رأي السيد المدرسي أقرب إلى السياق من آراء المفسرين، اذ ان القرآن الحكيم خصص المترفين منهم ، يبدو ان السيد المدرسي قد أجاد في تحديد معنى الإلتفات في هذه الآية المباركة ، لأن الشمولية التي قال بها السيد الطباطبائي تشمل المترفين وغيرهم، والتبكيت لا يبين المغزى من التحول في السياق، والإيئاس قريب من الشمولية ، فأن التفات السيد المدرسي إلى التخصيص في الآية المباركة هو الصحيح والباحث يوافق رأيه.

٢ـ الإلتفات من الخطاب إلى الغيبة :

كثيراً ما ورد هذا اللون من الإلتفات في القرآن الكريم ، ومنه ما جاء في قوله تعالى :

---

(١) من هدى القرآن : ج٥ : ص٤٧٣ .

(٢) تفسير الميزان : ج١٥ : ص٤٤ .

(٣) يُنظر : التفسير الكبير(مفاتيح الغيب) : ج١٢ : ص١١١.

(٤) يُنظر : مجمع البيان في تفسير القرآن ، أمين الإسلام أبو عليّ الفضل بن الحسن الطّبرسيّ من علماء القرن السادس الهجري، طبعة جديدة منقّحة ، دار المرتضى ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م : ج٧:ص١٤٥.

﴿كُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا * يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ [الفرقان (٣٩-٤٠)] ، يقول السيد المدرسي في تفسير هذه الآية المباركة : ((والملاحظ تحوّل القرآن من اسلوبٍ لآخر فمرة يقول : ﴿دَمَّرْنَاهُ﴾ وأخرى ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وثالثة ﴿تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ ورابعة ﴿يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ فهل في ذلك ما يزجرنا عن التكذيب بآيات الله ؟. وكم يجب أن يكون قلب الإنسان قاسياً حتى يمنعه من الهداية أو التأثير بهذه التهديدات المتتالية))(١) ، فالسيد المدرسي يشير إلى معنى الإلتفات وهو التحول في الخطاب ، ومغزاه في مجيئه في الآيات القرآنية ، حيث نستشف من قوله في تفسير هذه الآية المباركة ، أن الإلتفات هنا يُراد منه الزجر عن التكذيب بآيات الله تعالى ، فهو إنَّما جيء به لغرض قرآني .

وفي قوله تعالى : ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات (٧)] ، يقول السيد المدرسي : ((﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ قالوا: أصل الرشد الصخرة، ويسمى صاحب الرأي السديد بالراشد لاستقامته عليه، وشدة تصلبه فيه، فهو على يقين من أمره. ورشد المؤمن ناشئ من يقينه، وتصلبه في الحق إذ إنه عرف دربه الواضح فسوف لا يغيره. وقد التفت السياق من الخطاب إلى الغيبة، ربما لأن مقام الراشدين رفيع لا بد أن يشار إليه بمثل كلمة ﴿أُولَئِكَ﴾ وهو مقام لا يناله إلا ذو حظ عظيم، فليس كل تالٍ للقرآن مخاطباً بهذه الصفة العظيمة. والآية تدل على أن أساس الدين الحب، ولذلك يسعى المؤمنون لترسيخ وتنمية هذا الحب في أفئدتهم))(٢)، فقد تنبه السيد المدرسي إلى مغزى التحول في الخطاب هنا ، ألا وهو بيان مقام الراشدين ، وقد أجاد في ذلك .

٣ـ الإلتفات من المؤنث إلى المذكر :

جاء السياق القرآني بكثير من الصيغ التي تُظهر جماليتها في التحول الوارد فيها ، من خلال التقلبات الصرفية والبلاغية ، وذلك لبيان فكرة معينة بالدرجة الاساس ، وشد أذهان السامعين ، وكدّها ، ومن هذا الأسلوب ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب (٣٣)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾

---

(١) من هدى القرآن : ج٦ : ص١٢٩.

(٢) المصدر نفسه : ج٩ : ص٣١٦ .

لما في ذلك من فساد النفوس، وانحطاط الأخلاق بالنسبة للمجتمع، ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ ﴾توثيقا للعلاقة مع الله، ﴿وَآتِينَ الزَّكَاةَ ﴾ تطهيرا للمال والنفس، وبناءً لاقتصاد المجتمع.ثم ينعطف السياق ليحدثنا عن ضرورة طاعة الله والرسول، كما يشير إلى طهارة أهل بيته، و هذه الانعطافات والالتفافات عادة ما يكون التدبر فيها مفتاحا لفهم الآيات، والعلاقة بينها، وتحول الخطاب من الغائب إلى المخاطب، أو من الخاص إلى العام، أو العكس هو من قبيل هذه الالتفاتات في السياق القرآني ...أما التحول من خطاب المؤنث إلى المذكر فهو إشارة إلى تبدل في المُخاطَب تبينه الروايات التي نوردها لاحقا، فكأنه جملة اعتراضية بين ما سبق من الآية وما قبلها وبين الآية التالية لعودة الخطاب للمؤنث: ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾..، ولعل الحكمة في سوقها جملة اعتراضية هو بيان المقابلة لتأكيد استحقاق البيت الطاهر مقام تمثيل الرسول صلى الله عليه واله، وربما أيضا أن الحكمة المتمثلة في تنقية ما حول الرسول من كل شائبة التي مرّ بيانها سابقا هي هنا مطلوبة لإمتداده صلى الله عليه واله الطاهر أيضاً))(١) ، كما ان أهل السنة من مفسرين وأصحاب حديث يُؤكدون أنَّ هذا الجزء من الآية المباركة [الوارد بصيغة ميم الجمع] نزل ليشمل أصحاب الكساء ولا دخل لنساء النبي فيه ، حيث أخرجه الترمذي والحاكم وصححاه ، وإبن جرير ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي في سننه من طرق ، عن أمُّ سلمة " رضوان الله تعالى عليها " أنها قالت : في بيتي نزلت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين فجللهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بكساء كان عليه ثم قال : هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا (٢) . وكذلك ((عن عائشة أخرجه مسلم عنها قالت : خرج النبي غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ، ثم قال : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾))(٣) ومن الممكن أنها نزلت مرتين في بيت أم المؤمنين (أم سلمة) وكذلك في بيت ام المؤمنين (عائشة) وأرادتا أن تدخلا لكن الرسول "صلى الله عليه واله وسلم " منعهما من الدخول وقد قال لأم سلمة : إنكِ على خير ، ودفع عائشة، ولم تدخل احد ازواجه معهم تحت الكساء المبارك والخيط الواصل بين بداية الآية المباركة التي تبدأ بنون النسوة ثم تحول الخطاب إلى ميم الجمع ثم عاد في الآية اللاحقة إلى نون النسوة فيمكن أن يكون أمر من الله تعالى إلى أزواج النبي أن يصرحن بأن آية التطهير خاصة بـ [محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين] صلوات ربي وسلامه عليهم ، ولا تدخل إحدى زوجاته في هذا البيت الذي أذهب الله عنه الرجس

---

(١) من هدى القرآن : ج٧ : ص١٩٩ ـ ٢٠٠ .

(٢) يُنظر : روح المعاني للآلوسي : ج٢٢ : ص١٤.

(٣) تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي ،محمد بن عيسى الترمذي السلمي،ت(٢٧٩هـ) ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،ط٢ ، ١٩٨٣ م : ج٩ : ص٤٩ ، يُنظر : السيرة النبوية ، السيد سامي البدري ، تحقيق : حسين البدري و إحسان المظفر ، دار الفقه ، النجف الأشرف ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٥م :ص٢٣٩

وطهره تطهيراً ، والدليل على ذلك صدر الآية المباركة ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى..﴾ بجمع البيوت فلكل زوجة من زوجات الرسول بيت خاص بها لذلك قال تعالى : **في بيوتكنَّ** ، وأفرد البيت الذي أذهب الرجس عنه لأنه بيت واحد جامع لهؤلاء الذين أختارهم الله دون غيرهم ، ((والمقصود بالأهل ليس عرفاً كما معروف عند الناس أن الأهل هم الزوجة والأطفال وإنما الأهل في القرآن يختلف كما في إبن نوح " عليه السلام ": ﴿أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾، [هود(٤٦)] ،فهؤلاء الأهل بإختيار الله لا دخل للعرف فيها))(١)،فالآية الثانية التي تليها تؤكد على نساء النبي أن يذكرن ما يُتلى في بيوتهن، وأم سلمة تقول : نزلت آية التطهير في بيتي ، وكذلك عائشة تذكر حديث الكساء وتقول : نزلت في بيتي ، فيأمرهنَّ القرآن الكريم أن يذكرن آيات الله التي تُتلى في بيوتهن ، وهنَّ خارجات عن حديث الكساء ولا تدخل أية زوجة منكنَّ في آية التطهير .ولو لم يفرد الله تعالى البيت لدخلت السيدة الزهراء " عليها السلام " في أمر الوقار وعدم التبرج ، لكن الله تعالى أفرد البيت الذي أذهب عنه الرجس وطهره تطهيرا حتى لا تدخل السيدة فاطمة في هذا الامر لأنها مطهرة ومعهود لها من قبل الله تعالى بالعفة . فالإلتفات في هذه الآية تنبه له السيد المدرسي وأن فائدته تبين مراد الله مَن هم أهل البيت ، ومَن المقصود بأمر الله بعدم التبرج ، وبهذا المعنى قد جاء السيد المدرسي في الإلتفات إلى المعنى المراد من التحول في الخطاب .

٤ـ الإلتفات من الخاص إلى العام :

وهو أحد الصور التي يأتي الإلتفات على شاكلتها في القرآن الكريم ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق (١)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((في أول آية من السياق يوجه الله الخطاب إلى رسوله بصورة خاصة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ باعتباره مسؤولا عن الأمة وشاهدا عليها، ثم يعم المسلمين ببلاغة فائقة: ﴿طَلَّقْتُمْ﴾، وذلك لكي ينسف المزاعم التي تقول: أن علاقة الرجل بزوجته وتدبيره لشؤونها أمر خاص به، ولا يمت بصلة إلى الدين الذي تمثله القيادة الإسلامية، ويؤكد أن هذا الوهم غلط فاضح، لأن علاقة الرجل بزوجته لا تقف عند حدود مصالح الفرد بل تنتشر إلى كل امرأة))(٢) .

وقد ذهب الواحدي إلى هذا المعنى في تفسيره لهذه الآية ، فيقول : ((انه نادى النبي "صلى الله عليه [وآله] وسلم " ثم خاطب أمته ، لأنه السيد المقدم ، فإذا نودي وخوطب خطاب الجمع كانت امته داخلة في ذلك الخطاب))(٣) ، وكذلك اشار إلى هذا المعنى أبو حيان في تفسير هذه الأية المباركة اذ ممكن ان يكون

---

(١) السيد كمال الحيدري : برنامج (مطارحات في العقيدة) ، قناة الكوثر ، الخميس ، الموافق ٢٣/١٠/ ٢٠١٢.

(٢) من هدى القرآن : ج١١ : ص٥٨.

(٣) التفسير البسيط : ج٢١ : ص٤٩٤.

من باب تلوين الخطاب (١) ، وكذلك الثعلبي يورد المعنى ذاته في تفسيره (٢) ، فقد جاء رأي السيد المدرسي موافقاً للمفسرين الذين سبقوه في ان الخطاب جاء من الخاص إلى العام ، لكن المعنى الذي تنبه له السيد المدرسي لم يورده المفسرون السابقون اذ تنبه إلى المغزى من الإنتقال من الخاص إلى العام ، وهو بيان المسؤولية التي تقع على عاتق رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " وبيان عموم الدين وعلاقاته الإجتماعية ، وبالخصوص علاقة الرجل مع المرأة ، لذا كان رأي السيد المدرسي رأياً صائباً في هذا المضمار.

وكذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ [هود(٨١)]، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((فارتحلوا منها، وهذا يدل على أن العملية كانت تجري بإشراف إلهي مباشر لا صدفة، فحتى خروجهم لم يكن بسبب الإرهاصات الطبيعية للعذاب، بل كان بأمر نزل من الله، ولولاه لربما كانوا يبقون، لذلك يؤكد القرآن أن الله هو الذي أنجاهم وأنقذهم ﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾ يعني نهايات الليل وبدايات الصباح، ولا يكتفي الوحي بذلك بل يضيف أن النجاة كانت نعمة إلهية، وليست نتيجة حالة بشرية أو صدفة ﴿ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ﴾ ولكنها مرتبطة بواقع بشري هو الشكر. إنها مرت بدورة متكاملة: إيمان+ عمل وشكر صاعد من قبل الإنسان+ الإرادة الإلهية بالتوفيق النعمة النازلة من الله للإنسان، وربنا لا يخصص هذه الدورة بشخص لوط "عليه السلام " بل يخلص من ذكر الخاص إلى العام ومن الشاهد إلى السنة ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴾أيًّا كان، وفي أي مكان وزمان))(٣) ، كما ان السيد المدرسي فسَّر آية [هود] في سورة [القمر] وهذا ما أشرنا اليه سابقا أن السيد المدرسي يميل إلى التفسير الموضوعي لذا كانت إشارته للخاص والعام من خلال المواضيع التي يقوم بتفسيرها ، كما فسر آيات من سورة الحمد مع آية التطهير من سورة الأحزاب ، وقد أجاد في إيراد المعنى الوارد في الآية المباركة من خلال الإلتفات الوارد في صدر الآية والباحث يوافقه في ذلك .

(١) يُنظر : البحر المحيط : ج٨ : ص٢٧٧ .

(٢) يُنظر : الكشف والبيان : ج٩ : ص٣٣١-٣٣٢ .

(٣) من هدى القرآن : ج١٠ : ص١٠٦.

٥ ـ الإلتفات من العام إلى الخاص :

من صور الإلتفات الواردة في القرآن الحكيم ، هو الإنتقال من العام إلى الخاص وذلك ما ورد في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [البقرة (١٧٢)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها: ((وربما توجه الخطاب للمؤمنين هذه المرة، بينما كان الخطاب عاماً في الآية السابقة، ربما ليدحض القرآن فكرة أن الدين تخلُّف ورجعية ومنع للطيبات، كما كان يوهم تصرف رجال الدين المحرّفين، وليثبت العكس وأن الدين يأمر بالتقدم، والتطور، والطيبات، "وَاشْكُرُوا لِلَّهِ" على هذه النعم، وذلك بأن تكرموا هذه النعم، وتقدروها، وتحترموها. ولأن الخطاب للمؤمنين لم يكتف بالسلب (لا تتبعوا خطوات الشيطان)، وإنما وصى الرب تعالى بالشكر ﴿ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾))(١) .

ولم يشر إلى هذا التحول في الخطاب من المفسرين من قبل ، فقد تنبه السيد المدرسي لهذا الإلتفات نابعاً من تدبره في السياق القرآني ، لذا كان موفقاً في استخراج هذا التحول في الخطاب ، وقد أفاض شرحاً في معنى وروده في سياق هذه الآية المباركة والآية السابقة لها وسبب هذا التحول الذي جاء من عامة الناس إلى خاصتهم وهم المؤمنون الذين خصّهم الله تعالى في توجيه الخطاب لهم بعد ذلك ، والسبب هو دحض فكرة الرجعية التي ألصقوها المتجلببين برداء الدين ، وهذا رأي ينم عن فائق القدرة على استنباط المعاني من سياقات القرآن المختلفة ، والباحث يوافقه .

٦ ـ الإلتفات من المفرد إلى الجمع :

وهذا الإنتقال جاء في القرآن الكريم كأحد مدلولات الإلتفات ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس(٦١)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ" إي في حالة من الاحوال ﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ أي ما نقرأ من القرآن- حول ذلك الشأن- هذا عن الرسول والمؤمن الذي يتبع في شؤون هدى القرآن، أما بالنسبة إلى غيره فما يتلوه هو أفكاره النابعة من اهوائه، والله سبحانه شاهد عليها كما هو شاهد على شأنه وعمله. ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ ﴾ تحول الخطاب إلى الجماعة بعد أن كان فرديًّا، والسبب قد يكون إن لكل إنسان شأنه وفكره، ولكن العمل عادة ما يكون جماعيًّا يقوم به أولا أقل يرضى به مجموعة من الناس فيشتركون في مسؤوليته، ولو

---

(١) من هدى القرآن : ج١ : ص٢٦٨ .

بقدر الرضا عنه وعدم ردع عامله))(١) .

وقد ذهب إلى هذا المعنى أبو حيان الأندلسي لكن المعنى عنده هو أن العدول إلى الجماعة ومن ثم الرجوع إلى المفرد تكريما وتشريفا لرسول الله " صلى الله عليه وآله " وذلك في قوله : ((عدل عن خطابه " صلى الله عليه [وآله] وسلم" إلى خطاب أمته بقوله ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ ان كان الله شهيداً على أعمال الخلق كلهم ..... ثم واجهه تعالى بالخطاب وحده بقوله ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾ تشريفاً له ، وتعظيماً))(٢) ، وإلى هذا المعنى ذهب الفخر الرازي من علو شأن الرسول الأعظم ، إذا كان الخطاب له مباشرة وبعده لأمته ومن ثم الرجوع اليه في الخطاب (٣) .

لكن المعنى الذي تنبه له السيد المدرسي هو أقرب للصواب ، إذ ان الإنتقال ههنا افاد تخصيص الخطاب وتعميم العمل ، فالعمل دائما عند الجماعة ناجح بالتعاون فيما بينهم ، بينما ما جاء عند ابي حيان والرازي من تشريف وتعظيم ، لا ينسجم مع ما يريده السياق ، ودائما التشريف والتعظيم يأتي بلفظ الجماعة على المفرد ، فكيف أفاد الإفراد هنا تشريفاً وتعظيماً ؟ . فرأي السيد المدرسي أقرب إلى معنى الآية المباركة ، وهو الصواب .

٧ ـ الإلتفات من الجمع إلى المفرد :

إحدى الصور التي ورد فيها الإلتفات في القرآن الكريم اذ يتكلم بصيغة الجمع ثم ينتقل إلى صيغة المفرد ، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً ﴾ [الكهف(٥١)]، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((لا يتصور الناس بأن الإنسان الضال يمكن أن تنفعهم قدرته وقوته شيئاً. كلا .. لأن الضلالة تسبب فساد القوة والقدرة مهما كانت كبيرة وهائلة، ويذكرنا القرآن بهذه الحقيقة فيقول: ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً ﴾ الذي يضلك لا يمكنك أن تتخذه عضداً لك. ونلاحظ هنا أن القرآن قد وصف المضلين وهم جمع بكلمة ﴿عَضُداً﴾ وهي مفرد، ولم يقل: أعضاداً، لأنه يريد أن ينفي الموضوع تماماً.

---

(١) من هدى القرآن : ج٣ : ص٤٠٦.

(٢) البحر المحيط : ج٥ : ص١٧٢ .

(٣) يُنظر : التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ج١٧ : ص١٢٧ ـ١٢٨ .

وذلك أبلغ لأن الإنسان قد لا يتخذ مجموعة أعضاد، وإنما يأخذ عضداً واحداً، ونفي المجموع ليس ينفي الفرد الواحد . بينما نفيها حيث تنفي حتى الواحد فإنَّه يعني المجموع أيضا ليس موجود)) (١).

فقد تنبه السيد المدرسي إلى المغزى من الإنتقال من الجمع إلى المفرد ، ألا وهو بيان النفي للموضوع، فجاء بلفظ الواحد ، اذ جعل المضلين كالعضد الواحد فنسف أخذهم البتة .

ويرى الشيخ الطبرسي أن العدول ههنا هو لرعاية الفاصلة ، وذلك في قوله : ((﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً ﴾ أي الشياطين الذين يضلون الناس أعواناً ويعضدونني عليه وكثيراً ما يستعمل العضد بمعنى العون وإنما وحَّده هنا لوفاق الفواصل)) (٢) ، ولو تأملنا قليلاً بين القولين لرأينا ان كلام السيد المدرسي أكثر دقة وإنسجاماً مع المعنى المحيط بالسياق القرآني من كلام الشيخ الطبرسي ، حيث أن رعاية الفاصلة توحي بنقص في المعنى ، لكن لما جعل الله كل المضلين بمثابة العضد الواحدة أي أنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً إلا أن تُعضد بأخرى ، وكما جاء في أمثال العرب [اليد الواحدة لا تُصفِّق] ، فرأي السيد المدرسي أصوب .

(١) من هدى القرآن : ج٥ : ص٦٦.

(٢) مجمع البيان : ج٦ : ص٦١٤ ـ ٦١٥ .

الفصل الثالث

الإيجاز

الإطناب

الذكر

الفصل الثالث

المبحث الأول

الإيجاز

أقسامه

تطبيقاته

فوائده البلاغية

المبحث الأول

الإيــجـاز
أقسامه ، تطبيقاته ، فوائده البلاغية

يُعد الإيجاز من أبرز الأساليب البلاغية أهمية لأثره الكبير في تأدية المعاني ، وقد عُني به علماء البلاغة عناية كبيرة ، والعرب تميل إلى الوجازة في الكلام ، حتى عدّوا الامثال من اعظم الأساليب الأدائية في الكلام لأنها تعطي معنى كبيراً بألفاظ قليلة ، لذلك كان للإيجاز مكانته الأثيرة بين الأساليب البلاغية، فحددوا انواعه ومواضعه وفوائده البلاغية والدلالية في الكلام ولا سيما في الكلام الإلهي المعجز القرآن الكريم وسنأتي على ذلك بتفصيل ما تعرض له السيد المدرسي من خلال تفسير (من هدى القرآن).

في اللغة : ففي اللغة يعني : الإختصار والتقليل ،هو من وَجُزَ الكلامُ وجازةً ، وأوجزَ : قلَّ في بلاغه،... وأمر وجيز وكلام وجيز أي مقتصر وخفيف (١) ، فيقال : أوجزَ كلامه يعني : قلله (٢) .

في الإصطلاح : يكاد يكون ما قاله الرماني ت(٣٨٦هـ) في تعريف الإيجاز من أكمل التعريفات اذ يقول: هو ((تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى واذا كان المعنى يمكن أن يُعبر عنه بألفاظ كثيرة، ويمكن ان يعبر عنه بألفاظ قليلة ، فالألفاظ القليلة إيجاز))(٣) ، وقد أطلق عليه ابن سنان الخفاجي ت(٤٦٦هـ) لفظ الإشارة من خلال تعريفه للإيجاز ، فيقول : ((هو أن يكون المعنى زائداً على اللفظ أي أنه لفظ موجز يدل على معنى طويل على وجه الإشارة واللمحة))(٤) ، والإيجاز : دقيق المسلك عجيبٌ ، شبيه بالسحر وترك الذكر فيه أكثر فائدة من الذكر ، والصمت أكثر فائدة (٥) .

---

(١) يُنظر : لسان العرب مادة (وجز) : ج٦ : ص١٦٦ ، المعجم الوسيط مادة (وجز) : ج٢ : ص١٠٢٥ .

(٢) يُنظر : القاموس المحيط (باب الزاي) : ج٢ : ص٢٢٠ .

(٣) النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل) ، ثلاث رسائل في إعجاز القران الكريم : للرماني (ت٣٨٦هـ) والخطابي (ت٣٨٨هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) ، تحقيق محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام ، دار المعارف، مصر، ط٣ ، ١٩٥٦م : ص٧٦ .

(٤) سر الفصاحة ،أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد ابن سنان الخفاجي الحلي ت(٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م : ص٢٠٧.

(٥) يُنظر : دلائل الإعجاز : ص١٤٦ .

ولا يخرج الرازي ت(٦٠٦هـ)عن تعريف سابقيه ، اذ يرى ((أنه العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف ، من غير إخلال ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ [البقرة (١٧٩)]))(١) ، ويرى ابن الأثير ت(٦٣٧هـ) أن الإيجاز :هو حذف زيادات الألفاظ دون اخلال أيضاً (٢) ، وشرط عدم الإخلال مُتفق عليه بين علماء البلاغة ، لأن الإخلال يؤدي إلى ضياع المعنى المراد توصيله للمتلقي ، ولا تجد كتاباً في البلاغة يخلو من هذا اللون الذي عُنى به العرب بخطبهم واشعارهم ومقالاتهم وكل ما يمت إليه بوصفه أداءً لغوياً بصلة ، والقرآن الكريم الرافد الأساس للكتب البلاغية ، قد حمل من هذا اللون الكثير بين سياقاته المباركة ، مما كان لابد لأهل البلاغة التكلم فيه ، بغض النظر عمن أسهب بالكلام عنه وفتش عن دقائقه، ومن أوجز الكلام فيه ، ففي الإطار العام ، الكل تحدث عنه.

- **أقسام الإيجاز** :

ينقسم الإيجاز على قسمين :

١ ـ **إيجاز القِصَر**: وهو الإيجاز المتمثل بقلة الألفاظ وتكثيف المعاني ، وهذا القسم هو المقصود بكلام البلاغيين عند حديثهم في الإيجاز .

٢ـ **إيجاز الحذف**: وهو حذف بعض تراكيب الجملة دون الإخلال في المعنى ، وهذا كثير في السياقات القرآنية والكلام العربي (٣) .

---

(١) نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ، فخر الدين الرازي محمد بن عمر ت(٦٠٦هـ)، تحقيق : د.احمد حجازي السقا ، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع ، الازهر ، القاهرة ، مصر ، ط١ ، ١٩٨٩ م : ص٢٤٦ .

(٢) يُنظر : المثل السائر : ج٢ : ص٧١ .

(٣) يُنظر : مجاز القرآن : ج٢ : ص٢ ، النكت في اعجاز القرآن : ص٧١ ، المثل السائر : ج٢ : ص٧٨ ، كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، تحقيق: علي محمد بجاوي و محمد أبو الفضل ، مطبعة عيسى الحلبي وشركائه ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٥٢م : ص١٨٠ ، جماليات التركيب اللغوي في السور الطوال في القرآن الكريم ، حيدر عذاب حسين، دار الفراهيدي ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٥م : ص٩٦ ـ ١٠٣ .

- **الإيجاز في تفسير من (هدى القرآن) :**

لم يذكر السيد المدرسي تعريفاً صريحاً للإيجاز ، وإنما ذكر أغراض الإيجاز البلاغية من خلال تفسيره للآيات التي ورد فيها الإيجاز ، وتلمس من خلالها الغرض البلاغي الذي أفاده الإيجاز في هذا السياق دون الإطناب أو المساواة ، وبحث السيد المدرسي في هذا الأسلوب بحثاً دقيقاً متلمساً من خلاله الأغراض التي أداها دون الأساليب الأخرى ، و سنأتي عليها من خلال البحث .

- **أقسام الإيجاز في تفسير من هدى القرآن :**

١ـ إيجاز القِصَر :

تلمس أهل البلاغة هذا اللون منذ بداية الدراسات القرآنية وهو ما أسماه أبو عبيدة ت(٢١٠هـ) ((مجاز المختصر))(١) ، وهذا اللون من أروع ألوان الأداء عند العرب ، وينماز بكثرة المعاني وقلة الألفاظ من دون حذف يُذكر ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن(١١)] ، فقد تكثَّفت المعاني في الهداية بهذه الآية الكريمة كما تكثَّفت في لفظة الإيمان ، وبها يقول السيد المدرسي : ((...القرآن يحل هذه الإشكالية باختصار وبأسلوب بليغ حيث يؤكد دور الإنسان في صنع واقعه ومصيره بالقول: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾. إذن فالهداية التي هي من عند الله لا تحصل إلا بعد إيمان الإنسان نفسه بالله، وعلى هذه السنة تمضي الحياة بخيرها وشرها، بأفراحها وأحزانها، كما أننا نستطيع أن نفسر كل الحوادث بهذه البصيرة وسؤال أخير في الآية: لماذا قال ربنا: ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ ولم يقل: يهديه، كما في كثير من الآيات الأخرى؟ والجواب: أولًا : لبيان أن صلاح الإنسان وفساده (هدايته وضلاله) كل ذلك متصل بما ينطوي عليه قلبه من الأفكار والمعتقدات،.. ثانياً: لبيان شمولية الهداية فهداية الله لقلب المؤمن تجعله خالصا من كل انحراف وضلالة..))(٢) ، فقد وضع السيد المدرسي يده على الإختصار الشديد في الآية المباركة ومدى استيعاب هذه الكلمات القليلة كل هذه الشموليات من معاني الإيمان والهداية .

وإلى هذا المعنى ذهب الزمخشري ت(٥٣٨هـ) في تفسيره لقوله تعالى : ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ ، فيقول : ((يتلطف به ويشرحه للإزدياد من الطاعة والخير . وقيل : هو الإسترجاع عند المصيبة ، وعن

---

(١) مجاز القرآن : ج٢ : ص٢ ، ج٢ : ص٩٨ .

(٢) من هدى القرآن : ج١١ : ص٤٤ .

الضحاك : يهدِ قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ...))(١) ، دون أن يذكر حذف في الآية المباركة، مما يدلل أن الإيجاز ههنا كان للقصر ، وكذلك ذهب ابن عطية ت(٥٤٦هـ) إلى هذا المعنى في تفسيره لهذه الآية المباركة ، فيقول : ((المعنى : من آمن بالله تعالى وعرف أن كل شيء بقضاء الله وقدره وعلمه، هانت عليه مصيبته ، وسلَّم الأمر لله تعالى ..))(٢) .

ولم يخرج أبو حيان ت(٧٤٥هـ)عن المعنى الذي أورده الزمخشري وابن عطية ، فقد وافقهما في رأييهما (٣) ، وكذلك السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) أورد آراء المفسرين بعد أن أفاض شرحاً في تفسير هذه الآية الشريفة ، وقال : ((وهذا الوجه قريب مما قدمناه))(٤) ، فالسيد المدرسي كان موافقاً للمفسرين الذين سبقوه وأزاد على المعنى الذي ذكروه معاني أخرى أفادتها الآية المباركة ، فالإيجاز ههنا جاء ليُفيد بيان شمولية هذه المفردات للمعاني الكثيرة التي أوردها المفسرون ، فكان السيد المدرسي منتبها للغرض أكثر ممن سبقوه ، من خلال ذكره للغرض باللفظ الصريح دون التلميح .

ويأتي إيجاز القصر في السياق القرآني ليُفيد معنى الإعتبار ، أي أخذ العبرة ، وذلك في الوجازة التي ترافق القصص القرآنية ، وهذا ما وجدناه في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً (٣٥) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً ﴾ [الفرقان(٣٥-٣٦)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((ثم تتعرض الآيات إلى قصة قوم فرعون الذين كذبوا موسى عليه السلام كمثال على عاقبة السوء التي تنتظر المكذبين بالرسالات، ويلاحظ الاختصار الشديد في القصة، وذلك من أجل الاعتبار بالنهاية- إذ هي الهدف من بيان هذه القصص هنا- ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً (٣٥) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً ﴾ . ويوحي هذا التصوير القرآني البليغ بفكرة هامة، وهي أن المقياس عند الله هو الإيمان بآياته، أما السلطة والثروة وغيرهما فلا قيمة لكل ذلك عنده تعالى))(٥)، فقد تنبه السيد المدرسي للوجازة التي وردت في القصة القرآنية المباركة والهدف منها وهو الإعتبار.

---

(١) الكشاف : ج٦ : ص١٣٤ .

(٢) المحرر الوجيز : ج٨ : ص٣٢٢ .

(٣) يُنظر : البحر المحيط : ج٨ : ص٢٧٥ .

(٤) الميزان في تفسير القرآن : ج١٩ : ص٢٩٧ .

(٥) من هدى القرآن : ج٦ : ص١٢٧ .

وإلى هذا المعنى ذهب الزمخشري ت(٥٣٨هـ) من قبل في تفسيره للآيتين المباركتين ، فيقول: ((... أراد اختصار القصة فذكر حاشيتها اولها وآخرها لأنهما المقصود من القصة بطولها ، أعني : الزم الحجة ببعث الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم ..))(١) .

في حين ذهب السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ)إلى معنى التهديد وليس الإعتبار من القصة ، وذلك في قوله : ((ووجه اتصال الآيتين بما قبلهما هو تهديد القادحين في كتاب النبي " صلى الله عليه و آله وسلم " ورسالته بتنظير الأمر بأمر موسى حيث أتاه الله الكتاب وأرسله مع أخيه إلى قوم فرعون فكذبوه فدمرهم تدميرا))(٢)، فمن جهة الإختصار للقصة وافقه السيد المدرسي ، لكن الإختلاف كان في الغرض البلاغي الذي أفادته الآية المباركة ، ويبدو أن ما ذهب إليه السيد الطباطبائي ليس ببعيد ، وذلك بدليل قوله تعالى: ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً﴾ ، و الإعتبار يأتي في أغلب الأحيان في مضمار التهديد وقد ذُكر مآل القوم المكذبين، ولكن الأمر فيه تهديد بمعنى : سيحلُّ بكم ما حلَّ بقوم موسى إن لم تؤمنوا ، فالباحث يرى أن السياق أفاد المعنيين والله العالم .

وقد ذهب ابن عطية ت(٥٤٦هـ) إلى أن الآية المباركة فيها إيجاز حذف لا إيجاز قصر ، فهو يُقدر محذوفات للآية المباركة ، فيقول : ((حذف من الكلام كثيراً دلَّ عليه ما بقي ، وتقدير المحذوف: فَذَهَبا فأديا الرسالة فكذبوهما فدمرناهم))(٣) ، وكذلك أبو حيان الأندلسي ت(٧٤٥هـ) يذكر ما ذهب إليه ابن عطية متبنياً هذا الرأي (٤) ، والثعلبي ت(٤٢٧هـ) استعمل عبارة (متروك) بدل (محذوف) ، في تفسيره للآيتين ، فيقول : ((وفي الآية متروك استغنى عنه بدلالة الكلام عليه تقديرها : فكذبوهما))(٥) ، لكن السياق يحتوي على معاني القصة جميعها دون ترك شيء ، وعلى وجازة الكلام في القصة إلا أنه استوعب جميع مفاصل القصة من أمر الله إلى موسى ، ومن ثم الذهاب إلى فرعون وملأه وما حصل لقوم فرعون ـ أي العاقبة ـ فالإيجاز بالقصر أقرب من الحذف وهو ما ذهب إليه الزمخشري والسيد الطباطبائي والسيد المدرسي ، ولا يحتاج إلى تقدير حتى يُفهم ، فالآية كما قال الزمخشري: ((ذكر حاشيتها اولها وآخرها لأنهما المقصود من القصة بطولها))(٦) ، وهو الصواب ، فلا تحتاج إلى تقدير .

---

(١) الكشاف : ج٤ : ص٣٥٠ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن : ج١٥ : ص١٩٦ .

(٣) المحرر الوجيز : ج٦ : ص٤٣٨ .

(٤) يُنظر : البحر المحيط : ج٦ : ص٤٥٧ .

(٥) الكشف والبيان : ج٧ : ١٣٣ .

(٦) الكشاف : ج٤ : ص٣٥٠ .

وما جاء به إيجاز القصر من غرض بلاغي هو تضمين الخبر والتحليل من خلال اختصار الكلام دون حذف يُقدَّر له، في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص(٢٠)]، يقول السيد المدرسي في تفسيرها بعد أن يذكر مجموعة من الروايات الواردة من طريق أهل البيت " عليهم السلام " في مؤمن آل فرعون : ((وهنا لا ننسى أيضا أثر الوقت في كثير من المهام، فقد يستدعي الأمر أحيانا أن يرسل الواحد للآخر إشارة فقط، أو لا أقل يختصر الكلام ليكون الوقت في صالحه بشرط أن يكون الاختصار نافعا ﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ بهذه العبارة المختصرة التي تتضمن الخبر والتحليل اكتفى هذا الرجل))(١) ، فقد أشار السيد المدرسي إلى الإختصار في القصة المذكورة بهذه العبارات الوجيزة التي حملت بين طياتها الخبر والتحليل من قبل مؤمن آل فرعون ونبي الله موسى"عليه السلام " ، ولم يُقدِّر محذوفاً في الآية المباركة ، فهي من إيجاز القصر .

وإلى قريب من هذا المعنى ذهب أبو حيان ت(٧٤٥هـ) في تفسيره لهذه الآية المباركة ، فيقول: ((فامتثل موسى ما امره به ذلك الرجل ، وعلم صدقه ونصحه ، وقد أفلت طالبيه ولم يجدوه))(٢) ، فاحتمل القاء الخبر من الرجل ، وقوله : (وعلم صدقه ونصحه) يبين تحليل النبي موسى لخبر الرجل ، وهذا ما ذهب إليه السيد المدرسي . ولم يتطرق الثعلبي ت(٤٢٧هـ) والزمخشري ت(٥٣٨هـ) وإبن عطية ت(٥٤٦هـ) والسيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) (٣) لهذه الوجازة، واكتفوا بتعريف الرجل ومعنى السعي وغيرها من معاني الكلمات ، ومما تقدم يتبين أن السيد المدرسي قد تنبه إلى الغرض من الإيجاز في هذه القصة المباركة التي جاءت لتُبين الخبر والتحليل ومن ثمَّ السعي من قبل نبي الله موسى "عليه السلام" للنجاة بنفسه من القتلة الذين أرسلهم فرعون لقتله .

ومن إيجاز القِصَر يأتي ليُعطي غرض التأكيد ، وهذا ما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا * إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾ [الصافات(٣-٤)] ، يقول السيد المدرسي في اختصار الملائكة للوصول إلى قصر التوحيد والعبادة لله دون غيره : ((فالملائكة إذن ليسوا آلهة من دون الله، إنما هم مسلَّمون لأمره، وحملة وحيه إلى الخلق، فلا تصح عبادتهم، وإنما عرَّفنا الله بجانب من دور الملائكة وهو شيء من الغيب، لأن إشراك طائفة من الناس بالملائكة نابع من جهلهم لحقيقة هذا الخلق، لهذا نجد القرآن بعد هذا التعريف المختصر

---

(١) من هدى القرآن : ج٦ : ص٣٣١ .

(٢) البحر المحيط : ج٧ : ص١٠٧ .

(٣) يُنظر : الكشف والبيان : ج٧ : ص٢٤٢ ، الكشاف : ج٤ : ص٤٩٠ ، المحرر الوجيز : ج٦ : ص٥٨٢ ، الميزان في تفسير القرآن : ج١٦ : ص١٩ .

والبليغ في الوقت نفسه، ينطلق لتأكيد حقيقة التوحيد قائلا: ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾ ويلاحظ ورود ثلاثة تأكيدات على هذا الأمر، هي: القسم وهو أعظمها وإن التوكيدية واللام في عبارة لواحد، الواقعة في جواب القسم))(١) ، ولم يذكر محذوفاً في الآية ليُقدر لها ، وانما رأى أن الإختصار أوفى بالغرض وأوصل المعنى، فجاء الإيجاز دون التفصيل .

ولم يشر إلى هذا المعنى الثعلبي ت(٤٢٧هـ) والزمخشري ت(٥٣٨هـ) وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) والسيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) (٢) ، واكتفوا بتفسير المُقسم به مما تقدم من (الصافات والزاجرات والتاليات) وآراؤهم في معرفة هذه الأصناف تضاربت وكانت كثيرة جدا ، وقد فسرها السيد الطباطبائي بالملائكة، حيث يرى أن كلها تعني الملائكة . فقد تنبه السيد المدرسي إلى الغرض البلاغي الذي أفاده هذا الإختصار في السياق القرآني ، ألا وهو التمهيد لنفي العبودية والتأكيد عليها وحصرها بذات الله تعالى .

٢ ـ إيجاز الحذف : وهو الإيجاز الذي ينماز بقلة الألفاظ وكثرة المعاني بحذف جزء من عباراته ، وقد يكون الحذف لجملة أو لشبه الجملة أو لجزء من الجملة (المبتدأ أو الخبر ، الفعل أو الفاعل)، أو حذف ما يتعلق بالفعل كالمفعول به (٣) ،وهذا بشرط عدم الاخلال بالمعاني ، ووجود قرينة دالة على المحذوف، وإلا لا يجوز الحذف .

ويرى ابن الناظم ت(٦٨٦هـ) أن ((سلوك طريق التضييق بحذف بعض الكلام تحقيقاً لقوة الدلالة على معناه))(٤) ، فقد يركز الحذف على دلالة المحذوف ويقرره في الأذهان ويبعث الشعور بخفائه تواصلا بالمحذوف الذي أشعر الذهن بوجوده (٥) ، وقد جاء في القرآن الكريم كثير من هذه المحذوفات بوجود دليل عليها ، وقد تنبه السيد المدرسي إلى هذه المحذوفات وأشار إليها ، وقدر لها ، كما سنقف عليها فيما يأتي ان شاء الله تعالى .

---

(١) من هدى القرآن : ج٨ : ص١٥ .

(٢) يُنظر : الكشف والبيان : ج٨ : ص١٣٩ ، الكشاف : ج٥ : ص٢٠٠ ، البحر المحيط : ج٧ : ص٣٣٧، الميزان في تفسير القرآن : ج١٧ : ص١١٤ .

(٣) يُنظر : الإيضاح : ص١٦٨ ، المعاني في ضوء أساليب القرآن : ص٣٤٥ ،محاضرات في علم المعاني ، د٠محمد هيثم غرة، د٠منيرة محمد فاعور، منشورات جامعة دمشق، كلية الآداب، ٢٠٠٤م : ص٢٤٥ ، جماليات التركيب اللغوي: ص١٠٣ .

(٤) المصباح في المعاني والبيان والبديع ، أبو عبد الله بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم ت(٦٨٦هـ) ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م : ص٣٦ .

(٥) يُنظر : المباحث البلاغية في حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي (رسالة) : ص١٤٨.

١ـ حذف الفعل أو الفاعل أو كليهما :

ورد حذف الفعل في السياقات القرآنية كثيراً وقد دلَّ عليه المعنى من خلال القرائن الواردة في السياق ، ومنه ما جاء في سياق قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ [محمد(٤)] ، حيث حُذِف من الجملة الفعل والفاعل وجاء متعلق الفعل وهو المفعول المطلق **(ضربَ)** ، فيقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((اللقاء هنا هو لقاء المواجهة الدامية، ولا يعني- فيما يبدو من سياق الكلمة في سائر الآيات- أي لقاء بين مؤمن وكافر . وضرب الرِّقاب : تعبير عن أشد أنواع القتل وأوضح صوره، وبه يتجلى الغضب المقدس الذي تمتلئ به روح المؤمن المخلص للحق . وقالوا: معناه: **[اضربوا ضرب الرقاب]**. ولعل الكلمة توحي بضرورة حسم المعركة بأقوى الأسلحة، مما تُسَمَّى بالحرب الصاعقة التي عادة تقلل من الخسائر في الطرفين، بعكس حرب الاستنزاف التي قد تكون وبالا على الطرفين))(١) ، فقد بيَّن السيد المدرسي سرَّ الحذفِ في هذه الآية الشريفة وهو الغرض البلاغي المراد من الحذف ، وذلك هما الشدة والحسم ، والحذف ههنا يبدو أن المراد منه السرعة .

وإلى هذا المعنى ذهب السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) في تفسيره لهذه الآية المباركة، فيقول: ((المراد باللقاء لقاء القتال وضرب الرقاب مفعول مطلق قائم مقام فعله العامل فيه ، والتقدير : اضربوا الرقاب ، أي : رقابهم))(٢) . في حين يرى الزمخشري ت(٥٣٨هـ) أن (ضربَ) مصدراً نائباً عن فعله لا مفعول مطلق ، وغرضه البلاغي الشدة والسرعة والتأكيد ، وذلك في قوله : ((أصله : اضربوا الرقابَ ضرباً ، فحُذف فعله وقدم المصدر فأنيب منابه مضافاً إلى المفعول . وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد .... على ان في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل))(٣) ، وإلى هذا المعنى ذهب ابن عطية ت(٥٤٦هـ) وأبو حيان الأندلسي ت(٧٤٥هـ) (٤) ، معتمدين رأي الزمخشري وموافقين له. والبيضاوي ت(٦٨٥هـ) أيضاً يُشاركهم الرأي (٥) .

لكن السمين الحلبي ت(٧٥٦هـ) ينقل عن أبي البقاء العكبري ت(٦١٦هـ) منعه للمصدرية لأنه مؤكَّد (٦) ، ومن المحتمل أن يكون هذا الرأي هو ما قصده السيد الطباطبائي والسيد المدرسي ، ونخلص

---

(١) من هدى القرآن : ج٩ : ص٢١٠ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن : ج١٨ : ص٢٠٥ .

(٣) الكشاف : ج٥ : ص٥١٦ .

(٤) يُنظر : المحرر الوجيز : ج٧ : ص٦٤٠ ، البحر المحيط : ج٨ : ص٧٤ .

(٥) يُنظر : تفسير البيضاوي : ج٣ : ص١٤٦ .

(٦) يُنظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ج٩ : ص٦٨٤ .

إلى أن ما قاله أبو البقاء والسمين الحلبي والسيد الطباطبائي والسيد المدرسي هو الصواب بمعية معنى التوكيد ، فـ (ضربَ) مفعول مطلق ، وأفاد بلاغياً الشدة والحسم والتوكيد.

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴾ [الواقعة (٨٣)] ، فقد حُذف فاعل (بلغت) ، ودلَّ عليه السياق في الآية المباركة ، حيث يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ يعني النفس عند الأجل، وبلوغها الحلقوم كناية عن قرب خروجها، بل هي حقيقة يعاينها كل من حل أجله))(١) ، فقد أشار السيد المدرسي إلى حذف الفاعل ، وقدره بـ (النفس) وذلك من خلال أن النص يشير إلى وصول الشيء إلى الحلقوم وقت الموت ولا يصل إلى الحلقوم حينئذٍ سوى النفس .

وإلى هذا المعنى ذهب الزمخشري ت(٥٣٨هـ) و ابن عطية ت(٥٤٦هـ) والسمين الحلبي ت(٧٥٦هـ)(٢) ، وكذلك السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) في تفسيره لهذه الآية المباركة ، فيقول : ((وضمير (بلغت) للنفس ، وبلوغ النفس الحلقوم كناية عن الإشراف التام للموت))(٣) ، فالسيد المدرسي كان موافقاً للمفسرين في هذه الآية الشريفة .

٢ـ حذف متعلقات الجملة :

للجملة في اللغة العربية متعلقاتٌ تجري في سياق الكلام ، منها المفعول به للفعل المتعدي وبعض الحروف ، وقد جاء هذا الحذف في تفسير من هدى القرآن ، منها :

أ ـ حذف المفعول :

ورد حذف المفعول في السياق القرآني لأغراض بلاغية كثيرة منها :

---

(١) من هدى القرآن : ج١٠ : ص٢٣٤ .

(٢) يُنظر : الكشاف : ج٦ : ص٣٩ ، المحرر الوجيز : ج٨ : ص٢١٤ ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ج١٠ : ص٢٢٨ .

(٣) الميزان في تفسير القرآن : ج١٩ : ص١٣٣ .

- **للمناسبة :**

ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النساء(١٧٦)] ، فقد حذف مفعول الفعل (**يُبيِّن**) من الآية المباركة ، فيقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((أي إنما يبين الله أحكامه لكم لكي لا تضلوا ولكي لا تبخسوا حقوق أحد لحساب الآخرين، والله يعلم ما يناسب الصلات الرابطة بين أبناء المجتمع، وأبسط الحقوق، فيضع لها أحكاماً مناسبة))(١) ، فقد أشار السيد المدرسي إلى أكثر من محذوف في هذه الآية المباركة وهي [المفعول به (أحكامه) ، (لا الناهية) ، وجملة: ولكي لا تبخسوا حقوق أحد لحساب الآخرين] ، والحذف ههنا جاء ليبين أن تبيان الله للأحكام تفرضه مناسبة المقام ، وهذا ما أشار اليه السيد المدرسي .

وقد ذهب الزمخشري ت(٥٣٨هـ)إلى أن التقدير هو (كراهة أن تضلوا) ، وذلك في قوله : ((.. مفعول له ، معناه : كراهة أن تضلوا))(٢) ، وتبعه في ذلك ابن عطية ت(٥٤٦هـ) وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) والسمين الحلبي ت(٧٥٦هـ) (٣).

لكن السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) يرى أن التقدير (حذر) أو (لام التعليل) لا (كراهة) ولا (أحكام) وذلك بقوله : ((﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ أي حذر أن تضلوا أو لئلا تضلوا))(٤) ، ولكن السياق يريد بيان الأحكام ، لأن الأحكام الواردة في الآية المباركة تحتاج تبيين فالله يبين أحكامه في ذلك ، فما ذهب إليه السيد المدرسي في تقديره ، أقرب للسياق من آراء المفسرين الذين سبقوه ، فالجميع يتفق على حذف المفعول به في الآية ، والإختلاف في التقدير ، لذا جاء الإيجاز بالحذف دون الذكر والإطالة .

- **الإطلاق :**

وكذلك ما جاء بترك ذكر مفعول (تُلقون) لغرض الإطلاق في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾ [الممتحنة (١)] ، يقول السيد المدرسي : ((.... ولعل الباء في

---

(١) من هدى القرآن : ج٢ : ص١٧٠ .

(٢) الكشاف : ج٢ : ص١٨٩ .

(٣) يُنظر : المحرر الوجيز : ج٣ : ص٧٩ ، البحر المحيط : ج٣ : ص٤٢٤ ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ج٤ : ص١٧٦ .

(٤) الميزان في تفسير القرآن : ج٥ : ص١٤٨ .

قوله : ﴿بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ جاءت بمعاها (*) الحقيقي على أن يكون المفعول لقوله : ﴿ تُلْقُونَ ﴾ متروكاً ليفيد الإطلاق، فلا يجوز إلقاء أي شيء بسبب المودة، فلا يجوز السلام بالمودة، ولا الكلام بالمودة، ولا التعاون بالمودة، ولا أي شيء آخر بالمودة، بلى؛ قد يجوز كل ذلك للضرورة أو المصلحة، وليس بالحب والمودة، والله العالم))(١) ، فقد أشار السيد المدرسي إلى أن الباء جاءت هنا حرف جر وما بعدها اسم مجرور ، ولا يعني ان موقعها مع اسمها المجرور مفعول به ، وإنما حُذف المفعول ، اذ قال بحذف للمفعول وإفادته للإطلاق بلاغياً .

وقد أشار الزمخشري ت(٥٣٨هـ) في إحدى احتمالاته إلى ذلك ، قال : ((والباء في ﴿بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ إما زائدة مؤكدة للتعدي .... وإما ثابتة على أن مفعول ﴿ تُلْقُونَ ﴾ محذوف ، معناه : تلقون اليهم أخبار رسول الله بسبب المودة التي بينكم وبينهم))(٢) ، لذلك اختار السيد المدرسي ثبوت الباء وترك مفعول تلقون لغرض الإطلاق ، فوافق هذا الاحتمال دون الاحتمال الآخر . وإلى هذا الرأي أيضاً ذهب أبو حيان الاندلسي ت(٧٤٥هـ) في تفسيره لهذه الآية المباركة (٣) ، وتبعهما السمين الحلبي ت(٧٥٦هـ) فيه متبنياً له(٤) . إلاَّ إنَّ السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) يذهب إلى زيادة الباء ، والمودة مفعول تلقون ، وذلك في قوله: ((بالمودة مفعول ﴿ تُلْقُونَ " والباء زائدة .... والمراد بإلقاء المودة إظهارها أو إيصالها))(٥) ،لكن ما ذهب إليه الزمخشري في رأيه الثاني المذكور ، وأبو حيان والسمين الحلبي والسيد المدرسي أقرب إلى السياق، إذ أن الزيادة تحتمل تقديرات ، ((فعلى هذا يكون بالمودة متعلقا بالمصدر ، أي إلقاؤهم بالمودة، وهذا ليس بجيد لأن فيه حذف المصدر وهو موصول ، وحذف الخبر إذ القاؤهم مبتدأ ، وبما يتعلق به (قد كفروا) جملة حالية ، وذو الحال الضمير في (تلقون) ، أي توادونهم وهذا حالهم))(٦) ، وهذه التقديرات لا طائل منها ، فالرأي الأول الرافض للزيادة أقرب للسياق كما أفاد فائدة بلاغية وهي الإطلاق .

(*) كذا في الأصل ، والصواب : بمعناها الحقيقي .

(١) من هدى القرآن : ج١٠ : ص٤١٤ .

(٢) الكشاف : ج٦ : ص٩٠ .

(٣) يُنظر : البحر المحيط : ج٨ : ص٢٥١ .

(٤) يُنظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ج١٠ : ص٢٩٨ .

(٥) الميزان في تفسير القرآن : ج١٩ : ص٢١٩ .

(٦) البحر المحيط : ج٨ : ص٢٥١ .

- **العموم :**

في بعض المحذوفات أريد منها معاني متعددة ، فالمحذوف يدل على تلك المعاني التي يتطرق لها السياق ، منها ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ [الطور(٤٨)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((وبعد أن عالج القرآن مشكلة التكذيب بالعذاب والكفر بالله من الناحية النفسية والعقلية، أكد ضرورة الاستمرار والاستقامة على الحق في سبيل الله ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ وحيث حذف متعلق الصبر دَلَّ ذلك على كل معانيه (الصبر عند البلاء، والصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية)، فيجب إذن على المؤمن أن يتنازل عن جميع تطلعاته ومصالحه وآرائه في سبيل رسالته، مهما كان الصبر على ذلك صعبا))(١) ، فتنبه السيد المدرسي إلى الفائدة البلاغية التي أريد منها حذف متعلق الفعل وهي المعاني التي يريها السياق جميعها ، لذا جاء الحذف دون الذكر ، للغرض البلاغي المذكور .

ولم يتطرق للحذف الواحدي ت(٤٦٨هـ) والزمخشري ت(٥٣٨هـ) و ابن عطية ت(٥٤٦هـ) والسيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) في تفسيرهم لهذه الآية المباركة (٢) ، مما يدلل أن السيد المدرسي تنبه لحذف المتعلق الذي ينتمي للفعل ، وقد خفي على المفسرين السابقين له على الأقل المذكورين منهم ، فالرأي هذا يكون خاصاً بالسيد المدرسي دون غيره ، وهو رأي صائب .

- **قلة الفائدة :**

يأتي عدم ذكر متعلق الجملة لقلة الفائدة بلاغياً ، وهذا ما جاء في عدم ذكر الكُرم في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ [يس(٣٤)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((... ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ والعنب- كما التمر- يحفظ لغير موسمه في صورة زبيب، وهو ذو فوائد غذائية كبيرة، ولعل عدم ذكر الكرم لقلة فائدته بالقياس إلى النخيل، والتقارن بين النخيل ذات الارتفاع الكبير، والكرم الذي هو زرع يثير الإعجاب. كيف أن الله يصنع من هذه ثمرا ومن ذاك عنبا، وهما متشابهان بالرغم من اختلاف أصلهما، فهذه شجرة باسقة وذاك زرع مفروش على الأرض أو على ما يعرشون)) (٣) ، وهنا يفرق السيد

---

(١) من هدى القرآن : ج١٠ : ص٣٥ .

(٢) يُنظر : التفسير البسيط : ج٢٠ : ص٥١٣ ، الكشاف : ج٥ : ص٦٣١ ، المحرر الوجيز : ج٨ : ص١٠١ ، الميزان في تفسير القرآن : ج١٩ : ص٢٢ .

(٣) من هدى القرآن : ج٧ : ص٣٧٦ .

المدرسي بين العنب والكرم ، فهو يرى أن العنب ما يكون قابلاً للخزن بصورة زبيب ، والكرم هو ما لا يُخزن ، لذا كان عدم ذكر الكرم لقلة فائدته ، وذكر النخيل والعنب لأنهما أكثر فائدة من غيرهما .

في حين يرى السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) أن العنب نفسه الكرم ، وذلك في تفسيره لهذه الآية المباركة ، فيقول : ((... والنخيل جمع نخل وهو معروف ، والأعناب جمع عنب يُطلق على الشجرة وهي الكرم وعلى الثمرة))(١) ، ولعلَّ السيد المدرسي أصاب الحقيقة لأنه يرفض مفهوم الترادف ، فلا توجد كلمتان في القرآن الكريم تحمل معنى واحداً (٢) ، وقد ميَّز بين الكرم الذي لا يمكن خزنه وبين العنب القابل للخزن ، لذلك جاء الحذف دون الذكر . ولم يُشر الزمخشري ت(٥٣٨هـ) وابن عطية ت(٥٤٦هـ) وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) إلى الفرق بين العنب والكرم (٣) ، لذا لم يروا فيها حذفاً .

- **المنفعة العامة :**

يأتي الحذف ليدل على المنفعة العامة ، وقد جاء في حذف مفعول التعليم من قوله تعالى : ﴿ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ [الرحمن(٢)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((... ويبدو أن حذف: مفعول التعليم الثاني فلم يفصح عمن علم القرآن كان لحكمة بالغة هي: أن جعل القرآن علما بحيث ينتفع به كل من شاء هو المناسب لرحمانية الله، كما قال ربنا سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر(١٧)]))(٤) ، اذ أشار إلى الانتفاع العام من خلال الحذف للمفعول الثاني بالنسبة للفعل (عَلَّمَ) الذي يتعدى إلى مفعولين ، إذ ذكر القرآن وترك المفعول الثاني لغرض المنفعة العامة .

وإلى هذا المعنى ذهب الفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) من قبل في تفسيره لهذا الآية المباركة ، فيقول: ((ان المفعول الثاني لابد منه وهو جبريل وغيره من الملائكة علمهم القرآن ثم أنزله على عبده.... ويُحتمل أن يُقال المفعول الثاني هو محمد " صلى الله عليه [وآله] وسلم" ... (والمسألة الرابعة) لمَ ترك المفعول

---

(١) الميزان في تفسير القرآن : ج١٧ : ص٨٠ .

(٢) سؤال تقدم به الباحث إلى السيد المدرسي في المقابلة التي أجريت في ٢٠١٦/١٠/١٨م ، في مسجد الإمام موسى الكاظم " عليه السلام " في كربلاء المقدسة ، ما هو موقفكم من ظاهرة الترادف ؟ فهل يوجد في القرآن الكريم ترادف ؟ فأجاب: كلّا ، فلكل كلمة في القرآن الكريم لها معنى خاص بها . وهذا ما وجدناه من رفض لهذه الظاهرة في تفسيره لهذه الآية الشريفة .

(٣) يُنظر : الكشاف : ج٥ : ص١٧٦ ، المحرر الوجيز : ج٧ : ص٢٤٧ ، البحر المحيط : ج٧ : ص٣٢٠ .

(٤) من هدى القرآن : ج١٠ : ص١٢٧ .

الثاني ؟ نقول إشارة إلى أن النعمة في تعميم التعليم لا في تعليم شخص دون شخص))(١) ، اذ وافقه السيد المدرسي في أن المحذوف هو المفعول الثاني في الآية المباركة ، والغرض هو تعميم المنفعة .

بينما يرى أبو حيان ت(٧٤٥هـ) أن المحذوف هو المفعول الأول لا المفعول الثاني ، وذلك في تفسيره لهذه الآية المباركة ، فيقول : ((... وتوهم أبو عبد الله الرازي أن المحذوف هو المفعول الثاني قال : فإن قيل : لمَ ترك المفعول الثاني ؟ نقول إشارة إلى أن النعمة في تعميم التعليم لا في تعليم شخص دون شخص))(٢) ، فهو يرى أن المحذوف هو المفعول الأول لدلالة المعنى عليه (٣) ، وإلى هذا المعنى ذهب السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) في تفسيره للآية المباركة ، لكنه يختلف عن أبي حيان في تقدير المحذوف، فأبو حيان يرى أن تقديره : إما جبريل وإما الملائكة وإما الرسول الأعظم ، والسيد الطباطبائي يرى أن المحذوف تقديره الإنسان أو الإنس والجن فيقول : ((وحذف مفعول (علَّم) الأول وهو الإنسان أو الإنس والجن والتقدير علم الإنسانَ القرآنَ ، أو علَّم الإنسَ والجنَ القرآنَ ، وهذا الاحتمال الثاني وان لم يتعرضوا له (*) لكنه أقرب الاحتمالين لأنَّ السورة تُخاطب في تضاعيف آياتها الجن كالإنس ولولا شمول التعليم في قوله ﴿ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ لهم لم يتم ذلك))(٤) ، ويبدو أن الصواب هو نصف ما جاء به الفخر الرازي والسيد المدرسي والنصف الآخر ما جاء به أبو حيان الأندلسي والسيد الطباطبائي ، اذ يرى الباحث أن المحذوف هو المفعول الأول كما جاء عند أبي حيان والسيد الطباطبائي ، والفائدة البلاغية من الحذف هو تعميم الفائدة ليشمل كل المعاني من التعليم ، ليُنتفع به الكل ، كما جاء عند الرازي والسيد المدرسي.

- **الحذف للإختصاص :**

يأتي الحذف في بعض السياقات القرآنية ليدل على الخصوصية ، كما في قوله تعالى : ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾ [المرسلات(٢٣)] ، فقد حُذف المخصوص بالمدح للإختصاص في القدرة والقوة والتدبير للأمور، وقد ذكر السيد المدرسي مجموعة من آراء المفسرين فقال : ((قال ابن جرير: ((فملكنا فنعم

---

(١) التفسير الكبير(مفاتيح الغيب) : ج٢٩ : ص٨٥ .

(٢) البحر المحيط : ج٨ : ص١٨٧ .

(٣) يُنظر : البحر المحيط : ج٨ : ص١٨٧ .

(*) يقصد المفسرين ؛ فهم لم يتعرضوا لهذا الاحتمال وهو يراه صائباً .

(٤) الميزان في تفسير القرآن : ج١٩ : ص٩٠ .

المالكون، وعن الضحاك قال: فخلقنا فنعم المالكون)) ، وفي التبيان: ((معناه فَقَدَرنا من القدرة فنعم القادرون على تدبيره)) ، وفي مجمع البيان: ((أي قَدَّرنا خلقه كيف يكون قصيرا أو طويلا، ذكرا أم أنثى، فنعم المقدرون نحن، ويجوز أن يكون المعنى إذا خُفِّف (لأن المفسرين قرؤوها بالتخفيف والتثقيل) من القدرة، أي قَدَرنا على جميع ذلك فنعم القادرون على تدبير ذلك، وعلى ما لا يقدر عليه أحد إلا نحن، فحذف المخصوص بالمدح))، وهذا ما احتمله العلامة الطباطبائي في الميزان وقال: ((من القدرة مقابل العجز، والمراد فقدرنا على جميع ذلك)) (**) ، والذي أختاره أن الكلمتين: **(فَقَدَرْنَا)** و **(الْقَادِرُونَ)** مشربتين اثنين من المعاني في آن واحد: أحدهما التقدير بالحكمة والعلم، والآخر القدرة بالقوة والمشيئة، ولعمري إن المتفكر في خلقة البشر يجد اسمي الحكيم والقادر متجليين فيها بما لا يقبل ذرة من الشك، لولا أن الإنسان يجعل بينه وبين الحقيقة حجاب التكذيب بالحق للهروب من المسؤولية، فله الويل من الله إذا فعل ذلك))(١) ، فقد جمع السيد المدرسي آراء المفسرين الذين ذكرهم ووافق على جميعها ، أي أن ما قالوه كله وارد ، فهو موافق لهم في ذلك ، لذا جاء الحذف دون الذكر .

ب ـ حذف الحروف : في مجموعة من السياقات القرآنية حُذفت حروف لأغراض بلاغية ، منها :

- **عدم وجود فائدة** :

يكون لذكر بعض الحروف مع الألفاظ فوائد دلالية وبلاغية ، وحذفها يُلغي الفائدة ، وهذا ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [المطففين (٣)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها في حذف حرف اللام في وزنوهم التي أصلها وزنوا لهم : ((ويبدو لي أن حذف اللام هنا من بديع بلاغة القرآن، حيث إن اللام توحي بالفائدة والنفع، في حين أنه لا منفعة لمن يكال لهم لأنهم يخسرونهم))(٢) ، فيرى السيد المدرسي أن حذف اللام من الضمير (هم) لأن الكيل لهم عديم الفائدة ، ولهذا نرى أن السيد المدرسي قد أعطى معنى للحرف ، وهذا الرأي تفرد به دون غيره ، حيث أن جميع علماء اللغة يقولون: أنه لا معنى للحرف بذاته .

(**) نقل السيد المدرسي رأي الطبري من الدر المنثور للسيوطي : ج٦ : ص٣٠٦ . ويُنظر : التبيان في تفسير القرآن : ج١٠ : ص٢٢٨ ، مجمع البيان : ج١٠ : ص٥٣١ ، الميزان في تفسير القرآن : ج٢٠ : ص١٥٣ .

(١) من هدى القرآن : ج١١ : ص٤٤١ ـ ٤٤٢ .

(٢) المصدر نفسه : ج١٢ : ص٨٥ .

ولم يذكر الزمخشري ت(٥٣٨هـ) والفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) الفائدة البلاغية من حذف اللام في هذه الآية المباركة ، وقد أشاروا إلى حذفها دون ذكر الفائدة من الحذف (١).

- **الجزاء بالمثل** :

يأتي الحذف ليفيد غرضاً بلاغياً وهو الجزاء بالمثل ، وقد جاء في قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية (٢٨)] ، فقد حُذف حرف الباء للدلالة على أن الجزاء من جنس العمل ، فقال السيد المدرسي في تفسيرها :((﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ لو قال ربنا: ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ لاحتمل أن يكون الجزاء من غير جنس العمل، ولكن حذف الباء يؤكد أن الجزاء هو العمل ذاته الذي اجترحه الإنسان))(٢) ، فقد تنبه السيد المدرسي إلى التأثير الذي فعله حذف الحرف في تغيير المعنى ، فكان الحذف الوارد له مسحة بلاغية لا يعطيها إذا ذُكر .

ولم يشر الزمخشري ت(٥٣٨هـ) وابن عطية ت(٥٤٦هـ) وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) والسيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) إلى حذف حرف الباء في هذه الآية المباركة (٣) ، بكل كانوا مهتمين بمعنى الكتاب الذي تُدعى الأمة به يوم القيامة والجزاء الذي ينتظرها .

- **إتباع القاعدة النحوية** :

بعض الحروف تُحذف لقرب مخرجها الصوتي من حروفٍ أخرى ، وذلك بسبب أنها أضعف من الحروف الأخرى ، وحروف أخرى تُحذف لقاعدة وضعها علماء اللغة ، وذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [النبأ (١)] ، يقول السيد المدرسي في محذوفات عن ، ما : ((عمَّ: أصلها: عن ما، مركّبة من (عن) الجارّة وما الاستفهامية، ثم أُدغمت النون في الميم لقرب مخرجها، وحُذِفت الألف من (ما) على ما هي عليه القاعدة من حذفها مطلقاً إذا دخل على ما حرف الجر))(٤) ، فقد أشار السيد المدرسي إلى أن المحذوفات ههنا كان الغرض منها صوتي ، يتبع مخارج الأصوات في النطق ، والقاعدة التي وضعها العلماء في حذف الحروف .

---

(١) يُنظر : الكشاف : ج٦ : ص٣٣٥ ، التفسير الكبير(مفاتيح الغيب) : ج٣١ : ص٨٩ ، البحر المحيط : ج٨ : ص٤٣١.

(٢) من هدى القرآن : ج٩ : ص١٤٤ .

(٣) يُنظر : الكشاف : ج٥ : ص٤٨٩ ، المحرر الوجيز : ج٧ : ص٦٠٥ ، البحر المحيط : ج٨ : ص٥١ : الميزان في تفسير القرآن : ج١٨ : ص١٠٢ .

(٤) من هدى القرآن : ج١١ : ص٤٤٥ .

وقد ذهب ابن عطية ت(٥٤٦هـ) إلى أن المحذوفات ههنا حرفان كما ذهب السيد المدرسي دون ذكر السبب للحذف ، وذلك في قوله : ((أصل ﴿ عَمَّ ﴾ عن ما ، ثمَّ ادغمت النون بعد قلبها فبقي (عمَّا)، في الخبر وفي الإستفهام ، ثمَّ حذفوا الألف في الإستفهام فرقا بينه وبين الخبر))(١) ، ولكن قوله (ثّمَّ حذفوا الألف في الاستفهام) فيه شيء من التجاوز على القرآن الكريم ، وكأنه يريد أن يقول أن الحذف جاء من النُسّاخ ولم يكن الخط توقيفياً بإملاء الرسول الأعظم " صلى الله عليه وآله " لذا كان لزاماً علينا ذكر ذلك .

وكذلك ذهب الثعلبي ت(٤٢٧هـ) وابن كثير ت(٧٧٤هـ) إلى المعنى ذاته (٢) ، في ان الحذف حرفان.

لكن الزمخشري ت(٥٣٨هـ) يرى أن الحذف حرف واحد وهو الألف من (ما) فقط ، وذلك في قوله: ((أصله (عما) على أن حرف جر دخل على ما الاستفهامية وهو في قراءة عكرمة وعيسى بن عمر))(٣)، و يذهب أبو حيَّان ت(٧٤٥هـ) أيضاً إلى أن الحذف في الألف فقط (٤) .

فمما تقدم تبين أن السيد المدرسي أشار إلى الأغراض التي حذفت الحروف ههنا بسببها ، ورأيه أقرب للسياق .

---

(١) المحرر الوجيز : ج٨ : ص٥١٢ .

(٢) يُنظر : تفسير القرآن العظيم : ج١٤ : ص٢٢٧ ، الكشف والبيان : ج١٠ : ص١١٣ .

(٣) الكشاف : ج٦ : ص٢٩٣ .

(٤) يُنظر : البحر المحيط : ج٨ : ص٤٠٢ .

٣ ـ حذف الجملة :

مما جاء في السياق القرآني حذف جملة من السياق ان دلَّ عليها دليل ، و جاء هذا الحذف لمعنى بلاغي يؤكده السياق الذي ترد فيه ، ومن المعاني التي جاء بها الحذف للجملة :

أ ـ التعليل :

تُحذف الجملة لغرض التعليل ، ويتوصل إلى هذا الغرض من خلال السياق القرآني التي وردت فيه الجملتان (المحذوفة والظاهرة)، مثل ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾[الشورى(٣٥)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها: ((ولا بد أن يعلم أولئك الذين يكذبون بآيات الله، ويتشبثون بثقافة الجدال والتبرير من أجل ردها والتهرب من مسؤولية الإيمان بها، أنهم محاطون بعلم الله وقدرته، ومن ثم فإن جدالهم فيها لن يرفع عنهم المسؤولية .. ﴿ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ أي مهرب ومفزع من الله. قالوا: إن نصب ﴿ وَيَعْلَمَ ﴾ جاء لأنه عطف على تعليل محذوف، وكأنه قال: ينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون))(١) ، وهذا أحد الآراء التي ذكرها الزمخشري ت(٥٣٨هـ) إلى جانب القراءة بالرفع والجزم (٢)،فيقول : ((واما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره : لينتقم منهم وليعلم الذين يجادلون ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن منه قوله تعالى: ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ [مريم(٢١)] ..))(٣) ، واختيار هذا الرأي وترك الآراء الباقية من قبل السيد المدرسي دليل على أنه موافق لهذا الرأي دون الآراء الأخرى.

وإلى هذا المعنى ذهب السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) في تفسيره لهذه الآية الشريفة ، فيقول : ((هو غاية معطوفة على أخرى محذوفة ، والتقدير نحو من قولنا : لِيُظهرَ به قدرته ويعلمَ الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من مفر ولا مخلص ، وهذا كثير الورود في القرآن الكريم ..))(٤) ،فتقدير الجملة المحذوفة في قول السيد الطباطبائي أقرب للسياق من الجملة التي ذكرها الزمخشري والسيد المدرسي ، فإظهار القدرة أعم وأشمل من الانتقام .

---

(١) من هدى القرآن : ج٨ : ص٣٩٦ .

(٢) يُنظر : الكشاف : ج٥ : ص٤١٤ .

(٣) المصدر نفسه : ج٥ : ص٤١٤ .

(٤) الميزان في تفسير القرآن : ج١٨ : ص٣٢٦ .

وقد ذهب إلى الحذف بمعنى التعليل الواحدي ت(٤٦٨هـ) (١) وأبو حيان الاندلسي ت(٧٤٥هـ)(٢) ، والسمين الحلبي ت(٧٥٦هـ) (٣) ، فالسيد المدرسي كان موافقاً في رأيه للمفسرين السابقين ، وحذف الجملة ههنا أعطى معنى التعليل بالحذف ودلَّت عليه الجملة المذكورة في الآية المباركة.

ومن التعليل في مضمار الجواب ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ﴾ [الرعد(٣١)] ، فيقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((لما واجههم الرسول بعد طلبهم الآيات بالقرآن، وأكد على أنه المعجزة الكبرى تعللوا بأن هذا القرآن المعجزة لو سيرت به الجبال من حولنا (حول مكة) حتى نستطيع أن نزرع، أو قطعت به الأرض كما كان سليمان يرسل الرياح فيقطع بها الارض، أو كلم به الموتى، كما كان موسى وعيسى لكانوا يؤمنون به .... جواب (**وَلَوْ**) في الآية (**وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ**) محذوف وتقديره أحد هذين المعنيين: أولًا: لما أفادهم . ثانياً: لكان هذا القرآن. وحسب نظري إن كلا الجوابين صحيحان، فلو كان القرآن كذلك لم ينفعهم كون القرآن تسير به الجبال وتقطع به الأرض ويكلم به الموتى، وثانيا: إن القرآن كذلك، وقد استطاع (كما أسلفنا) المؤمنون حقا الذين استوعبوا حقائق القرآن أن يستفيدوا منه هذه الفوائد))(٤) ، فقد جمع السيد المدرسي بين الرأيين الذين ذكرهما في النص ، وقد تنبه لحذف الجملة ههنا مشيرا إلى التعليل من خلال السياق الذي ورد الحذف فيه من بين باقي مفاصل الآية المباركة.

لم أقف على الرأي الأول ، ولكن الرأي الثاني كان للزمخشري ت(٥٣٨هـ) في تفسيره لهذه الآية المباركة ، فيقول : ((﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً ﴾ جوابه محذوف ، كما تقول لغلامك : لو أني قمت إليك ، وتترك الجواب، والمعنى : لو أنّ قرآناً ﴿ سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ﴾ عن مقارها ، وزعزعت عن مضاجعها ، ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ ﴾، حتى تتصدع وتتزايل قطعاً ، ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ﴾ فتسمع وتجيب، لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف))(٥) ، و إبن عطية ت(٥٤٦هـ)(٦).

---

(١) يُنظر : التفسير البسيط : ج١٩ : ص٥٢٧ .

(٢) يُنظر: البحر المحيط : ج٧ : ص٤٩٨ .

(٣) يُنظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ج٩ : ص٥٦٠ .

(٤) من هدى القرآن : ج٤ : ص٢١٠ .

(٥) الكشاف : ج٣ : ص٣٥٢ .

(٦) يُنظر : المحرر الوجيز : ج٥ : ص٢٠٥ .

إعتمد هذا المعنى ، و الواحدي ت(٤٦٨هـ) (١) من قبل في تفسيره لهذه الآية المباركة ، وكذلك أبو حيان الأندلسي ت(٧٤٥هـ) (٢) يتبعهم في تأييده لهم في ان الحذف فيها هو يراد منه التعليل للوصول إلى الغاية.

إذن فالسيد المدرسي كان موافقاً للمفسرين الذين سبقوه في شرحهم لهذه الآية المباركة ، فإنّ الجملة الجوابية المحذوفة كانت تعليلاً وبياناً للسبب المتقدم في الجملة المذكورة .

ب ـ التنبيه والإنذار :

من الأغراض البلاغية التي وردت كثيراً في السياق القرآني هو التنبيه ، وقد ورد في الحذف في قوله تعالى : ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ [ص(١)] فقد حُذفت الجملة لكن (المقسم به) للتنبه والإنذار ، وقال السيد المدرسي في تفسيرها : ((" ص " حرف يفيد الابتداء به التنبيه، وهو يشير إلى القرآن الكريم، ومن أبعاده أنه رمز بين الله وأوليائه فهم يختصون بفهمه ... أما أنت أيها الرسول فعلى الحق، من هنا قال بعض المفسرين أن المقسم به محذوف تقديره ﴿ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ (إنك تحمل للناس ذكرا)، ويدل على هذا الحذف التصريح به في مثيله من سورة (يس) إذ قال ربنا: ﴿ يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾[يس(١-٢)]. وإنما صار الحذف هنا لدلالة الآية الثانية على المحذوف المقسم به))(٣) ، فيرى السيد المدرسي أن الجملة المحذوفة أريد منها الانتباه إلى القسم ، واستدل على الحذف في آيات أخرى ، مما يدلل أن السياقات القرآنية بعضها يكمل بعضاً ، وبعضها يجيب على بعض .

وقد ذهب أبو حيان الأندلسي ت(٧٤٥هـ) إلى الإنذار دون التنبيه ، مستدلاً على ذلك بآيات أخرى ذكرها السيد المدرسي ، فيقول أبو حيان : ((... ويقوي هذا التقدير ذكر النذارة هنا في قوله : ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ﴾ [ص(٤)] وقال هناك ﴿ لِتُنْذِرَ قَوْماً ﴾ [يس(٤)] فالرسالة تتضمن النذارة والبشارة ..))(٤) ، و يذهب السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) أيضاً إلى النذارة في تفسيره للآية المباركة (٥) ، فقد استنبطوا

---

(١) يُنظر : التفسير البسيط : ج١٢ : ص٣٥١ .

(٢) يُنظر: البحر المحيط : ج٥ : ص٣٨٢ .

(٣) من هدى القرآن : ج٨ : ص٧٨ ـ ٧٩ .

(٤) البحر المحيط : ج٧ : ص٣٦٧ .

(٥) يُنظر : الميزان في تفسير القرآن : ج١٧ : ص١٦٨ .

معنى الآية المحذوفة من الآيات الأخرى كآيات سورة **(يس)** المباركة . واستدلال السيد المدرسي بالآيات ذاتها التي استدل بها المفسرون السابقون يدل على أنه موافقٌ لهم ، ومعنى الإنذار واضح جداً من سياق الآيات المباركة ، لذا كان رأيهم صائباً .

٤ـ حذف الخبر :

الخبر ، إنَّه ركنٌ أساسي في تكوين الجملة ، فهو لا يقل شأناً عن المبتدأ ، ولا يُحذف إلا إذا دلَّ عليه دليل ، كما لو دل سياق الآية على حذفه ، وهذا ما جاء في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت(٤١)] ، فقد حُذفَ خبر (إنّ) ههنا لكي يذهب خيال السامع أي مذهب (١)، فيستحضر جميع العذابات في فكره ، لذا قال السيد المدرسي في تفسيرها : ((﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ إنهم هم الملحدون في آيات الله، وإن مصيرهم الدمار، لأنهم أعرضوا عن كتاب مقتدر. ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ وكيف لا يكون عزيزا وقد وعد رب العزة أن يحفظه، وينصر من ينصره، وأن يبارك في العاملين به، وإنه ليعكس سنن الله التي تنتقم ممن خالفها بشدة .... وقال المفسرون: إن خبر المبتدأ هنا محذوف لدلالة السياق، كما لو قلنا: إن من يعادي زيدا و إن زيدا لقوي، أي إنه لا يفلح لأن من يعاديه قوي))(٢) ، ولم يُخالف السيد المدرسي هذا القول مما يدل على موافقته لهم .

وقد ذهب إبن عطية ت(٥٤٦هـ)إلى هذا المعنى بعد أن يذكر مجموعة من الآراء ويختار الحذف في النهاية فيقول : ((والذي يحسن في هذا هو إضمار الخبر))(٣)، وكذلك يذهب السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) إلى هذا المعنى ، فيقول : ((وقد اختلفوا في خبر (إنَّ) ويمكن أن يُستظهر من السياق أنه محذوف يدل عليه قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ إلخ فهذا الكفر بالقرآن من مصاديق الإلحاد في آيات الله فالتقدير إنّ الذين كفروا بالذكر لما جاءهم يُلقون في النار يوم القيامة ، وإنما حُذف ليذهب فيه وهم السامع اي مذهب ممكن ، والكلام مسوق للوعيد))(٤) .

---

(١) يُنظر : الميزان في تفسير القرآن : ج١٧ : ص٤٤٢ .

(٢) من هدى القرآن : ج٨ : ص٣٢٥ .

(٣) المحرر الوجيز : ج٧ : ص٤٨٩ .

(٤) الميزان في تفسير القرآن : ج١٧ : ص٤٤٢ .

ولعل رأي السيد الطباطبائي أقرب الآراء في هذه الآية من خلال اعتماده السياق والقرائن ، فكان تقديره أقرب ، ولا يختلف رأي السيد المدرسي عنه كثيراً ، لكنَّ السيد الطباطبائي كان أكثر وضوحاً في إيراد المعنى ، والسيد المدرسي أعطى جميع معاني الحذف دون الإشارة ، وذلك في قوله : ((إنهم هم الملحدون في آيات الله، وإن مصيرهم الدمار، لأنهم أعرضوا عن كتاب مقتدر))(١) ، ومن ذلك نستشف أن الرأي بينهما قريب جداً .

و يذكر أبو حيان ت(٧٤٥هـ) ستة آراء في خبرها ويُرجح في ذلك الذكر مع حذف عائد اسم (إنَّ)، فيقول : ((والذي أذهب إليه أن الخبر مكذور(*) لكنه حُذف منه عائد يعود على اسم (إنَّ) وذلك في قوله: (لا يأتيه الباطل)))(٢) ، وهذا القول بعيد جداً، فكيف يعود على متأخر ؟ فهو يرى أنَّ الخبر في الآية الأخرى بمعنى : الباطل منهم ، وهذا بعيد عن السياق .

والسمين الحلبي ت(٧٥٦هـ) يذكر الآراء التي ذكرها أبو حيان لكنه لا يُرجح أحدها ، فترك الأمر على ذكر الآراء دون ترجيح احدها (٣) .

ومما تقدَّم يتضح أن السيد المدرسي وافق ابن عطية والسيد الطباطبائي في أن المسند حُذف حتى تكون جميع ألوان العذاب حاضرة في ذهن الكافرين ، والحذف أقرب للسياق مما ذهب إليه أبو حيان الأندلسي والآراء التي ذكرها في ان المسند مذكور.

٥ـ حذف المبتدأ :

اتفق أصحاب البلاغة على أن الحذف في المسند إليه وارد في القرآن وكلام العرب ، واعتنوا به عناية كبيرة من الفراء ت(٢٠٧هـ) وأبي عبيدة ت(٢١٠هـ) وأبي هلال العسكري ت(٣٩٥هـ) وعبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١هـ) إلى العصر الحديث ، واتبعهم المفسرون في ذلك بدءاً من الواحدي ت(٤٦٨هـ) وحتى العصر الحديث ، ولم يشذ عنهم أحد ، وقد وافقهم السيد المدرسي في هذا الامر ، فمن الآيات التي ورد الحذف للمسند إليه فيها قوله تعالى : ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾[الذاريات(٢٩)] ، يقول السيد المدرسي في تفسير ﴿ وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ : ((وعبرت عن عمق تعجبها

---

(١) من هدى القرآن : ج٨ : ص٣٢٥ .

(*) كذا في الأصل ، والصواب : مذكور .

(٢) البحر المحيط : ج٧ : ص٤٧٩ .

(٣) يُنظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ج٩ : ص٥٢٩ ـ ٥٣٠ .

من هذه البشارة العظيمة ﴿ وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ فهل ألد وأنا عجوز يائس؟! بل كيف ألد وأنا امرأة عقيمة، ولم أنجب في شبابي))(١) ، فقد أشار السيد المدرسي إلى حذف المسند إليه وهو ضمير الرفع (**أنا**) ، وقد أفاد الحذف ههنا التعجب من الأمر.

وقد ذهب إلى ذلك الواحدي ت(٤٦٨هـ) ينقل عن أبي إسحاق الزجاج في تفسيره للآية المباركة، فيقول:((وقال أبو إسحاق : المعنى : وقالت أنا عجوزٌ عقيمٌ فكيف ألد ؟))(٢) وكذلك يذهب الزمخشري ت(٥٣٨هـ)، إلى هذا في تفسيره لهذه الآية المباركة، فيقول:((﴿ عَجُوزٌ ﴾ أنا عجوزٌ))(٣) ، وفعلها يدل على التعجب .

و ذهب ابن عطية ت(٥٤٦هـ) إلى المعنى ذاته (٤) ، والشيخ زادة ت(٩٥٠هـ) كذلك من انها قالت: انا عجوزٌ عقيم ، مراعاة لمقام التعجب الذي قد يميل فيه الإنسان إلى الإيجاز (٥) ، والسيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) يذكر رأيين في الآية فيقول : ((وقالت : أنا عجوزٌ عقيم فكيف ألد ؟ أو المعنى : هل العجوز العقيم تلد غلاماً ... والمعنى الأول أوفق للسياق))(٦) ، فهو يوافق من ذهب إلى حذف المبتدأ والتقدير (أنا).

فالسيد المدرسي يوافق المفسرين الذين سبقوه على حذف المسند إليه والتقدير له بالضمير(**أنا**)، فأوجزت السيدة سارة زوج نبي الله إبراهيم " عليه السلام " في القول بحذف المسند إليه .

---

(١) من هدى القرآن : ج٩ : ص٤٢٠ .

(٢) التفسير البسيط : ج٢٠ : ص٤٥٣ .

(٣) الكشاف : ج٥ : ص٦١٦ .

(٤) يُنظر : المحرر الوجيز : ج٨ : ص٧٥ .

(٥) يُنظر : حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي : ج٤ : ص٣٩٥ .

(٦) الميزان في تفسير القرآن : ج١٨ : ص٢٨٢ .

٦ـ حذف المستثنى منه :

جاء في السياق القرآني المبارك حذف المستثنى منه ودلَّ عليه الإستثناء في السياق الوارد فيه الحذف، منه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الإنشقاق(٢٤ـ٢٥)]، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((قالوا في معنى الاستثناء إنه منقطع (*) إذ إن الكفار غير المؤمنين، فلا معنى لاستثنائهم منهم، وقال بعضهم: إن معنى إِلَّا هنا العطف (**) ، ولعل الأفضل أن يقال: بل الاستثناء متصل، ولكن المستثنى منه محذوف بدليل الاستثناء ذاته، أي إنَّ الإنسان أنَّى كان، مبشر بعذاب أليم إلا المؤمنون.﴿ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾))(١) .

وقد ذكر السمين الحلبي ت(٧٥٦هـ) الرأيين من دون أن يُرجح أحدهما ، بل وجوزهما، فيقول: ((يجوز أن يكون متصلاً وان يكون منقطعاً . هذا اذا كانت الجملة من قوله : (**لهم أجرٌ**) مستأنفة أو حالية. أما اذا كان الموصول مبتدأ ، والجملة خبره ، فالاستثناء ليس من قبيل استثناء المفردات ، ويكون من قسم القطع ، أي : لكن الذين آمنوا كيت وكيت))(٢) .

وقد رجح السيد المدرسي الرأي القائل بالاتصال والمستثنى منه محذوف ، وقد أفادت العموم ، أي أن كل انسان مبشر بالعذاب باستثناء المؤمنين منهم ، وهذا ما تنبه له السيد المدرسي ، وهي إشارة رائعة مستنبطة من سياق الآية كلها .

(*) هذا رأي الزمخشري ، يُنظر : الكشاف : ج٦ : ص٣٤٥ .

(**) لم أقف على هذا الرأي .

(١) من هدى القرآن : ج١٢ : ص١١٤ .

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ج١٠ : ص٧٤١ .

الفصل الثالث

المبحث الثاني

الإطناب

أشكاله

وفوائده البلاغية

المبحث الثاني

الإطناب
أشكاله وفوائده البلاغية

مـدخـل :

الكلام في اللغة العربية لا يخلو من أحد هذه المباحث البلاغية ، حسب الحال الذي يقتضي الكلام الوارد وقت التكلم ، والذي يحدد هذه الأساليب هو ما أطلق عليه السكاكي ت(٦٢٦هـ) ((متعارف الأوساط))(١) ، وبيَّن أن ((الإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط، والإطناب هو أداؤه بأكثر من عباراته، سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل، أو إلى غير الجمل...))(٢)، وقد صاغ القزويني ت(٧٣٩هـ) هذا المعنى بلفظ أكثر إيضاحاً في تعليقه على كلام السكاكي، فيقول : ((الأقرب أن يُقال : المقبول من طرق التعبير عن المعنى هو تأدية أصل المراد بلفظٍ مساوٍ له، أو ناقص عنه وافٍ ، أو زائد عليه لفائدة .... وقولنا : (وافٍ) إحتراز عن الإخلال، وهو أن يكون اللفظ قاصراً عن أداء المعنى .... وقولنا : (لفائدة) احتراز من شيئين: أحدهما التطويل: وهو أن يتعين الزائد في الكلام ... ، وثانيهما : ما يشتمل على الحشو، والحشو ما يتعين أنه زائد....))(٣) .

وقد ورد في السياقات اللغوية تطويل في الكلام لغرض ما ، قصده المتكلم للوصول إلى توضيح مراده منها ، وقد عُني البلاغيون في هذا اللون من ألوان الخطاب وجعلوا له مباحث في البلاغة العربية، ولا تكاد تجد كتاباً في البلاغة لا يحمل بين طياته هذا اللون ، وما يهمنا هو وجود هذا اللون في تفسير من هدى القرآن ، وسنأتي على وجوده فيه ، بعد إن نعرفه ونوضح أشكاله ان شاء الله تعالى.

الإطناب في اللغة :

مأخوذ من : أطنب في المكان إذا طال المقام فيه (٤) ،((وهو البلاغة في المنطق والوصف مدحاً كان أو ذمَّاً ، وأطنب في الكلام : بالغ فيه ، وأطنب في الوصف : بالغ واجتهد))(٥) ، فهو من الإطالة والتكثير.

الإطناب في الإصطلاح :

لم يختلف المعنى الإصطلاحي للإطناب عن المعنى اللغوي كثيراً ، إلا ان الإختلاف بينهما ، اختلاف

---

(١) مفتاح العلوم : ص١٣٣ .

(٢) المصدر نفسه : ص١٣٣ ، يُنظر : الإيضاح : ج١ : ص١٧٦ ، الطراز : ص٥٤٧ .

(٣) الإيضاح : ج١ : ص١٧٧ ـ ١٧٨ .

(٤) يُنظر : كتاب العين مادة (طنب) : ج٧ : ص٤٣٨ .

(٥) لسان العرب مادة (طنب) : ج٨ : ص٢٠٦ .

بين الخاص والعام ، فالإطناب في اللغة يكون عاماً في كل شيء ورد فيه التطويل والإكثار ، وفي الإصطلاح : يختص في الخطاب ،وهو من اقدم الفنون البلاغية التي تحدث عنه أصحاب البلاغة ، حيث نجد الإشارة إليه عند الجاحظ ت(٢٥٥هـ) ، فيقول عنه : ((الإيجاز في غير عجز ، والإطناب في غير خطل))(١) ، وأشار إلى ان بعض المواضع تحتاج إلى الإطناب ، فيقول : ((وقد بَقيَتْ ـ أبقاك الله ـ أبواب توجب الإطالة وتحوج إلى الإطناب، وليس بإطالة ما لم يجاوز مقدار الحاجة، ووقف عن منتهى البغية))(٢)، فعنده الإطالة والإطناب مترادفان، ويقابلان الإيجاز، فيعني الإطناب عنده : كل كلام يتجاوز مقدار الحاجة، ولم يقف عند نهاية البغية ، مما نجد إشارة منه إلى المعنى الإصطلاحي للإطناب (٣) ، ونستطيع القول : أن هذا التعريف هو أول تعريف للإطناب في الإصطلاح. كما نجد الإشارة للإطناب عند المبرد ت(٢٨٥هـ) ، فيقول : ((من الكلام : الإختصار المُفْهِم ، والإطناب المفخَّم))(٤) ، ولعلَّ أوضح تعريف للإطناب هو تعريف الرماني له ت(٣٨٦هـ) ، فيقول : ((فأما الإطناب ، فإنَّما يكون في تفصيل المعنى ، وما يتعلق به في المواضع التي يحسن فيها ذكر التفصيل))(٥) ، وقد فرَّق بين الإطناب والتطويل ، في أن الإطناب هو أحد الطرق في توصيل المعنى ، والتطويل عيب في الكلام (٦) ، وكذلك نجد هذا التفريق عند ابي هلال العسكري ت(٣٩٥هـ)، فيرى أن الإطناب : هو بلاغة ، يسلكها المتكلم لفائدة ، والتطويل : عيّ يبتعد المعنى فيه (٧) ، والإطناب عند ابن الأثير ت(٦٣٧هـ) : ((زيادة المعنى على اللفظ لفائدة))(٨)، وإلى هذا المعنى ذهب علماء البلاغة المتأخرون(٩)، وتبعهم المحدثون(١٠)، اذ يرى الدكتور محمد حسين الصغير،

---

(١) البيان والتبيين : ج١ : ص٦٧ .

(٢) الحيوان ، الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر ، ت(٢٥٥هـ)، تحقيق : عبد السّلام هارون ، دار الجيل ، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م : ج١ : ص٦ـ ٧ ، يُنظر : البلاغة عند الجاحظ ، د. أحمد مطلوب ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م : ص٨٠ .

(٣) يُنظر : علم المعاني في كتاب الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (رسالة) ، ريان جبار صالح البرزنجي ، كلية التربية للبنات ، جامعة تكريت ، ٢٠١٣م : ص٢٠٩ ، بلاغة الإطناب ، دراسةٌ تطبيقية في القرآن الكريم (رسالة) ، شكر محمود مهوس الجبوري ، جامعة تكريت ، كلية التربية للبنات ،١٤٢٠هـ -١٩٩٠م : ص٧ .

(٤) الكامل في اللغة والأدب ، المُبرِّد أبو العباس محمد بن يزيد، ت(٢٨٥هـ)، تحقيق : د. محمد أحمد الداني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٣ ،١٤١٨ هـ -١٩٩٧م :ج١ : ص٤٠ .

(٥) النكت في إعجاز القرآن : ص٧٢ .

(٦) يُنظر : المصدر نفسه : ص٧٢ .

(٧) يُنظر : كتاب الصناعتين : ص١٩١ .

(٨) المثل السائر : ج٢ : ص١٢٠ .

(٩) يُنظر : الإيضاح : ص١٧ ، الطراز : ج٣ : ص١١٧ .

(١٠) يُنظر : علم المعاني ، بسيوني : ج٢ : ص٢٥١ ، البلاغة العالية : ص١١٨ ، البلاغة في سؤال وجواب : ص١٦٢، جمالية التركيب اللغوي : ص٨٢ .

أن وضع الألفاظ في موضعها الذي يقتضيها ، من البيان بحسب الخطاب هو البلاغة سواء أكان فيه تطويل ليكون إطناباً ، او اختصار ليكون إيجازاً (١) .

الإطناب عند السيد المدرسي :

لم يذكر السيد المدرسي تعريفاً صريحاً للإطناب باللفظ ، وإنما يسميه ((الإسهاب : وهو من الخطابات الرائعة التي جاء بها القرآن الكريم من خلال تفصيلاته للأحكام الشرعية ، وبعض القصص القرآنية وغيرها من الموارد التي تقتضي الإسهاب في دقائقها))(٢) ، وقد تناول السيد المدرسي هذا اللون في تفسيره من خلال تلمسه الأغراض البلاغية التي أفادها الإطناب ، وسنذكرها مفصلاً ان شاء الله تعالى.

أشكال الإطناب في تفسير من هدى القرآن :

ورد الإطناب في تفسير من هدى القرآن بأشكال كثيرة ، منها :

١ـ التـــكـــرار :

جاء التكرار في القرآن الكريم كثيراً لفائدة يقتضيها السياق القرآني، ويتلمسها صاحب الحس البلاغي المرهف ، وقد تلمس السيد المدرسي هذه الفائدة في تفسيره لآيات القرآن الكريم ، فمن الأغراض التي جاء بها التكرار :

أ ـ التأكيد :

ورد التكرار في بعض الآيات القرآنية لغرض التأكيد ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المرسلات (١٥)] ، يقول السيد المدرسي في تكريرها في السورة المباركة: ((بتكرار آية: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ يظهر أنها المحور الرئيس للسورة الكريمة ، التي تهدف - فيما يبدو تأكيد وعد الله الواقع في أن الويلَ للمكذبين به . فبعد القسم بالمرسلات والناشرات يؤكد ربنا أن وعده تعالى واقع لا محالة))(٣)، فقد بين السيد المدرسي سرَّ التكرار للآية المباركة في نفس السور الشريفة ، وهو التأكيد على أن وعد الله سيُنفذ لا محالة .

و ذهب ابن عطية ت(٥٤٦هـ) إلى هذا المعنى في تفسيره لهذه الآية المباركة ، فيقول : ((وأما

---

(١) يُنظر : علم المعاني بين الأصل النحوي والموروث البلاغي ، د.محمد حسين الصغير ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، ١٩٨٩م : ص١٠٤ ـ١٠٥ .

(٢) اجابة السيد المدرسي لسؤال الباحث: ما هو رأيكم في الإطناب الوارد في القرآن الكريم ؟ ، وقد أجاب السيد المدرسي بما اوردناه من معنى . اللقاء في مسجد الإمام موسى الكاظم "عليه السلام" ، كربلاء المقدسة ، برفقة الأستاذ المشرف ، في يوم الأربعاء ، الموافق ٢٠١٦/١٠/١٨ .

(٣) من هدى القرآن : ج١١ : ص٤٢٧ .

التكرار لقوله تعالى في هذه السورة : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ فقيل : ذلك بمعنى التأكيد فقط، وقيل : بل في كل آية منها ما يقتضي التصديق ، فجاء الوعيد على التكذيب يؤكد الذي في الآية))(١) ، في حين أن الزمخشري ت(٥٣٨هـ) وأبا حيان الأندلسي ت(٧٤٥هـ) كان تفسيرهما منصبَّاً في بيان معنى (ويل) ولم يُشيرا إلى التكرار الآية في السورة المباركة (٢). وذكر السمين الحلبي ت(٧٥٦هـ) رأيهما ووافقهما فيه(٣). إذن : جاء رأي السيد المدرسي موافقاً لرأي ابن عطية بأن تكرار الآية أريد منه التأكيد .

ومن الآيات التي ورد فيها التكرار لغرض التأكيد ، هو ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور(٥٩)]، فقد تكررت جملة ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ مع الآية التي سبقتها ، ويقول السيد المدرسي في سبب التكرار : ((﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ وهذا التكرار تأكيد على أهمية هذه الأوامر الإلهية، وأنها ذات أثر عميق في المجتمع، وان لم يستطع الإنسان الإحاطة علما بجميع أبعادها، وآثارها الآنية، والمستقبلية، لقلة علمه وضعف عقله، مما يجعله يستهين بها، فلا يبذل جهدا للالتزام بها وتطبيقها بدقة.))(٤) ، فقد تنبه السيد المدرسي إلى تكرار هذا الجزء من الآية في آيتين كريمتين، وأشار إلى المغزى البلاغي منه ، ألا وهو التأكيد على تبيان الأحكام .

ولم يُشر الزمخشري ت(٥٣٨هـ) وأبو حيان الأندلسي ت(٧٤٥هـ) والسيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) إلى الغرض البلاغي من هذا التكرار (٥) . وقد ذكر السيد المدرسي مواضع أخرى للتكرار لغرض التأكيد(٦) ، لكننا نكتفي بهذا القدر كنموذج لا للحصر .

ب ـ الجزاء :

يأتي التكرار في القرآن الكريم ليفيد غرض الجزاء ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ

---

(١) المحرر الوجيز : ج٨ : ص٥٠٥ .

(٢) يُنظر : الكشاف : ج٦ : ص٢٨٧ ، البحر المحيط : ج٨ : ص٣٩٨ .

(٣) يُنظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ج١٠ : ص٦٣٣ .

(٤) من هدى القرآن : ج٦ : ص٧٩ .

(٥) يُنظر : الكشاف : ج٤ : ص٣٢١ ، البحر المحيط : ج٦ : ص٤٣٣ ، الميزان في تفسير القرآن : ج١٥ : ص١٤٨ .

(٦) يُنظر : من هدى القرآن : ج١١ : ص٣٥٣ ، ج١٢ : ص٣٨٩ .

﴿ عَدّا ﴾ [مريم(٩٤)] ، يقول السيد المدرسي في تكرار معنى الإحصاء : ((ولعلَّ تكرار الآية بمعنى الإحصاء ثلاث مرات أَحْصَاهُمْ- وَعَدَّهُمْ- عَدّاً يعني أنه لا يمكن أن يفلت من حساب الله شخص أبداً لا صغير ولا كبير، ولا غني ولا فقير، فكلهم سيحاسبهم ويجازيهم بما قدموا من أعمال في حياتهم الدنيا))(١) ، فقد رأى السيد المدرسي أن تكرار المعنى ههنا أفاد الجزاء .

وقد ذهب أبو حيان الأندلسي ت(٧٤٥هـ) إلى هذا المعنى في تفسيره لهذه الآية المباركة، فيقول:((...وقيل: نعد أعمالهم لنجازيهم ... وتضمن العد والإحصاء معنى المجازاة))(٢) ، إذ وافق السيد المدرسي أبا حيان الأندلسي في أن التكرار في هذه الآية المباركة أفاد معنى الجزاء .

وجاء التكرار لغرض الجزاء في قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المرسلات(٣٤)] ، يقول السيد المدرسي في تكرارها مرة أخرى : ((وهذه الألوان من العذاب هي بعض ما يلقاه المكذبون من الويل في الآخرة، والذي يشير إليه القرآن بتكرار الآية الكريمة: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ومن ويلاتهم يوم الفصل أنهم تُسلب حرياتهم التي طالما أساؤوا استخدامها وفهمها في الدنيا، إلى حد لا يستطيعون النطق، ولا يؤذن لهم من قبل الله عز وجل. ولعل ذلك جزاء إطلاقهم العنان لأنفسهم في الأهواء والشهوات، وعدم التزامهم بحدود الله وشرائعه))(٣) ،ورأي السيد المدرسي ههنا يبين فيه أن التكرار أكثر من مرة سيكون له أكثر من غرض، كما وجدنا في غرض التأكيد وهذا للجزاء. وهذا الرأي خاص به في تكرار هذا الآية المباركة ، حيث لم نجد في التفاسير الأخرى سوى معنى واحد ، كما ذكرنا في غرض التأكيد .

ج ـ للتذكرة وبيان الفارق :

من التكرار الوارد في السياقات القرآنية يأتي لتذكرنا وترشدنا إلى معنى التكرار ، وكذلك لبيان الفارق ، وقد جاء في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [النمل(٤٥)] ، إذ تكررت هذه القصة في القرآن الكريم في أكثر من موضع ، وفي تفسيرها يقول السيد المدرسي : ((ويكرر الذكر الحكيم قصص المرسلين للتذكرة بهذا الأمر. أما الهدف الخاص من تكرار القصص القرآنية فهو تبيان الفارق بين النور الإلهي الهابط من عند الله باسم الرسالة، وبين الثقافة الأرضية

---

(١) من هدى القرآن : ج٥ : ص١٧٣ .

(٢) البحر المحيط : ج٦ : ص٢٠٣ .

(٣) من هدى القرآن : ج١١ : ص٤٤٤ .

الموغلة في وحل الشهوات والأهواء))(١) ، وهذه الإشارة خاصة برأي السيد المدرسي ، حيث لم يُشر من كان قبله (٢) إلى معنى التكرار في هذه القصص ، وما المغزى منه ، فقد تنبه السيد المدرسي إلى معنى التكرار ههنا ، وقد أصاب .

د ـ التكرار لبيان الأهمية :

جاء التكرار في بعض السياقات ليفيد بيان أهمية الموضوع ، ومنه ما جاء في تكرار قصة نبي الله نوح ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً ﴾ [العنكبوت(١٤)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((ثم يذكرنا الرب- مرة أخرى- بقصة نوح فإبراهيم، ويعود السؤال إلى أذهاننا: لماذا هذا التكرار؟ ونقول: إن الحوادث التي خلدها القرآن كانت ذات أهمية قصوى ، فليست حادثة الطوفان ، أو مجمل قصص إبراهيم وسائر المسلمين هينة نسمعها مرة و نمضي عنها، لا بد أن تحفر في قلوبنا، وتتحول إلى وعي إيماني عميق، يسمو بالبشرية أبدا إلى التكامل المعنوي، وهكذا يكرر الذكر هذه الظواهر المرة تلو الأخرى، ويعتصر منها عبرها وآياتها وحكمها، ويلعن الظالمين ليصبحوا عبرة، ويكرم أنبياءه الكرام ليصبحوا أئمة و هداة))(٣) ، اذ تنبه السيد المدرسي في تكرار القصة ههنا وهي لبيان أهميتها القصوى ، ومدى تأثيرها في الحياة الاجتماعية للناس.

في حين يرى الزمخشري ت(٥٣٨هـ) أن تكرار هذه القصة جاء تسلية لنفس رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " ، وذلك في قوله : ((... إن القصة مسوقة لذكر ما ابتُلي به نوح " عليه السلام" من أمته .... تسلية لرسول الله " صلى الله عليه [وآله] وسلم " وتثبيتاً له ... لأن تكرير اللفظ الواحد في المكان الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة))(٤) ، وقد وافقه أبو حيان الأندلسي ت(٧٤٥هـ) في عبارته مع تصرف بسيط (٥) ، لكن معنى الأهمية أقرب للسياق القرآني لأن القصص القرآنية تكررت في أكثر من موضع كقصة موسى "عليه السلام" أو قصة نبي الله إبراهيم " عليه السلام " وغيرها من القصص ، وقد أوضح السيد المدرسي ((إنّ تكرار القصة في مواضع متعددة يشعر بأهميتها، ويلفت النظر إلى ضرورة التفكر فيها ودراستها جيداً، ومن ثم الاقتداء

---

(١) من هدى القرآن : ج٦ : ص٢٧٥ .

(٢) يُنظر : على سبيل المثال لا الحصر ، الكشاف : ج٤ : ص٤٥٩ ، البحر المحيط : ج٧ : ص٧٨ ، الميزان في تفسير القرآن : ج١٥ : ص٣٣٥ .

(٣) من هدى القرآن : ج٦ : ص٤٠٦ .

(٤) الكشاف : ج٤ : ص٥٤٠ .

(٥) يُنظر : البحر المحيط : ج٧ : ص١٤٠ .

بأخلاق الأنبياء ومواقفهم فيها))(١) فإن القصة لا تُذكر جملة واحدة وإنما حسب المراد من المقام اللازم لنزول ما يناسبه فيه ، فالمقام وأهمية الموضوع اقرب من التسلية في تكرار هذه القصة هنا.

هـ ـ الوعيد :

كثيراً ما يأتي التكرار في القسم للتأكيد على الوعيد بأنه واقع لا محالة ، ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۞ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴾ [الذاريات(١-٢)] ، يقول السيد المدرسي في تكرار القسم في هذا السورة المباركة ، بدأ من هاتين الآيتين : ((هكذا تتواصل آيات الكتاب المبين ببلاغة معجزة وفي أيمان متلاحقة لتبصرنا بأن الوعيد حق والجزاء واقع لا ريب فيه، وهذه من أبرز غايات القسم في آيات الذكر الذي سوف نجده بتكرار في فواتح السور الآنية، وسوف نذكر- كما ذكرنا مرارا- بغاياته المتنوعة))(٢) ، اذ أشار السيد المدرسي إلى تعدد القسم والغرض منه في القرآن الكريم ، وذلك لكي يرتدع الإنسان عن غيِّه والالتفات إلى حاله ، وترك ملذات الدنيا ، لأن الذي أقسم هو جبار السماوات والأرض ، فلا يُخلف وعيده.

ولم يُشر الزمخشري ت(٥٣٨هـ) وابن عطية ت(٥٤٦هـ) وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) إلى تكرار القسم وما هو المغزى منه بلاغيَّاً (٣) ، وبهذا قد تنبه السيد المدرسي إلى الغرض البلاغي الذي استدعى توالي الأقسام في هذه السورة ، وهو التأكيد على الوعيد .

و ـ التكرار للتثبيت :

في بعض الآيات القرآنية تتكرر كلمة يراد منها تثبيتها في قلوب الناس ، ومنها ما جاء في تكرار كلمة التقوى في اكثر من مرة في سورة الشعراء ، فيشير إلى تكرارها السيد المدرسي في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء(١٤٢)] ، فيقول : ((و التقوى هنا الحذر من العذاب الذي يتوقع نزوله بسبب فسادهم في الأرض . ولعل تكرار استخدام هذه الكلمة في هذه السورة يهدف زرع نبتة التقوى في القلب، إذ إن السياق يربط بين هلاك القوم بذنوبهم وبين أعمالهم، لعل التالي للذكر- أنا وأنت- يزداد إيمانا بهذه الحقيقة: إن الجزاء سيتبع العمل، فلا يختار عملا سيئاً مهما كان صغيرا، ذلك أن سنة الله واحدة في الحقائق الكبيرة والصغيرة، فالنار هي النار، طبيعتها واحدة في قليلها وكثيرها))(٤) ، وهذه الالتفاتة لم

---

(١) من هدى القرآن : ج٥ : ص٣١٦ .

(٢) المصدر نفسه : ج٩ : ص٤٠١ .

(٣) يُنظر : الكشاف : ج٥ : ص٦٠٩ ، المحرر الوجيز : ج٨ : ص٦٢ ، البحر المحيط : ج٨ : ص١٣٣ .

(٤) من هدى القرآن : ج٦ : ص٢١٤ .

نجدها عند غيره في تفسير هذه الآية المباركة (١) ، فقد تنبه السيد المدرسي إلى التكرار ههنا وغرضه البلاغي ألا وهو تثبيت التقوى في القلوب ، مما ينم عن حسه البلاغي المرهف من خلال تفسيره لآيات الذكر الحكيم . وقد أشار السيد المدرسي إلى أغراض أخرى يأتي بها التكرار مثل: الكشف، بيان المسؤولية، الإكراه(٢) وغيرها ، وما ذكرته نماذج لا للحصر .

٢ـ توضيح بعد إبهام :

وكذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف(١١١)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها: ((... وهكذا آيات القرآن إشارات واضحة إلى ما في الكون ذاته من حقائق. ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ إنما القرآن يفصل الحقائق التي يراها الفرد بإبهام ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يعرفهم بحقيقة الأشياء ويوفر لهم النعم بهذه المعرفة))(٣) ، فقد تنبه السيد المدرسي إلى أن الجزء الأخير من الآية أفاد التوضيح بعد ان كان باعتقادهم ، أن الحديث مفترى ومبهم ، فقد اتضح لهم خلاف اعتقادهم .

وقد أشار الفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) إلى هذا المعنى بإشارة بسيطة ، وذلك في تفسيره الآية المباركة، فيقول : ((اعلم ان الإعتبار عبارة عن العبور من طرف المعلوم إلى طرف المجهول ، والمراد منه التأمل والتفكر ، والاعتبار بقصصهم ..))(٤) ، وفي هذا القول نلمس أنه يقصد العبور بواسطة المعلوم (الواضح) إلى معرفة المجهول (المبهم) ، لكن كانت عبارة السيد المدرسي أكثر وضوحاً وأصوب للمعنى بجلي الألفاظ ، فكانت التفاتة منه موفقة .

ولم يتطرق غير الرازي والسيد المدرسي إلى اللمسة البلاغية في هذه الآية كما تتبعناها عند الثعلبي ت(٤٢٧هـ) والزمخشري ت(٥٣٨هـ) وأبي حيان ت(٧٤٥هـ) (٥) على سبيل المثال ، فالإطناب الذي جاء بهذه الآية أريد منه التوضيح بعد الإبهام .

---

(١) يُنظر : الكشاف : ج٤ : ص٤٠٨ ، المحرر الوجيز : ج٦ : ص٤٩٩ ، البحر المحيط : ج٧ :ص٣٣ ، الميزان في تفسير القرآن : ج١٥ : ص٢٧٤ .

(٢) يُنظر : من هدى القرآن : ج٥ : ص١٤٨ ، ج٦ : ص٢١٤ ، ج٨ : ص١٢٨ ، ج١٠ : ص١٨ ، ج١١ : ص١٩٩، ص٢٥٦ ، ص٢٧٦ .

(٣) من هدى القرآن : ج٤ : ص١٦٧ .

(٤) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ج١٨ : ص٢٣٢ .

(٥) يُنظر : الكشف والبيان : ج٥ : ص٢٦٦ ، الكشاف : ج٣ : ص٣٣١ ، البحر المحيط : ج٥ : ص٣٤٩ .

وقد ذكر السيد المدرسي التوضيح بعد الإبهام في مواطن متعددة (١) ، وما ذكرناه نماذج من ذلك وليست للحصر .

٣ـ الإعتراض : من أشكال الإطناب التي وردت في القرآن الكريم هو الإعتراض، والمقصود به : هو ان جملة اعتراضية تدخل بين سياق متواصل ، بحيث إذا رُفعت هذه الجملة لا يُشار إلى خلل في السياق

وهذه الجملة إنما تأتي في السياق القرآني لغرض بلاغي يريد السياقُ تبيانه ، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ . . وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ . . . ﴾ [الأحزاب(٣٣ـ٣٤)] ، يقول السيد المدرسي في مجيء آية التطهير في سياق الكلام عن نساء النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " : ((جملة اعتراضية بين ما سبق من الآية وما قبلها وبين الآية التالية لعودة الخطاب للمؤنث: ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ . . ﴾ ، ولعل الحكمة في سوقها جملة اعتراضية هو بيان المقابلة لتأكيد استحقاق البيت الطاهر مقام تمثيل الرسول " صلى الله عليه واله " ، وربما أيضا أن الحكمة المتمثلة في تنقية ما حول الرسول من كل شائبة التي مرّ بيانها سابقا هي هنا مطلوبة لإمتداده "صلى الله عليه واله " الطاهر أيضا))(٢) ، فقد أفادت الجملة الإعتراضية الواردة في داخل سياق الكلام القرآني الذي كان يتحدث عن نساء النبي (بنون النسوة) أريد منه بيان المقابلة ، وللتأكيد على أن هذا البيت يختلف عن بيوت نساء النبي والدليل إفراده وجمع بيوت نساء النبي ، فضلاً عن تحول الخطاب من نون النسوة إلى ميم الجمع ، فالإطناب في الإعتراض ههنا جاء لحكمة بلاغية بينها السياق المقدس.

ولم يُصرح احدٌ بأن هذه الجملة اعتراضية (٣) ، سوى السيد المدرسي ، فهذا الرأي خاص به وهو رأي غاية بالروعة ، والباحث يؤيد اعتراضيتها ، والغرض منها أنها اعتراضية جاءت هنا ، للفت النظر إلى أهل البيت ، والسؤال عنهم : من هم ؟ وبيان المقابلة بينهم وبين النسوة اللواتي جاءت الآيات مهددة لهن ، وفي المقابل تكريم أهل البيت بدفع الرجس عنهم ، وكذلك مجيء حرف المعنى (عن) الذي يفيد المجاوزة فقال : (عنكم) بدلاً من حرف المعنى (من) أي : لم يقل : (منكم) ، وهذا يدل على الدفع لا الرفع ، لذا كانت التفاتة السيد المدرسي التفاتة لم يسبقه بها أحد ، ولعلَّ المفسرين السابقين كانوا منتبهين لذلك ، لكن لو قالوا بإعتراضيتها لألزمهم ذلك، الإعتراف بعدم دخول نساء النبي "صلى الله عليه وآله " في هذا البيت الذي أُذهِبَ عنه الرجس وطُهِّرَ تطهيراً.

٤ـ الزيادة :في السياقات القرآنية المباركة تأتي أبعاض آيات يفسرها المفسرون بالزائدة ، لكن لم تكن كذلك ، إذ إنَّنا ((نميل ألا ننسب الزيادة إلى كلام ربنا، وبعبارة أن ما درج عليه النحاة من اعتبار

---

(١) يُنظر : من هدى القرآن : ج٢ : ص٢١٠ ، ج٧ : ص١٤٥ .

(٢) من هدى القرآن : ج٧ : ص١٩٩ .

(٣) يُنظر : الكشاف : ج٥ : ص٦٧ ، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ج٢٥ : ص٢١١ ، البحر المحيط : ج٧ : ص٢٢٥، الميزان في تفسير القرآن : ج١٦ : ص٢٨٠ ، وغيرها .

الزيادة قد يصح نحوياً لا دلالياً. اللهم إلا التي تكون للتأكيد))(١) ، وإلا لا زيادة في القرآن من (الباء) إلى (الميم)(٢) ، ومن الآيات التي وردت وظُنَّ أنها فيها زيادة ،قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى(١١)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((التفت بعض المفسرين إلى معنى المثل الذي يختلف ظلاله عن كلمة (ند) أو شبه و مساوي وشكل، حيث إن ظلال كلمة المثل توحي بجانب القيم و الصفات والأسماء، بينما ظلال الند توحي بالتشابه في الجوهر، وظلال (الشبه) توحي بالتماثل في الكيفية، أما كلمة (المساوي) فتوحي بالتشابه في الكمية، وإيحاء (الشكل) هو التماثل في المساحة. فإذا قلنا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ﴾ أي لا يشابه صفاته وأسماءه أحد، فالكاف بمعنى التشبيه، والمثل بمعنى مجمل الصفات والأسماء، والله العالم))(٣)، فقد نفى السيد المدرسي الزيادة في القرآن جملة وتفصيلاً ، فلكل حرف في القرآن الكريم دلالة أريد لها ان تأخذ مداها اللغوي ، فهو يرى أن (مثل) هو اسم يدل على القيم والصفات والأسماء ، و(الكاف) حرف بمعنى تشبيه.

وإلى هذا المعنى ذهب أبو حيان ت(٧٤٥هـ) في تفسيره الآية المباركة ، فيقول : ((المثل كناية عن الذات في من لا مثل له ، ويحتمل أيضا أن يراد بالمثل الصفة وذلك سائغ يطلق المثل بمعنى المثل وهو الصفة ، فيكون المعنى : ليس مثل صفته تعالى شيء من الصفات التي لغيره))(٤) ، ثم ينقل أبو حيان عن ابن قتيبة ت(٢٧٦ هـ) أن ((العرب تقيم المثل مقام النفس))(٥) ، وهذا القول أيضا يُعضد ما ذهب إليه السيد المدرسي .

لكن الزمخشري ت(٥٣٨هـ) يذكر رأيين يرى أن كلاهما صالح ، أحدهما : ما ذهب إليه أبو حيان والسيد المدرسي (٦) ، والآخر : إلى أن (الكاف) و(المثل) كلاهما يراد منهما التشبيه ، وذلك في قوله : ((ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كررت للتأكيد ، كما كررها من قال : **وصالياتٍ ككما يُؤثَفَيْن**))(٧)، فهو يرى ان الكاف والمثل بمعنى واحد كلاهما يراد منه التشبيه ، لكن الأول اقرب للصواب .

---

(١) من هدى القرآن : ج٨ : ص٣٥٦ .

(٢) تعني : من بداية البسملة إلى آخر التصديق .

(٣) من هدى القرآن : ج٨ : ص٣٥٦ .

(٤) البحر المحيط : ج٧ : ص٤٨٩ .

(٥) المصدر نفسه : ج٧ : ص٤٨٩ .

(٦) الكشاف : ج٥ : ص٣٩٨ .

(٧) المصدر نفسه : ج٥ : ص٣٩٨ .

في حين ذهب السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) إلى أن (الكاف) زائدة ، وذلك في قوله : ((فالكاف زائدة للتأكيد وله نظائر كثيرة في كلام العرب))(١) . وهذا الرأي بعيد كل البعد عن السياق ، لأن الكاف ههنا للتشبيه والمثل بمعنى ند ، فما ذهب إليه الزمخشري في رأيه الأول ، وأبو حيان الاندلسي والسيد المدرسي أقرب .

وكذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر(١)] ، فقد جاءت كلمة (اقتربت) مزيدة، ولم يقل تعالى : (قَرُبتْ) ، فيقول السيد المدرسي في هذه الزيادة الحاصلة بالفعل : ((وربنا لم يقل (قربت) بل قال: **"اقْتَرَبَتْ"** وهذه الزيادة التي لحقت الفعل سببها دخوله في باب الافتعال الدال على بذل المزيد من القوة والجهد، كما يدل قولنا: اكتسب على استعمال القوة في الحصول على الرزق، فالساعة تمر بمخاض عسير، لأن حدوثها يقترن بتغييرات هائلة))(٢) ، فهذه الزيادة في بنية الفعل لا يمكن أن تُعدُ زيادة بلا طائل وإنما أريد منها بذل المزيد من الجهد والقوة ، فقد تنبه السيد المدرسي إلى ذلك المعنى المراد من الآية الشريفة من خلال السياق الواردة فيه .

و المفسرون السابقون لم يولوا هذه الزيادة عناية لبيانها بالفعل ، سوى أنهم أشاروا إلى أن (اقترب) أبلغ من (قرب) (٣) ، مما يُدلل على أن السيد المدرسي قد تنبه إلى هذه الزيادة ، واكتشف دلالتها وسرها الصرفي والبلاغي .

وكذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة (١-٢)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((أما في القسم المنفي فإن أكثر المفسرين على أن (لا) في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا أُقْسِمُ** ﴾ زائدة، و أن التقدير: ﴿ **أُقْسِمُ** ﴾. بيد أنهم لم يذكروا لهذه الزيادة وجها معقولا. والذي يقطع التأوُّل المُتَكَلَّف؛ أن الزيادة في الدلالة لا معنى لها في كلام الحكيم. ومع أن النظام النحوي يفترض الزيادة لكنها زيادة نحوية لا دلالية، بل إن هذا الافتراض إنما يكون مع تباين النحو الإعرابي عن النحو الدلالي. فـ(لا) هذه على حالها بلا تكلف نافية، وتأتي في معرض نفي القسم))(٤) ، فيرى السيد المدرسي أن هنا (لا) ليست زائدة وإنَّما جاءت لنفي القسم لأمرين مهمين هما :

١ـ اجلالاً لقدر المقسم به ، أي ان قدر المقسم به أعظم من القسم .

---

(١) الميزان في تفسير القرآن : ج١٨ : ص٢٤ .

(٢) من هدى القرآن : ج١٠ : ص٨٣ .

(٣) يُنظر : الكشاف : ج٥ : ص٦٥٤ ، المحرر الوجيز : ج٨ : ص١٣٦ ، الكشف والبيان : ج٩ : ص١٦٠ ، الميزان في تفسير القرآن : ج١٩ : ص٥٢ .

(٤) من هدى القرآن : ج١١ : ص٣٨٦ .

٢ـ إنّ المقسم به واضح لا يحتاج إلى قسم لذلك جاء القسم منفياً (١) .

فلا يوجد زيادة في الآية المباركة ، وانما كانت (لا) لنفي الحاجة إلى القسم .

وقد دافع الزمخشري ت(٥٣٨هـ) عن زيادتها دفاعاً شديداً واستدل في دفاعه بقول إمرئ القيس، فيقول : ((فلا وابيك ابنة العامريْ ي لا يدعي القوم أني أفر

.. واعترضوا عليه بأنها انما تزاد في وسط الكلام لا في اوله ، فأجابوا بأن القرآن بحكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض ، الإعتراض صحيح .... لكن الجواب غير سديد ، الا ترى إلى إمرئ القيس كيف زادها في أول قصيدته . والوجه أن يُقال : هي للنفي . والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشيء الا إعظاماً له...))(٢) ، وإلى ذلك ايضاً يذهب الثعلبي ت(٤٢٧هـ) من قبل وأبو حيان الأندلسي ت(٧٤٥هـ) في تفسيرهما الآية المباركة (٣) ، والغريب في أقوال المفسرين السابقين أنهم يستدلون على القرآن الكريم بالشعر ، متناسين أنه [يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره] وأكثر الشعر هو خارج القاعدة النحوية التي وضعها النحاة ، وكأن الشعر هو الحاكم على الكلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فكلام المفسرين المذكورين مردودٌ من خلال :

١ـ القرآن كلام الله ولا يوجد حاكم عليه لا من الشعر ولا من النثر .

٢ـ لا يمكن لَيّ الآية القرآنية لتوافق القاعدة النحوية ، وانما السياق القرآني معيار للتوجيه النحوي.

٣ـ كثير من الآيات القرآنية عجز أهل اللغة أن يضعوا لها قاعدة وصاروا يضعون أشعاراً وينسبونها إلى مجاهيل ، خوفاً على قاعدتهم التي وضعوها .

٤ـ كثيراً ما أبعد الله تعالى كلامه عن الشعر ، لأن الشاعر يقول ما يدور في خلده دون مراعاة النظم الاجتماعية والدينية والأخلاقية والقوانين الوضعية .

٥ـ كم من الأشعار قالوا : أنها على لهجة كذا ؟ وخرَّجوا لها ما لا يقصده الشاعر أصلاً .

٦ـ القرآن الكريم لا يمكن أن يخضع لأيِّ كلام بشري ، وعلينا أن نجعل القرآن إماماً لنا نقوِّم به ألسنتنا .

فما جاء به السيد المدرسي هو القول الصائب ، فـ (لا) نافية نفت الحاجة إلى القسم ، لأن المقسم لأجله أعظم ، وهذا الرأي خاص به والباحث يوافقه .

---

(١) يُنظر : من هدى القرآن : ج١١ : ص٣٨٦ .

(٢) الكشاف : ج٦ : ص٢٦٦ .

(٣) يُنظر : الكشف والبيان : ج١٠ : ص٨١ ، البحر المحيط : ج٨ : ص٣٧٥.

وقد أشار السيد المدرسي في تفسيره إلى كثير من الآيات التي أوردها المفسرون وقالوا : أن فيها زيادة (١) ، وقد نفى أصل الزيادة نحويا ودلالياً في الآيات المباركة ووجهها توجيهاً ينم عن حسه النحوي والبلاغي ، وما اوردناه للمثال لا للحصر .

٥- الإيهام :

ورد الإيهام في السياق القرآني وهو أحد المصطلحات التي تندرج تحت الإطناب، ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص(٣٨)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها: ((فما دام هو لا يعلم من إله غيره، فالآخرين (*) لا يعلمون أيضا، بل يجب أن لا يعلموا، وهو يقول: ﴿لَكُمْ﴾ لإيهامهم أنه ينفعهم، وهو يخاطب الملأ، لأنه كان قد سلطهم على الناس، وأعطاهم امتيازات كثيرة))(٢)، فقد أشار السيد المدرسي إلى المكان الذي ورد فيه الإطناب في سياق الآية المباركة ، والغرض منه هو الإيهام .

لكن المفسرين يرون إنما قال لهم ذلك لجهله المركب وجهلهم بتصديقه (٣) ، بينما وضع السيد المدرسي يده على الغرض من قوله هذا وهو لإيهامهم وإبعادهم عن معرفة الله تعالى ، فلم يكن فرعون بهذه الغباوة ولا شعبه بتلك السذاجة ، بل رأى أن قول نبي الله موسى كان مؤثراً في القوم ، لذا قام فرعون بإيهامهم بأن لم يكن هناك اله غيره ، وأراد أن يثبت لهم ذلك فأمر هامان ببناء الصرح ، فهو كان يعلم أنه لا يملك تلك القدرة اللامتناهية التي جعلت من موسى مؤثراً بأناس نشأوا وترعرعوا بين أحضان الفسق والفجور والكفر ، ولم يروا سوى فرعون الهاً ، فقد اشار السيد المدرسي إلى مكمن البلاغة في الإطناب في هذه الآية المباركة .

وإلى هذا المعنى ذهب السيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) في تفسيره لهذه الآية المباركة دون الإشارة إلى الإيهام ههنا ، فيقول : ((﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ سوق للكلام في صورة الإنصاف ليقع في قلوب الملأ موقع القبول))(٤) ، فلم يكن فرعون غبياً وانما أراد ايهام الذين تسلل إلى قلوبهم الإلتفات إلى دعوة موسى " عليه السلام " .

فالإيهام أقرب المعاني إلى سياق هذه الآية المباركة .

---

(١) يُنظر : من هدى القرآن : ج٢ : ص٤٠٠ ، ج٥ : ص٢٢٤ ، ج٨ : ص٢٩٨ ، ج٩ : ص١٩٣، ج١٠ : ص١٣٥، ج١١ : ص٢٠٣ ، ج١٢ : ص٦٠ ، ج١٢ : ص١١٠ .

(*) كذا في الأصل ، والصواب : الآخرون .

(٢) من هدى القرآن : ج٦ : ص٣٤٦ .

(٣) يُنظر : الكشاف : ج٤ : ص٥٠٧ ، المحرر الوجيز : ج٦ : ص٥٩٣ ، البحر المحيط : ج٧ : ص١١٤ .

(٤) الميزان في تفسير القرآن : ج١٦ : ص٣٣ .

٦ـ التكميل :

التكميل من الأغراض التي أفادها الإطناب في القرآن الكريم، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء (١٠٣)] ، فهذه الآية المباركة تُشير إلى صلاة الخوف (١) ، وهي تُصلَّى قصراً ، فيأتي الذكر يُكمل ما قصر من الصلاة ، فيقول السيد المدرسي في تفسير هذه الآية المباركة : ((﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ أي وأنتم مستلقون. وربما جاء الأمر بذكر الله بعد صلاة الخوف لتكميل النقص فيها، حيث يستحب أن يذكر المصلي قصراً ربه خلال فترة من الزمن، تساوي فترة صلاة الركعتين اللتين سقطتا عنه ، ولكن لا يجب أن يكون ذلك في هيئة الصلاة ، بل أثناء قيامه بالأعمال العادية))(٢) ، فقد تنبه السيد المدرسي إلى أن الذكر ههنا جاء لتكميل القصر في الصلاة ، فالغرض من وجود الإطناب هو فائدة بيان التكميل ، اذ ان الوجازة لا تُبين هذه الدقائق من الأحكام الشرعية.

ولم يلتفت إلى هذا المعنى أحد قبل السيد المدرسي (٣) فهذا الراي خاص به، بأن الذكر ههنا أريد منه تكميل ما قصر من الصلاة.

ومما جاء فيه الإطناب لغرض التكميل ، في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف(١٨٩)]، فقد جاءت جملة ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ في هذه الآية المباركة إطناباً ، فيقول السيد المدرسي في معناها : ((فالرجل خلق متكامل مع الأنثى لذلك لا يسكن إلا إليها، ومن مظاهر السكن، إن كل شخص يشعر بنقص حتى يكتمل بالزواج، وآنئذ يكون بإمكان الطرفين تكميل حياتهما معا، فإذا وفر الذكر للحياة المتكاملة :

---

(١) صلاة الخوف : وهي الصلاة الواجبة التي يؤديها المسلم أثناء الحرب ، ويُستحب ان تكون صلاة جماعة ينقسم بها المقاتلون على قسمين ، قسم يصلي مع الإمام ، وقسم يدافع عنهم ، وبعد الفراغ من الصلاة يقوم الذين أتموا الصلاة فيأخذوا مواقع المدافعين ليؤدوا صلاتهم ، وسميت بصلاة الخوف ، لأنها في حالة حرب ، وتُصلى قصراً كصلاة المسافر ، يُنظر : الفقه الإسلامي (أحكام العبادات) ، السيد محمد تقي المدرسي ، دار محبي الحسين ، طهران ، ط٣ ، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م : ص٢٩٥ .

(٢) من هدى القرآن : ج٢ : ص١١٠ .

(٣) يُنظر : الكشاف : ج٢ : ص١٤٤ ، المحرر الوجيز : ج٣ : ص١٤ ، البحر المحيط : ج٣ : ص٣٥٦ ، الميزان في تفسير القرآن : ج٥ : ص٦٢ .

القوة ، والعزيمة ، وخشونة التحدي ، فان الأنثى توفر لها الرحمة ، والعاطفة ، ونعومة الرفق ، وكلُ ما هو ضروري للتعاون ..))(١) ، اذ التفت السيد المدرسي إلى معنى السكن هنا والغرض من ذكره وهو التكميل . وقد تفرد بهذا المعنى دون سابقيه ، فلم يُشر المفسرون إلى الإطناب الوارد هنا ، وانما فسروا معنى السكن وكيف ان الإنسان إلى جنسه اميل (٢) ، لكن وضع السيد المدرسي يده على موضع الإطناب ينم عن حسه البلاغي من خلال الإشارة إلى الغرض البلاغي للإطناب وهو التكميل .

وقد أشار السيد المدرسي في غير موضع للإطناب الذي غرضه التكميل (٣) ، وما ذكرناه كنموذج لا على سبيل الحصر .

٧ـ ذكر الخاص بعد العام :

مما جاء به الإطناب ليبين غرضاً بلاغياً يتضح من خلال السياق هو ذكر الخاص بعد العام ، والذي سمَّاه السيد المدرسي التخصيص بعد التعميم ، وقد جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ [المزَّمِّل(١٩)] ، فجاءت التذكرة عامة والسبيل خاص ، وقد ذكر السيد المدرسي رأي بعض المفسرين وزاد على ما ذهبوا اليه ، فيقول في تفسيرها : ((﴿ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ﴾ تذكِّر الإنسان بالحق، وتثير فيه العقل وكوامن الخير التي تهديه إلى رب العزة وترسم له الصراط المستقيم والنهج القويم إليه سبحانه .. فدور التذكرة إذن هو بيان الخطوط العامة، ورسم معالم الطريق للإنسان، لا فرض خيار معين كُرْهًا، لأن الاختيار من خصائص الإنسان نفسه، فهو الذي يريد الحق والباطل أو لا يريد ﴿ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ قال الفخر الرازي: إن التذكرة ما تقدم من السورة كلها، واتخاذ السبيل عبارة عن الاشتغال بالطاعة، والاحتراز عن المعصية (*) واختار صاحب الميزان تعميم التذكرة على كل ما سبق، وخص صلاة الليل بالسبيل، لأنها تهدي العبد إلى ربه (**) والأصح: أن السبيل عموم الصراط المستقيم الموصل إلى رضوان

---

(١) من هدى القران : ج٣ : ص١٥٢ .

(٢) يُنظر : الكشاف : ج٢ : ص٥٤٠ ، المحرر الوجيز : ج٤ : ص١٠٧ ، البحر المحيط : ج٤ : ص٤٣٧ ، الميزان في تفسير القرآن : ج٨ : ص٣٤٨ .

(٣) يُنظر : من هدى القرآن : ج١ : ص٣٥٧ ، ج٦ : ص٣٩٢ ، ج٨ : ص٣٢٦ .

(*) هذا رأي الفخر الرازي ، يُنظر : التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ج٣٠ : ص١٨٥ .

(**) هذا رأي السيد الطباطبائي ، يُنظر : الميزان في تفسير القرآن : ج٢٠ : ص١٠٤ .

الله، وقيام الليل خطوات فيه، إلا أن أبرز مصاديق السبيل القِيَم الإلهية، وأظهرها القرآن، والقيادة الرسالية، ومصداقها الرسول الأعظم "صلى الله عليه واله "وأئمة الهدى "عليهم السلام"))(١)، فقد وافق السيد المدرسي الفخرَ الرازي والسيد الطباطبائي إلا انه زاد على ما ذهب إليه السيد الطباطبائي في زيادة المعنى العام للسبيل، ورأيه يدل على استقرائه لجميع مفاصل الآية وربطها بالموروث العقدي والروائي (٢) ومن ثم استنباط الحكم وتلمس البلاغة من خلاله .

وكذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب(٧)] ، فقد ذكر الله تعالى في بداية هذه الآية المباركة جميع النبيين ، ومن ثم خصص الذكر لأولي العزم "صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين " ، فيقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ﴾جميعا، ولكن هذا العهد كان أشد وأخص بالنسبة لأولي العزم من الرسل، وهم الذين ذكرت بهم الآية في قولها: ﴿ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ ؛ فالأنبياء أفضل من سائر الناس، والرسل أفضل من الأنبياء، وأفضل الرسل هم أولو العزم، وأكرم أولي العزم " محمد صلى الله عله واله " ، ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾. ولعل وجه التخصيص أن أولي العزم أكرم الناس عند الله، فهم أكثرهم تعرضا للبلاء والمصاعب))(٣) ، فقد أشار السيد المدرسي إلى معنى التخصيص بعد العموم في هذه الآية المباركة ، الا وهي الكرامة التي اختص بها أولو العزم من الرسل .

وإلى هذا المعنى ذهب ابن عطية ت(٥٤٦هـ) في تفسيره الآية المباركة ، فيقول : ((وذكر الله النبيين جملة ، ثم خصَّ بالذكر افرادا منهم تشريفا وتعظيما ..))(٤) ، وكذلك ذهب الثعلبي ت(٤٢٧هـ) من قبل، وأبو حيان الأندلسي ت(٧٤٥هـ)والسيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) (٥) ، إلى ان التخصيص هنا جاء لبيان التشريف والعظمة والكرامة ، فقد وافق السيد المدرسي المفسرين السابقين له في معنى الإطناب ههنا

---

(١) من هدى القرآن : ج١١ : ص٣٢٤ ـ ٣٢٥ .

(٢) اذ ان السيد المدرسي يذكر مجموعة من الآيات والروايات والأدعية في معنى السبيل ، ويؤكد أن ما ذهب إليه هو الصائب ، يُنظر : من هدى القرآن : ج١١ : ص٣٢٥ .

(٣) من هدى القرآن : ج٧ : ص١٧١ .

(٤) المحرر الوجيز : ج٧ : ص٩٤ .

(٥) يُنظر : الكشف والبيان : ج٨ : ص١٠ ، البحر المحيط : ج٧ : ص٢٠٩ ، الميزان في تفسير القرآن : ج١٦ : ص٢٥٠ .

ومزيته البلاغية التي جاء بها دون الإيجاز .

بقي ان الآية المباركة فيها بعض النكت لابد من بيانها :

النكتة الأولى : ذكرتْ الآيةُ المباركة الرسولَ الأعظم "صلى الله عليه وآله" قبل أولي العزم "عليهم السلام" الباقين فقال الزمخشري ت(٥٣٨هـ) عن هذا التقديم : ((قُدم عليهم لبيان أنه أفضلهم))(١) ، فعلى قول الزمخشري أن الترتيب لأولي العزم ههنا جاء بحسب الأفضلية .

وذهب أبو حيان ت(٧٤٥هـ) إلى هذا المعنى أيضاً بزيادة بسيطة ، فقال : ((وقُدِّم محمد "صلى الله عليه [وآله] وسلم" لكونه أفضل منهم وأكثرهم أتباعاً))(٢) ، فإذا كان كذلك فلمَ قُدِّمَ نوحُ على إبراهيم "عليهما السلام" ؟ ، وإذا كان بالأتباع ، فأن نبي الله عيسى "عليه السلام" أكثر الأنبياء أتباعاً إلى يومنا هذا !! . إذن الترتيب لا بحسب الأفضلية ولا بحسب الأتباع ، وانما بحسب الخلق ، وقد تنبه إلى ذلك الثعلبي ت(٤٢٧هـ) من قبل دون أن يتعمق في المسألة ، حيث يذكر حديث عن رسول الله "صلى الله عليه وآله" يقول : ((قال رسول الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم" : كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث ، قال : وذلك قول الله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ... ﴾ فبدأ به "صلى الله عليه [وآله]" قبلهم))(٣) ، ونقل هذا الحديث ابن عطية ت(٥٤٦هـ) أيضاً(٤) ، وأخذ الميثاق كان في أول الخلق في ما يُسمى (عالم الذر) حيث قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [الأعراف(١٧٢)]، والمقام في الآية يدل على أن الموقف كان في أول الخلق ، واخذ الميثاق هناك ، فكان التقديم في هذه الآية، تقديم بحسب الخلق لا بحسب الأفضلية .

أما تقديم نبي الله نوح "عليه السلام" على رسول الله "صلى الله عليه وآله" في قوله تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى . . .﴾، فالمقام ههنا في البعث والتشريع والزمن ، والمراد هو ما وصَّى به نوح (عليه السلام) وما اوحيناه اليك واحد ، وهذا المعنى أشار إليه الزمخشري ت(٥٣٨هـ) من قبل (٥) .

---

(١) الكشاف : ج٥ : ص٥٢ .

(٢) البحر المحيط : ج٧ : ص٢٠٩ .

(٣) الكشف والبيان : ج٨ : ص١٠ .

(٤) المحرر الوجيز : ج٧ : ص٢٤.

(٥) يُنظر : الكشاف : ج٥ : ص٥٢ .

النكتة الثانية : ذكرت الآية المباركة جميع أولي العزم بالاسم فقط ، باستثناء النبي عيسى " عليه السلام" فجاء ﴿وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ ولم تكتفِ الآية بذكر النبي فقط ، ولعلَّ إضافته "عليه السلام " إلى أمه للدلالة على نفي إلوهيته من جهةٍ ؛ ردَّاً على الذين عبدوه ، بأن الذي تعبدونه وإن كان نبياً فهو مولود ومحتاج وينتمي إلى أُمٍّ . والإله لا يحتاج ولا ينتمي إلى فصيلتكم أصلاً بل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى(١١)] . ومن جهة أخرى فهو ابن مريم ، ردَّاً على الذين يقولون أنه ابن الله . والله أعلم .

٨ـ ذكر العام بعد الخاص :

من الأغراض التي جاء بها الإطناب هو ذكر العام بعد الخاص ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ. فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥) وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غافر(٥-٦)] ، فقد ذكرت الآية المباركة قوم نوح والأحزاب ثُمَّ عممت في الآية الثانية ليشمل جميع الكفار ، فيقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((ولأن الحديث هنا عن سنّة إلهية تحكم الحياة نجد السياق وبعد تخصيص قوم نوح والأحزاب بالذكر يعمم الحديث ليضم إليهم كل الكافرين في كل مكان وزمان، فهم جميعا ينالهم عذاب الله وانتقامه. ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ففي الدنيا ينالهم انتقام الله، وفي الآخرة عذابه الشديد، فهم خالدون في نار جهنم لأنهم أصحابها)) (١) ، فقد أفاد الإطناب ههنا بيان مآل الكفرة جميعهم والمخصص منهم ينالهم العذاب قبل اللاحقين لهم ولكن مآلهم الانتقام في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة .

وإلى هذا المعنى ذهب إبن عطية ت(٥٤٦هـ) في تفسيره لهذه الآية المباركة ، فيقول : ((والمعنى: كما أخذتُ أولئك المذكورين وأهلكتهم فكذلك حقت كلماتي على جميع الكفار ، من اقدم منهم ومن تأخر،إنَّهم اهل النار وسُكانها))(٢) ، فالسيد المدرسي وافق ابنَ عطية في هذه الآية ، لذا أُريد من الإطناب ههنا بيان العاقبة للخاصين الذين سبق ذكرهم واللاحقين فكلهم اهل النار وسكانها .

وبهذا الغرض ينتهي المبحث بحمد الله .

---

(١) من هدى القرآن : ج٨ : ص٢٠٨ .

(٢) المحرر الوجيز : ج٧ : ص٤٢٣ .

الفصل الثالث

المبحث الثالث

الذكر

أقسامه

أغراضه البلاغية

المبحث الثالث

الـذِّكْــرُ
أقسامه و مواضعه و أغراضه البلاغية

الذكر والحذف من الموضوعات المهمة في البلاغة العربية، فهما يُعبران عن حاجة المتكلم لإيصال الفكرة إلى المتلقي ، ففي بعض الأحايين يكون ذكر أحد أطراف الجملة ذا فائدة يريد أن يوصلها المتكلم إلى المتلقي ، وفي بعضها الآخر يُلقي المتكلم طرفاً ويخفي آخر ليشُدَّ ذهن السامع ويحرك عقله للبحث عن الطرف الآخر من الجملة ، فالحذف يكون أكثر تعبيراً من الذكر ، ولهذا ورد أكثر من الذكر ، مما يتوضح لنا عناية أصحاب البلاغة في الحذف أكثر من عنايتهم في الذكر ، لأن ((ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما يكون إن لم تنطق وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن))(١) ، وهذا لا يمنع من أن يرد الذكر لتوضيح غرض بلاغي فيحقق قيمة معنوية في الاسلوب، وقد يكون عدم الذكر يؤدي إلى ابهام المعنى ، فيحتاج إلى ذكر موجز ليحقق فائدة الفهم .

والذكر الموجز ــ هو الذكر الموحي الذي لا يفيض بذكر الألفاظ فيُحدث مللاً عند السامع ــ هو الذي يؤدي الغرض البلاغي ، حتى لا يكون التعبير فارغاً (٢) ، ((لذلك فالذكر في القرآن الكريم له دلالته وكذلك الحذف وان وجد احدهم في السياق يستدعي التأمل لمعرفة أغراضه))(٣) ، فالذكر يؤدي الغرض البلاغي المراد إيصاله ، والتأمل في الأغراض التي أراد التنبه إليها ، وكذلك الحذف المراد منه تنشيط الفكر والتعقل لعدم الذكر ، وعدم الذكر قد يجدد نشاط المتلقي بعد فترة من البحث في الجواب المحذوف حيث تطمئن نفسه إليه (٤) ، والذكر في القرآن الكريم يثبت المعنى في النفس مع الفائدة التي يسوقها السياق القرآني في كل ذكر في القرآن الكريم (٥) ، وهذا ما تفتقر إليه النصوص البشرية .

*** الذكر والحذف عند البلاغيين :**

انقسم أصحاب البلاغة في بحث الذكر والحذف على قسمين :

---

(١) دلائل الإعجاز : ص١٤٦ .

(٢) يُنظر : خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني) : د. محمد محمد أبو موسى ، أميرة للطباعة ، ط٤، ١٩٩٦م : ص١٨٠ .

(٣) المباحث البلاغية في حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي (رسالة) : ص١٠٤ .

(٤) يُنظر : الحذف البلاغي في القرآن الكريم : مصطفى عبد السلام أبو شادي ، مكتبة القران للطبع والنشر ، القاهرة ، (د.ت) : ص٣٨ .

(٥) يُنظر : من بلاغة القرآن : ص٩٥ .

الأول : عني بالحذف دون الذكر :

هذا القسم يشمل الرعيل الأول من أصحاب البلاغة كأبي هلال العسكري ت(٣٩٥هـ) وعبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١هـ)، فـيقول المراغي عنهما : ((لم يتطرق لهذا الباب كثير من أئمة هذا الفن كأبي هلال والإمام عبد القاهر ، وكأنهم لم يروا فيه من اللطائف والمزايا ما يسبغ البحث عنه في علوم الفصاحة))(١) ، وتابعهما ابن الأثير ت(٦٣٧هـ) في ذلك (٢) ، فهؤلاء تتبعوا كل ما يحيط بموضوع الحذف وتركوا الذكر.

الثاني : عني بالذكر والحذف معاً :

يُمثل هذا القسم أساطين البلاغة الذين جاءوا بعد عبد القاهر الجرجاني ، وإن كان اعتناؤهم بالحذف أكثر من الذكر ، وحصروا الذكر في المسند والمسند إليه وأغراضهما البلاغية التي جاء ذكر أحدهما به، فمن هؤلاء السكاكي (٣) ، والقزويني (٤) ، وشُرَّاح التلخيص (٥) . فكان اعتناء أصحاب البلاغة بالحذف أكثر من الذكر ، لاعتقادهم أن في الحذف فائدة بلاغية أكبر ، والذكر ـ وإن قلَّ ـ فهو أيضاً يحمل أغراضاً بلاغيةً أراد السياق القرآني تبيانها والتنبه إليها ، وكما بيَّنا الحذف في موضوع الإيجاز فلا بد أن نبين الذكر وأغراضه البلاغية ، لأن السيد المدرسي من الذين اهتموا بكلا الموضوعين ، وقد أشار إلى الذكر في مواضع متعددة سنأتي عليها ان شاء الله تعالى .

- **الذكر (مواضعه ، وأغراضه ، وتطبيقاته) :**

<u>في اللغة</u> : هو مصدر مادة (ذَكَرَ) و ((الذال ، والكاف ، والراء ... ذكرتُ الشيء ، خلاف نسيته ، ثم حُمل عليه الذكرُ باللسان ، والذِّكر : العلاء والشرف)) (٦) فهو ذكر الشيء ، من : ذَكَرَ ، يذكرُ ، إذكرْ، مصدره : ذكراً .

---

(١) علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) ، د. أحمد مصطفى المراغي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٩م : ص٧٣ .

(٢) يُنظر : المثل السائر : ج٢ : ص٦١ .

(٣) يُنظر : مفتاح العلوم ص٢٦٧ .

(٤) يُنظر : الإيضاح : ص٥٦ .

(٥) يُنظر : المطوَّل : ص٢٣١ ، عروس الأفراح : ج١ : ص١٦١ ، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ، أبو العباس المغربي (ت١١٢٨هـ) ، تحقيق : د. خليل إبراهيم خليل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ،٢٠٠٣م : ج١ : ص١٩٣ .

(٦) معجم مقاييس اللغة : ج٢ : ص٣٥٨ .

في الإصطلاح : ذكر اللفظ يُراد منه الانتباه إليه لغرض تبيان مزيَّة فيه ، وهو الأصل في تركيب الجمل، ولا مقتضى للعدول عنه إذا كان استعماله يطابق مقتضى حال السامع في الاستعمال (١) ، وهو نقيض الحذف ، والمراد في الإصطلاح البلاغي هو ذكر ألفاظ الجملة ـ وهو الأصل ـ أيضا يفيد أغراضاً بلاغية، وفي القرآن الكريم : ((يذكر القرآن ما يذكره ، مما يبدو أن السياق يجيز حذفه ، عندما يكون في هذا الذكر تثبيت للمعنى ، وتوطيد له في النفس ، ويكون في ذكره فضلاً عن ذلك معان لا تستفاد اذا حذف))(٢)، والذكر يكون لأسباب لا بد من وجودها حتى يجيز الذكر في الجملة ، ومنه ذكر المسند وذلك إذا أفاد أغراضاً بلاغية منها : ((زيادة التقرير ، والتعريض بغباوة السامع ، والاستلذاذ ، والتعظيم ، والإهانة ، وبسط الكلام ، واما ليتعين كونه : أسماً فيستفاد منه الثبوت ، أو كونه فعلاً فيستفاد منه التجدد ، أو كونه ظرفاً فيورث احتمال الثبوت والتجدد))(٣)، وكذلك ذكر المسند إليه يذكر لأسباب منها : ضعف التعويل على المسند ، فيُذكر المسند إليه لتقوية المعنى والتثبت ، والتنبيه ، وزيادة الإيضاح للتقرير ، وإظهار التعظيم، ولبيان الإهانة ، او لغرض التبرك كما جاء بذكر الرسول الأعظم " صلى الله عليه وآله " (٤) ، وغيرها من الأغراض البلاغية التي تستدعي وجود الذكر دون الحذف .

الذكر عند السيد المدرِّسي :

استند السيد المدرسي في تعريفه للذكر إلى المعنى اللغوي والاصطلاحي معاً ، فيقول : ((الذكر حصول المعنى للنفس وقد يكون بالقلب وقد يكون بالقول وفي اكثر الاستعمال يقال الذكر بعد النسيان واصله التنبيه على الشيء فمن ذكرته شيئا فقد نبهته عليه))(٥) ، وفي هذا التعريف يبين السيد المدرسي الأذكار الإسلامية دون الذكر البلاغي .

الذكر في تفسير من هدى القرآن :

١ـ ذكر المسند إليه :

من أركان الجملة المهمة هو المسند إليه ، وكما تقدم أن ذكره في سياق الجملة القرآنية يُراد منه غرض بلاغي ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ [الصافات(٤٢)] ، يقول السيد المدرسي في

---

(١) يُنظر : شروح التلخيص : ج١ : ص٢٨٢ ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ج٣ :ص١٢ ، البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤م : ص٣٣٤ .

(٢) من بلاغة القرآن : ص٩٥ .

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة : ج٢ : ص١١٠ ، يُنظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ج٣ : ص١٢ .

(٤) يُنظر : شرح عقود الجمان في المعاني والبيان ، جلال الدين السيوطي ت(٩١١هـ) ، وبهامشه : حلية اللب المصون على الجوهر المكنون ، الشيخ أحمد الدمنهوري ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده ، مصر ، د.ط ،١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م: ص٣٢ ، خصائص التراكيب : ص٢٨٨ .

(٥) من هدى القرآن : ج١ : ص٢٥١ .

تفسيره لهذه الآية المباركة : ((ويفصِّل القرآن في ذكر الرزق، تشويقا لنا للإخلاص، وللمخلصين على الاستقامة. ﴿ فَوَاكِهُ﴾ يشبعون بها حاجاتهم الكمالية، أما حاجاتهم الضرورية فقد قال البعض أن أجسامهم خلقت للبقاء فلا تحتاج إلى طعام حاجة ضرورية، ويحتمل أن يكون توفر الفواكه لديهم يغنيهم عن الطعام الضروري))(١) ، فكان الغرض من الذكر هو التشويق حتى يكون الإخلاص من الناس لله حاصل ، ولهذا جاء الذكر دون الحذف .

وإلى هذا المعنى ذهب السيد محمد حسين الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) في تفسيره لهذه الآية الشريفة ، فيقول : ((الفواكه جمع فاكهة وهي ما يتفكه به من الثمار بيان لرزقهم المعلوم، غير انه تعالى شفعه بقوله: ﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴾، للدلالة على امتياز هذا الرزق أعني الفاكهة مما عند غيرهم))(٢) .

يرى أبو حيان ت(٧٤٥هـ) ان الذكر للفاكهة هنا هو للتلذذ ، وذلك في تفسيره لهذه الآية فيقول: (((فواكه) بدل من (الرزق) ، وهي ما يتلذذ به ..... فكل ما يأكلونه هو على سبيل التلذذ))(٣)، وهذا الرأي ليس ببعيد عن التشويق للتلذذ ، فكلاهما واحد ، إذ كان ذكرها تشويقاً لتلذذها ومحبة الإنسان لها، فالسيد المدرسي كان موافقا لأبي حيان والسيد الطباطبائي .

٢ـ ذكر المسند :

أنَّ الجملة العربية تستند إلى اركان واجبة الحصول ، منها المسند، وهو ما أُسندَ إلى متقدم عليه في الجملة ليكوِّن معنى يحسن السكوت عليه بعد تمام المعنى ، وذكر هذا الطرف او الركن من الجملة في القرآن الكريم يأتي لغرض معيَّن يُكشف من خلال السياق القرآني ، فيكون : إما للثبوت إذا كان إسماً، او للتجدد، إذا كان فعلاً، أو زيادة في التقرير، او تأكيد، أو بيان الإهانة، أو بيان الفضل، وغيرها من الأغراض البلاغية . وجاء ليفيد أغراضاً بلاغية منها :

*** زيادة في التخويف :**

في بعض السياقات القرآنية يأتي ذكر المسند للزيادة في التخويف، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ﴾ [ص(٥٦)] ، يقول السيد المدرسي في ذكر عاقبة المشركين : ((وتفصِّل الآيات في ذكر عاقبة الطغاة، زيادة في التخويف لعل الإنسان يثوب عن الباطل، ويهتدي للحق رغبة في الثواب، ورهبة من

---

(١) من هدى القرآن : ج٨ : ص٣١ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن : ج١٧ : ص١٢٧ .

(٣) البحر المحيط : ج٧ : ص٣٤٣ .

العذاب ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ قال بعض الفلاسفة القدماء- يتبعهم بعض الجهلة اليوم-: إن أهل النار يتعودون على عذابها فلا يعودون يتأثرون به، وجَسَّدوا هذه الفكرة المنحرفة في هيكل حيوان زعموا بأنه يلتهم النار، أما القرآن وهو الحق فإنه يخالف هذه الخرافة مؤكداً بأن المجرمين يتذوقون العذاب، وكلمة ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ تعني أنهم تمسهم جهنم مسا)) (١) ، فقد أشار السيد المدرسي إلى أن ذكر جهنم في هذه الآية ليزيد من تخويفهم ، ولعلَّ تقديمها على فعلها يُبين مدى العذاب الذي تحمله ، وكذلك الفعل المضارع ﴿ يَصْلَوْنَهَا﴾ يوحي بالتجدد والإستمرارية ، وهذا يعني " اتقوا هذه النار التي سيستمر عرضكم عليها " .

ولم يُشر الزمخشري ت(٥٣٨هـ) وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) والسيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) إلى الذكر في هذه الآية المباركة ، واكتفوا بتفسير " **بئس المهاد** " فقط (٢) .

٣ـ ذكر متعلقات الفعل :

والمقصود بمتعلقات الفعل كل ما يتعلق بالفعل دون الفاعل ، كالمفعول به والجار والمجرور والظرف، وغيرها ، وقد ذكر ذلك السيد المدرسي في تفسيره بأغراضها:

أ ـ ضرورة التسليم :

في القرآن الكريم يأتي ذكر متعلقات الفعل للدلالة على ضرورة التسليم للمذكور ، وهذا ما جاء في ذكر الرسل في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا ﴾ [غافر(٧٠)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((أولئك الذين كذبوا بالكتاب وبما أوحى الله إلى رسله من أحكام ينتظرهم جزاؤهم العادل.﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا ﴾ لعل ذكر الرسل هنا للدلالة على ضرورة التسليم للحق، وأيضا للشخص الذي يمثله وهو الرسول والإمام، ذلك أن كل الوحي ليس مفصلا في الكتاب، بل منه ما يبيِّنه الرسول في سنته، وإن من كذب رسولا واحدا أو بكتاب واحد فكأنما كذَّب بالكتاب كله وبالرسل جميعا))(٣) ، فالمفعول المطلق ههنا جاء لضرورة التسليم له ، اذ تنبه السيد المدرسي إلى المعنى البلاغي الذي أفاده الذكر للرسل في هذه الآية المباركة ، ولعل العطف بين الجملتين يؤكد أن ما جاء به الرسل من قبل لا يتنافى مع ما موجود في الكتاب ، لذلك كان الكفر بأحدهم الكفر بالجميع .

---

(١) من هدى القرآن : ج٨ : ص١١٥ .

(٢) يُنظر : الكشاف : ج٥ : ص٢٧٦ ، البحر المحيط : ج٧ : ص٣٨٨ ، الميزان في تفسير القرآن : ج١٧ : ص٢٠١.

(٣) من هدى القرآن : ج٨ : ص٢٦٨ .

ولم يذكر الزمخشري ت(٥٣٨هـ) وابن عطية ت(٥٤٦هـ) والفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) وأبو حيان الأندلسي ت(٧٤٥هـ) والسيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) معنى الذكر لـ (رسلنا) في هذه الآية المباركة(١)،بل كان تفسيرهم مقتصراً على (الذين كذبوا بالقرآن وسوف يعلمون) ، ومنهم من كان تفسيره نحوياً دون البلاغة .

اذن فالذكر هنا جاء بمعنى بلاغي أراد ان يوصله السياق إلى المتلقي ، ألا وهو ضرورة التسليم لجميع الرسل ، لأن ما جاء به جميعهم ينبثق من سراج واحد لا فرق بين الرسل ، ومن كذب أحداً منهم فكأنما كذَّبهم جميعهم ، لذا فكان الذكر أولى من الحذف ، وهذا ما تنبه له السيد المدرسي .

ب ـ الشدة :

من الأغراض التي جاء بها ذكر المسند هي الشدة والقوة التي يريد أن يوصلها للمتلقي ، فالمسند يحمل من الشدة ما يُوجب ذكره دون الحذف ، كما ورد في قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾[البقرة(٨٦)] ، فذكر الآخرة جاء ليبين أهميتها وشدتها ، فيقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((أما عذاب الآخرة فيذكره القرآن هنا لأنه الأشد والأبقى، ويبين لنا قبلئذ أن سبب هذا التبعيض والانتقاء في اتخاذ أحكام الدين، إنما هو نتيجة استبدال الآخرة بالدنيا ويقول: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ فلا يرحمهم من في السماء ولا ينفعهم أهل الأرض))(٢) ، اذ أشار السيد المدرسي إلى المعنى البلاغي الذي أفاده الذكر ألا وهو الشدة والبقاء، لذا كانت التفاتة منه إلى هذا المعنى.

ولم يشر الزمخشري ت(٥٣٨هـ) والسيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ)إلى معنى الذكر هنا (٣) ، واكتفيا بالإشارة للعذاب الأليم الذي ينتظره .

د ـ بيان الطبيعة (الماهية) :

من الأغراض التي جاء بها الذكر للمسند هو بيان طبيعة الشيء ، وقد جاء ذلك في لفظ الجان في قوله تعالى : ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ [الحجر(٢٧)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((قبل أن

---

(١) يُنظر : الكشاف : ج٥ : ص٣٦٠ ، التفسير الكبير(مفاتيح الغيب) : ج٢٧ : ص٨٨ ، المحرر الوجيز : ج٧: ص٤٥٦، البحر المحيط : ج٧ : ص٤٥٤ ، الميزان في تفسير القرآن : ج١٧ : ص٤٠٠ .

(٢) من هدى القرآن : ج١ : ص٢٠٧ .

(٣) يُنظر : الكشاف : ج١ : ص٢٩٢ ، الميزان في تفسير القرآن : ج١ : ص٢٠٤ .

يخلق الله البشر خلق عدوه- الجان- الذي يقابل الإنس، ذكر هنا بلفظة جان للدلالة على طبيعته كما نقول (الإِنْسَان) ونشير إلى طبيعته دون ملاحظة أفراده))(١) ،ولعلّ تقديمه على الفعل أراد منه الانتباه إليه والحذر منه ، فالتنبيه أقرب إلى السياق من بيان الطبيعة أو الماهية ، هذا ما يراه الباحث ، لأن ذكر مفاصل الآية توحي بالإشارة إلى أن خلقه كخلق ابليس ، وكلاهما واحد فاحذروه .

ويؤيد هذا المعنى الزمخشري على أنه يراد به إبليس لكنه لا يشير إلى التنبيه ، وذلك في قوله : ((﴿وَالْجَانَّ﴾ للجن كآدم للإنس ، وقيل : هو إبليس))(٢) ، ولم يعقب على قولهم (إبليس) مما يوحي بموافقته لهم، والسيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) يذهب إلى هذا المعنى أيضاً (٣) ، بعد إن يبحث فيها بحثاً طويلاً ، مُفصلاً فيه القول، و يصل بالنتيجة إلى أنه لا فرق بين الجن وإبليس ، لكنه أيضاً لا يشير إلى التنبيه منه ، فيرى الباحث: أنَّ تقديمه على فعله ، وبيان خلقه ، يراد منه الانتباه إليه والتحذير منه .

هـ ـ للاقتداء :

ذكر القرآن كثيراً من الأنبياء "عليهم السلام" وذكر سلوكهم لغرض اقتفاء طريقهم والاقتداء بهم ، كما ذكر موسى " عليه السلام " في قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى﴾ [مريم(٥١)] ، فيقول السيد المدرسي في تفسير هذه الآية المباركة : ((﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى ﴾ ذكر موسى، وذكر سائر الأنبياء في القرآن، إنما كان من أجل أن يتخذوا قدوة وأسوة))(٤) ، فقد تنبه السيد المدرسي إلى أن ذكر المفعول به ههنا أفاد إفادة بلاغية وهي اتخاذ المذكور قدوة ليقتدوا به ، لذا جاء الذكر دون الحذف.

ولم يتطرق إلى ذلك الزمخشري ت(٥٣٨هـ) والرازي ت(٦٠٦هـ) وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) والسيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) (٥) ، إذ اهتموا في تفسيرهم بمعنى (مخلصاً ورسولاً ونبياً) ، فهم لم يُشيروا إلى معنى الذكر والغرض منه .

---

(١) من هدى القرآن : ج٤ : ص٢٧٧ .

(٢) الكشاف : ج٣ : ص٤٠٤ .

(٣) يُنظر : الميزان في تفسير القرآن : ج١٢ : ص١٤٠ .

(٤) من هدى القرآن : ج٥ : ص١٤٦ .

(٥) يُنظر : الكشاف : ج٥ : ص٢٧ ، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : ج٢١ : ص٢٣٢ ، البحر المحيط : ج٦ : ص١٨٧، الميزان في تفسير القرآن : ج١٤ : ص٥٧ .

و ـ بيان الضعف :

يأتي الذكر في بعض السياقات القرآنية ليُبيِّن حقيقة ، مفاد هذه الحقيقة هو إظهار ما فيها من الضعف، وهذا ما ورد في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الأنعام(١٥٢)] ، يقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((... ذكر القرآن الحكيم هنا مال اليتيم ، .... فلأن صاحبه ضعيف لا يقدر على المطالبة به، ولأنه أيسر وأقرب للضياع))(١) ، فقد بيَّن السيد المدرسي ذكر المفعول به في هذه الآية ليتبين من خلاله ضعف صاحبه .

وذهب أبو حيان ت(٧٤٥هـ) إلى هذا المعنى في تفسيره لهذه الآية المباركة ، فيقول : ((ونص على (اليتيم) ، لان الطمع فيه اكثر ، لضعفه وقلة مراعاته))(٢) ، فقد وافق السيد المدرسي أبا حيان في ان الذكر ههنا أعطى معنى بيان الضعف ، وهو الصواب .

ز ـ الشيوع :

يأتي الذكر أحياناً لشيوع حالة ما فيأتي لتوكيدها وبيانها ، وقد جاء في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾ [الأنعام(١٥٢)] ، فيقول السيد المدرسي في تفسيرها : ((ذكر القرآن الحكيم هنا مال اليتيم، والنقص في المكيال والميزان ..... أما النقص في المكيال فلأنه أسلوب شائع وبعيد عن ملاحقة القانون لأن من الصعب التعرف عليه))(٣) ، فجاء ذكر الكيل ههنا بسبب شيوع حالة البخس في المكيال ، فقد تنبه السيد المدرسي إلى المعنى البلاغي الذي أفاده الذكر ههنا وهو التأكيد على شيوع حالة النقص بالمكيال .

ولم يشر الزمخشري ت(٥٣٨هـ) والفخر الرازي ت(٦٠٦هـ) وأبو حيان ت(٧٤٥هـ) والسيد الطباطبائي ت(١٤٠٢هـ) لهذا المعنى (٤) .

---

(١) من هدى القرآن : ج٢ : ص٤٥٠ .

(٢) البحر المحيط : ج٤ : ص٢٥٢ .

(٣) من هدى القرآن : ج٢ : ص٤٥٠ .

(٤) يُنظر : الكشاف : ج٢ : ص٤١٢ ، التفسير الكبير(مفاتيح الغيب) : ج١٣ : ص٢٤٦ ، البحر المحيط : ج٤ : ص٢٥٣، الميزان في تفسير القرآن : ج٧ : ص٣٦٠ .

الخاتمة

الخاتمة

الحمدُ للهِ الذي نزَّلَ الكتابَ على عبدهِ ليكونَ للعالمينَ نذيراً ، والصلاةُ والسلامُ خاتم النبيين محمد بن عبد الله وعلى آلهِ الغر الميامين ، الطيبين الطاهرين .

بعد هذه الرحلة التي قضيناها مع تفسير (**من هدى القرآن**) تمخضت الدراسة عن نتائج توصلت إليها من خلال التوغل في سبر هذا التفسير أوردها كالآتي :

١ـ تميّزَ السيد المدرسي بمنهجية علمية في تفسيره ، فقد اعتمد تفسير القرآن بالقرآن تارة ، وأخرى تفسير القرآن بالرواية الواردة عن أهل البيت " عليهم السلام" وتارة من خلال استنطاقه للآيات ، وينتقل بين هذه وتلك بالتحليل ، حتى وصل بنا إلى المعنى البلاغي للآية ، المنسجم مع سياق النص المقدس ، فلم يُقطِّع النص وإنَّما قرأه قراءة شمولية لإستنتاج معنى سياقي متكامل .

٢ـ لم يكن السيد المدرسي منعزلاً عمن سبقه من المفسرين ، فقد عرض بعض آراء المفسرين كالزمخشري والفخر الرازي والشيخ الطوسي والشيخ الطبرسي والسيد الطباطبائي ، و ناقش آراءهم مناقشة علمية مستفيضة فقاده ذلك إلى موافقة آرائهم أو مخالفتها بتجرد وموضوعية .

٣ـ كانت عناية السيد المدرسي موجهة إلى مضامين الفنون البلاغية لا إلى عناوينها ، فنظرته إلى البلاغة كانت نظرة مفسر يستثمر منها ما يخدم النص المقدس ، ولم يكن تفسيره بلاغياً محضاً ، وإنما كان يأتي بالوجه البلاغي الذي يخدم النص في مضمار تفسيره ، فلم يعتنِ بالتقسيمات والتفريعات البلاغية التي توسع البلاغيون في شرحها وتفصيلها .

٤ـ كان السيد المدرسي متأثراً بنظرية (الوحدة الكلية للقرآن الكريم) للسيد الطباطبائي التي يرى فيها أن القرآن الكريم كالجسد الواحد ، فكان يرى أن وراء الألفاظ روحاً كلية ، فكثيرا ما كان يستشهد بقول السيد الطباطبائي .

٥ـ لم يُسلم السيد المدرسي بكل ما ورد في التراث البلاغي التفسيري ، بل كان له رأيه الخاص ، ولم يكن يعتني بموافقة المفسرين فيما يذهبون اليه بل كثيراً ما كان يُزيد على ما جاء به المفسرون.

٦ـ كان التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي والميزان في تفسير القرآن للسيد الطباطبائي ، اكثر المصادر وروداً في تفسيره ، مما يجعلنا نحكم أن هذين التفسيرين كانا محط اعتناء السيد المدرسي والمعين الذي ينهل منه في تفسيره للآيات القرآنية .

٧ـ كان لعلم المعاني حضورٌ كبير في تفسير من هدى القرآن ، فقد اعتنى في تبيان مباحثه وتقسيماتها من خلال ذكره لجميع مباحثه سوى مبحث المساواة ، إذ يراه ليس مبحثاً بلاغياً وإنما مُقحمٌ على علم المعاني وهو رأي له ما يُسوغه لأنه موافق لتوجهات جل البلاغيين .

٨ـ كان للمستوى التركيبي أهمية كبيرة في توضيح معاني النص القرآني ، وما دلَّ عليه من مقاصد ، ففي المبحث الأول استقرأ السيد المدرسي هذا المستوى بمراعاة جهة المتكلم والمتلقي والغائب ، وما قصده النص المقدس في خطابه ، لأجل تحديد الغرض البلاغي والمعاني المتولدة منه ، وقد استند إلى المرتكزات العقلية والأدلة في تحليله للخبر ، إذ إنّه يتفاعل مع النّصّ القرآنيّ كلاً وليس مع شواهد مفردة ، مبيّناً أثر المؤكّدات في تقوية المعنى ، ومتتبّعاً المعاني المجازيّة الّتي خرجت إليها مواضع الخبر .

٩ـ كان مبحث الإنشاء من أكبر مباحث الدراسة إذ كانت جميع تقسيماته واردة في التفسير ولم يغفل السيد المدرسي عن غرض بلاغي أفادته موضوعات الإنشاء ، من استفهام، وأمر ، ونهي ، ونداء ، وتمني .

١٠ـ أما في أحوال الجملة فكان السيد المدرسي ينتمي إلى المدرسة الأصولية في مفهوم الجملة ، إذ كانت الجملة عنده : هي أصغر مركب يشتمل على مناسبة بين أطرافه ، أما علماء البلاغة والنحو فإنَّهم كانوا يرون أن الجملة : هو المركب الذي يحسن السكوت عليه مع المناسبة .

١١ـ فصّل السيد المدرسي في التقديم والتأخير ، فأشار إلى أكثر مفاصله ، وعلل مقاصده وبيَّن الحكمة منه ، وما أفاده من أغراض بلاغية ، منها : التخصيص ، والحصر ، والعناية ، والتنبيه ، والتوعية والإرشاد ، وغيرها .

١٢ ـ لم يرد لفظ (**القصر**) عند السيد المدرسي للدلالة على السلوك البلاغي المعروف لهذا المبحث البلاغي وإنما يسميه (**الحصر**) متابعاً في ذلك علماء الأصول ، وأبان السيد المدرسي الفائدة التي يؤديها الحصر من زيادة في التوكيد ، وتفرد في رأي أن (من) جاءت أيضاً للحصر كما بيَّنا في مبحث القصر .

١٣ ـ وفي مبحث الفصل والوصل ، أشار السيد المدرسي إلى الأغراض البلاغية التي جاء بها الفصل دون الوصل ، وكان تابعاً للتقسيمات البلاغية من : كمال الإتصال ، وشبه كمال الإتصال ، لكن لم نجد مثالاً لكمال الإنقطاع في تفسيره . وكذلك الوصل فقد تابع أكثر أهل البلاغة والمفسرين أن الوصل هو في الواو فقط ، ما خلا الشيخ زادة الذي أورد الوصل بالفاء وثمَّ .

١٤ـ فصَّل السيد المدرسي القول في (التعريف والتنكير) ففي التعريف : ميَّز بين (أل العهدية) و (أل الجنس) وما لحقتهما من دلالات دلت عليها كل منهما ، وكذلك التعريف بالضمير ، والتعريف بالإشارة ، والتعريف بالموصول ، وبالإضافة . أما في التنكير فقد أشار إلى فائدة التنكير من خلال استقرائه للسياق القرآني .

١٥ ـ تابع السيد المدرسي في الإلتفات ما جاء به سابقوه ، ولم يخرج عليه الا قليلاً، وأشار إلى الفوائد البلاغية منه ، ولعل من أبرز هذه الفوائد هي : للفت النظر ، والزجر ، وشحذ الهمم ، وبيان المقام ، وغيرها .

١٦ـ أما في الإيجاز فكانت له رؤيته الواضحة في تبيان ماهيته ، وغرض وروده في القرآن الكريم ، ففي الإيجاز كانت تقسيماته بحسب تقسيمات أصحاب البلاغة ، رغم أنه لم يُشر إلى مصطلح (الإيجاز) لكنه أشار إلى الأغراض البلاغية التي افادها هذا اللون البلاغي منها : التأكيد ، الشدة والحسم ، والإطلاق ، وغيرها .

١٧ـ اما في الإطناب فكان السيد المدرسي يستعمل مصطلحاً آخر يدلُّ عليه ، فقد أسماه (الإسهاب) وفي هذا الأسلوب انفرد السيد المدرسي عن آراء المفسرين ، فكانت أكثر آرائه مخالفة لآرائهم ، وأبرزها نفي الزيادة نفياً قاطعاً في ألفاظ القرآن الكريم ، وقد وجه ما أطلق عليه المفسرون بالزيادة توجيهاً ينسجم مع السياق القرآني المقدس .

١٨ـ ولم يغفل السيد المدرسي ظاهرة الذكر ، إذ فصَّل القول به ، فمما أفاده الذكر من أغراض بلاغية : زيادة في التخويف ، والاقتداء ، وضرورة التسليم ، والشدة ، وغيرها .

وبعد ... فأنا لا أدعي لعملي هذا الكمال أو الصواب المطلق ، فإنما أنا بشرٌ أخطئ وأصيب ، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يُسددني ، ويأخذ بيدي ، ويُقيل عثرتي ، وأسأله أن يُهيئ لي من يُهدي إليَّ عيوبي في هذا البحث لأتداركها خدمة للقرآن ولغته .

والحمد لله رب العالمين على ما أنعم .

مصادر البحث

ومراجعه

أولاً : القرآن الكريم .

حرف الألف

- الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين **السيوطي** ت(٩١١هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
- أساس البلاغة ، جار الله **الزمخشري** ت(٥٣٨هـ) ، قرأه وعلق عليه: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩م.
- الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، عبد السلام محمد **هارون** ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
- أساليب بلاغية (الفصاحة – البلاغة - المعاني)، د٠ احمد **مطلوب**، وكالة المطبوعات، الكويت،١٩٨٠م.
- أسرار التكرار في القرآن المسمى :(البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان) ، محمود بن حمزة **الكرماني** ت(٥٠٥هـ) ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، دار الفضيلة ، لا توجد معلومات أخرى في الكتاب .
- أصل الخلق وأمر السجود ، عالم سبيط **النيلي** ، ت (٢٠٠٠م) ،دار المحجة البيضاء ، بيروت ،الطبعة الاولى ، ٢٠٠٤ م.
- الأصمعيات، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك **الأصمعي** ت(٢١٦هـ)، تحقيق وشرح: احمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ط٣، (د. ت) .
- أصول الفقه ، الشيخ محمد رضا **المظفر** ، إسماعيليان ، قم ، إيران ، ط١٠ ، ١٤٢١هـ .
- الأصول من الكافي ، محمد بن يعقوب **الكليني** ت(٣٢٩هـ)، تحقيق : علي اكبر غفاري ، دار الكتب الُسلامية ، طهران ، ط٣ ، ١٣٨٨هـ .
- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ، إبراهيم بن عربشاه عصام الدين **الحنفي** ت(٩٤٣هـ)، حققه، وعلّق عليه: د. عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون (دار الكتب العلمية)، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- إعراب القرآن ، أبو جعفر **النحاس** ت(٣٣٨هـ) ، تحقيق: د. زهير غازي زاهد ، مكتبة النهضة العربية ، ط٢ ، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م.
- إعراب القرآن الكريم وبيانه ، محيي الدين **درويش** ، اليمامة للطباعة والنشر ، دمشق ، ط٧ ، ١٩٩٩م.
- الأعلام (قاموس تراجم لأشهر النساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) : خير الدين **الزركلي** ت(١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة السادسة عشر ، ٢٠٠٥م.
- الامالي الشجرية ، ابن **الشجري** (ت ٥٤٢هـ) ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد ، الدكن ، ١٣٤٩هـ .
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيخ ناصر مكارم **الشيرازي** ،مؤسسة البعثة ، بيروت،ط١، ١٩٩٢م.

- إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جمع القرآن ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين **العكبري** ت(٦١٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ط ، د.ت .
- أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك ، **ابن هشام الأنصاري** ، ت (٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ذوي القربى ، قم ، ط١ ، ١٤٣٢هـ .
- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب **القزويني** ت(٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر الفاطمي، المكتبة العصرية، ، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

حرف الباء

- بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار ، محمد باقر **المجلسي** ت(١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٨م.
- البحث النحوي عند الأصوليين ، د. مصطفى **جمال الدين** ، دار الهجرة ، قم المقدسة ، ايران ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ .
- البحر المحيط: محمد بن يوسف (أبو حيان **الأندلسي**) ت(٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض ، (دار الكتب العلمية)، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- بحوث في القرآن الحكيم ، السيد محمد تقي **المدرسي** ، دار محبي الحسين (عليه السلام) ، ط٣ ، ٢٠٠٤م.
- البديع. عبد الله **بن المعتز**، (ت٤٩٦هـ)، نشر وتعليق : افناطيوس كراتشكوفسكي، مطابع دار الشعب، القاهرة، ط١، ١٩٦٥م.
- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ، كمال الدين عبد الواحد عبد الكريم الزملكاني ت(٦٥١هـ)، تحقيق: د. احمد مطلوب، ود. خديجة الحديثي، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٤م
- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين **الزركشي** (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط١، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.
- البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم ابن وهب **الكاتب**، ت(٣٣٥ هـ)، تحقيق: د. احمد مطلوب، ود. خديجة الحديثي، مطبعة العاني، ط١، ١٣٨٧هـ -١٩٦٧م.
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ، عبد المتعالي **الصعيدي** ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، ط٨ ، ١٩٧٣م.
- البلاغة الاصطلاحية ، د. عبده عبد العزيز **قلقيلة** ،دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م.
- بلاغة التراكيب ، دراسة في علم المعاني ، د. توفيق **الفيل** ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، د.ط ، د.ت.
- البلاغة العربية (تأصيل وتجديد) ، د. مصطفى **الصاوي**، منشأة دار المعارف، الإسكندرية ، د.ط.،١٩٨٥م.

- البلاغة العربية أسسها ، علومها ، فنونها ، عبد الرحمن حسن حبنَّكة **الميداني** ، دار القلم ، دمشق ، ط١، ١٩٩٦م.
- البلاغة الميسرة ، د. عبد العزيز بن علي **الحربي** ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠١١م.
- البلاغة تطور وتاريخ ، د.شوقي **ضيف** ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٦ ، ١٩٦٥م.
- البلاغة عند الجاحظ ، د.أحمد **مطلوب** ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- البلاغة فنونها وأفنانها ، فضل حسن **عباس** ، دار الفرقان ، الأردن ، ط٤ ، ١٩٩٧م.
- البلاغة في سؤال وجواب ، د. ضرغام كريم **الموسوي** ، دار التوحيد للطباعة ، كربلاء المقدسة ، ط١، ٢٠١٦م.
- البلاغة والأسلوبية ، محمد **عبد المطلب** ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤م.
- البلاغة والتطبيق ، د. احمد **مطلوب** ، د. كامل حسن **البصير** ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٢م.
- البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر **الجاحظ** ، ت (٢٥٥هـ) ، تحقيق : علي أبو ملحم ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨م.
- البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر **الجاحظ** ت(٢٥٥ هـ)، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥ م .
- بيِّنات من فقه القرآن ، السيد محمد تقي **المدرسي** ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١١ ، (تفسير سورة الحج).

حرف التاء

- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد **الزبيدي** (مرتضى الحسيني) ت(١٢٠٥هـ)، دار الفكر ، بيروت ، د.ت .
- تأويل مشكل القرآن ، **ابن قتيبة** ت(٢٧٦ هـ)، حققه وشرحه ونشره : السيد احمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، بيروت ، د٠ت .
- التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن الحسن نصير الدين **الطوسي** ت(٤٦٠هـ) ، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي ، مكتب الإسلام الإعلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٩م.
- التبيان في علوم البيان ، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الانصاري **الزمْلكاني** ت(٦٥١هـ) ، تحقيق : د. احمد مطلوب ود. خديجة الحديثي ، ط١ ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م.
- التّحرير والتّنوير ، الشّيخ محمّد الطّاهر **بن عاشور** ت(١٣٩٣هـ) ، مؤسّسة التّأريخ، بيروت ـ لبنان ، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
- تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي ،محمد بن عيسى **الترمذي** السلمي ت(٢٧٩هـ) ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،ط٢ ، ١٩٨٣ م.
- تحقيق الوقف على كلَّا وبلى في القرآن ، مكي بن أبي طالب **القيسي** ت(٤٣٧هـ) ، تحقيق : د. حسين نصَّار ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٣م.

- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، د. عبد الفتاح **لاشين** ، دار المريخ ، الرياض ، د.ط ، ١٩٨٠م.
- التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي والقرآن الكريم (دراسة دلالية مقارنة) ، عودة خليل أبو **عودة** ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.
- التعريفات ، ابو الحسن علي بن محمد (**الشريف الجرجاني**) ت (٨١٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م.
- التفسير البسيط ، أبو الحسن علي بن أحمد **الواحدي** ت(٤٦٨هـ) ،تحقيق : علي السحيباني ، مكتبة الملك فهد ، الرياض ، ط١ ، ١٤٣٠ هـ .
- التفسير البسيط ، أبو حسن علي بن احمد **الواحدي** ، ت (٤٦٨هـ) ، تحقيق : د. نورة بنت عبد الله الورثان ، مكتبة الملك فهد ، الرياض ، ط١ ، ١٤٣٠هـ .
- تفسير البغوي ، المسمى (معالم التنزيل) ، الامام أبو محمد الحسين الفراء **البغوي** ت(٥١٦هـ) ، مطبوع على هامش تفسير الخازن ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ،مصر ، ط٢ ، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥ م.
- التفسير البياني للقرآن الكريم ، عائشة عبد الرحمن (**بنت الشاطئ**) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٥، د.ت .
- تفسير البيضاوي ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي **البيضاوي** ت(٦٨٥هـ) ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠م.
- تفسير العياشي ، أبو النضر محمد بن مسعود **العياشي** ت (٣٢٠هـ) ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة ، قم ، د.ت .
- تفسير القرآن العظيم ، **ابن كثير** الدمشقي ت (٧٧٤هـ) تحقيق : مصطفى السيد ، وآخرون ، مؤسسة قرطبة ، مصر ، الجيزة ، ط١ ، ٢٠٠٠م.
- تفسير القمي ، علي بن إبراهيم **القمي** ت(٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق : العلامة السيد طيب الموسوي ، منشورات دار الهدى ، مؤسسة دار الكتاب ، قم ، ط٣ ، ١٤٠٤هـ .
- التفسير الكبير المسمى(مفاتيح الغيب)، فخر الدين محمد بن عمر **الرازي** ت(٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، ط٢، د.ت .
- تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، محمد بن الحسن المعروف (**الحر العاملي**) ، مؤسسة أهل البيت "عليهم السلام" لإحياء التراث ، قم المقدسة ، إيران ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ .
- التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب ، محمد هادي **معرفة** ، دار الهدى ، ط١. د.ت .
- التفكير الدلالي في البحث البلاغي العربي ، أ. د. مكي محي عيدان **الكلابي** ، دار الفراهيدي ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٥م
- التلخيص في علوم البلاغة ، الخطيب **القزويني** ت(٤٠٦هـ)، ضبطه وشرحه : عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط٢، ١٩٣٤م.

- تنزيه القرآن عن المطاعن ، قاضي القضاة **عماد الدين** أبو الحسن عبد الله بن احمد ت(٤١٥ هـ)، مطبعة دار النهضة الحديثة ، بيروت ، لبنان ، د٠ت .
- تهذيب البلاغة في تلخيص مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني ، علي عرب **خراساني** ، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر ، قم المقدسة ، ط١ ، ١٤٣٢ هـ .
- تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد **الأزهري** الهروي ت(٣٧٠هـ) ، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي ، محمد فرح العُقدة ، بلا معلومات نشر ، د .ط ، د.ت .
- التيسير في القراءآت السبع ، أبو عمرو **الداني** ت(٤٤٤هـ) ، تحقيق : د. حاتم الضامن ، مكتبة الصحابة ، الإمارات ، الشارقة ، ط١ ، ٢٠٠٨م.

حرف الثاء

- ثلاث رسائل في إعجاز القران الكريم : **الرماني** ت(٣٨٦هـ) و**الخطابي** ت(٣٨٨هـ) وعبد القاهر **الجرجاني** ت(٤٧١هـ) ، تحقيق محمد خلف الله ، د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر، ط٣ ، ١٩٥٦م.

حرف الجيم

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير **الطبري** ت(٣١٠هـ) ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط٢ ، د.ت .
- الجامع في تاريخ الأدب العربي ، حنا **الفاخوري** ، سليمان زادة ، ط٣ ، ١٤٢٧هـ .
- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري **القرطبي** ت(٦٧١ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٥م.
- الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه : محمود **صافي** ، مطبعة النهضة ، قم ، ط ١ ، ١٩٩١م.
- جماليات التركيب اللغوي في السور الطوال في القرآن الكريم ، **حيدر عذاب** حسين ، دار الفراهيدي ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٥م.
- جمالية الخبر والإنشاء (دراسة جمالية بلاغية نقدية) ، د. **حسين جمعة** ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ،د.ط ، ٢٠٠٥م.
- جواهر البلاغة ، أحمد **الهاشمي** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د.ط، ٢٠٠١م.
- جوهر الكنز (تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة)، نجم الدين احمد بن إسماعيل **ابن الأثير** الحلبي ت(٧٣٧هـ)، تحقيق: د. محمد زغلول سلام، الناشر: منشأة المعارف بالإسكندرية، د.ت .

حرف الحاء

- حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي ، محيي الدين محمد بن مصطفى القوجوي الحنفي المشهور بـ (**شيخ زاده**) ت(٩٥٠هـ) ، المكتبة الإسلامية ، ديار بكر ، تركيا، د.ط ، د.ت .
- الحذف البلاغي في القرآن الكريم ، مصطفى عبد السلام **أبو شادي** ، مكتبة القران للطبع والنشر ، القاهرة ، (د.ت) .
- حلية المحاضرة في صناعة الشعر، أبو علي محمد بن الحسن **بن المظفر** الحاتمي ت(٣٨٨هـ)، تحقيق: د. جعفر الكتابي، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، ١٩٧٩م.
- الحيوان ، **الجاحظ** أبو عثمان عمرو بن بحر ، ت(٢٥٥هـ)، تحقيق : عبد السّلام هارون ، دار الجيل، بيروت ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .

حرف الخاء

- خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني) : د. محمد محمد **أبو موسى** ، أميرة للطباعة ، ط٤ ، ١٩٩٦م .

حرف الدال

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أحمد بن يوسف (**السمين الحلبي**) ت(٧٥٦هـ) ، تحقيق: أحمد محمد الخرَّاط ، دار القلم ، دمشق ، د.ط ، د.ت .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، جلال الدين **السيوطي** ت(٩١١هـ) ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مركز هجر للبحوث والدراسات ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٣ م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، عبد الرحمن جلال الدين **السيوطي** ت(٩١١هـ) ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٣ م.
- دروس في المذاهب النحوية، د. عبد الكاظم محسن **الياسري** ، سلسلة كتاب الآداب ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، العراق،ط١، ٢٠٠٨م.
- دروس في علم الأصول ، السيد محمد **باقر الصدر** ، ت(١٩٨١م)، تحقيق : السيد علي حسن مطر ، مطبعة تارة ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، (الحلقة الثالثة) .
- دروس في علم الأصول ، السيد محمد **باقر الصدر** ت(١٩٨١م)، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٨م ، (الحلقة الأولى) .
- دلائل الإعجاز ،عبد القاهر **الجرجاني** ، ت(٤٧١هـ) ،تعليق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٢م.
- ديوان **أمرئ القيس** ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، ١٩٩٦م.
- الديوان ، مصطفى **جمال الدين** ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٨م .
- ديوان **النابغة الذبياني** ، أبو أمامة زياد بن معاوية الملقب بـ(النابغة الذبياني) ، تحقيق : حمدو طمّاس، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٥.

حرف الراء

- رسالة الولاية ، السيد محمد حسين **الطباطبائي** ، ت(١٤٠٢هـ)، مؤسسة البعثة ، طهران ، د.ط ، ١٩٨١م.
- رفيق الصالحين للوصول إلى مرضاة رب العالمين ، محمد **الحلي** ، الأعلمي ، بيروت ، ط١١ ، ٢٠١٤م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود **الآلوسي** البغدادي ت(١٢٧٠هـ) ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م.

حرف الزاي

- زاد المسير في علم التفسير ، جمال الدين عبد الرحمن **بن الجوزي** القريشي البغدادي ت(٥٩٧هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٤م.

حرف السين

- سر الفصاحة ،أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد **ابن سنان الخفاجي** الحلي ت(٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- السراج المنير في بيان نكات التفسير ، الشيخ حبيب **الكاظمي** ، دار الكفيل ، كربلاء ، د.ط ، د.ت
- السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي **البيهقي** ت (٤٥٨ هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الباز ، مكة المكرمة ، د.ط ، ١٤١٤هـ .
- السيرة النبوية ، السيد سامي **البدري** ، تحقيق : حسين البدري و إحسان المظفر ، دار الفقه ، النجف الأشرف ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٥ م.

حرف الشين

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، **ابن عماد الحنبلي** ت(١٠٨٩هـ) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د.ط ، د.ت .
- شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ، بهاء الدين **بن عقيل** ت(٧٦٩هـ)، تحقيق ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار التراث ، مصر ، د.ط، ٢٠٠٥م.
- شرح التسَّهيل- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، جمال الدين محمَّد بن عبد الله بن عبد الله **ابن مالك** الطائي الجياني الاندلسي، ت(٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، وطارق فتحي السيّد ،ط٢ ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ٢٠٠٩م.
- شرح الرضي على الكافية ، رضي الدين **الأستر آبادي** ت(٦٨٤هـ) ، تحقيق وتعليق : يوسف حسن عمر ، مؤسسة الصادق ، طهران ، د.ط ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

- شرح الكافية الشافية ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله **بن مالك** الطائي الجياني ت(٦٠٠هـ) ، تحقيق : عبد المنعم احمد هريري ، دار المأمون للتراث ، المملكة العربية السعودية ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، ط ١ ، ١٩٨٢ م.
- شرح عقود الجمان في المعاني والبيان ، جلال الدين **السيوطي** ت(٩١١هـ) ، وبهامشه : حلية اللب المصون على الجوهر المكنون ، الشيخ أحمد **الدمنهوري** ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده ، مصر ، د.ط ،١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م.

حرف الصاد

- صفوة التفاسير ، محمد علي **الصابوني** ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ،احمد **بن فارس** ت(٣٩٥هـ)، تحقيق مصطفى الشويمي ، - مؤسسة بدران للطباعة ، بيروت ، لبنان، ١٣٨٣هـ ، ١٩٦٤ م :ص١٧٩ .

حرف الطاء

- طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام **الجُمحي** ت(٢٢١هـ)، شرح: محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، د.ط ، ١٩٧٤.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيي بن حمزة **العلوي** ت(٧٤٩هـ)، مراجعة وضبط وتدقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م.

حرف العين

- عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية ، د. احمد **احمد بدوي** ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ،د.ط ، د . ت .
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، الشيخ بهاء الدين **السبكي** ت(٧٧٣هـ) ، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي ، المطبعة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣م.
- العقد المنظوم في ذكر أفاضل القوم ، **طاش كبري** ت(٩٦٨هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د. ط ،١٣٩٥هـ .
- علم المعاني (دراسة تاريخية لاصول البلاغة ومسائل البيان)، د. **بسيوني** عبد الفتاح فيود، دار الامين للطباعة، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- علم المعاني ، دراسة وتحليل ، كريمة محمود **أبو زيد** ، دار التوفيق النموذجية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٨م.
- علم المعاني ، درويش **النجدي** ، مطبعة الرسالة ، مصر ، ط٢ ، ١٩٦٢م.
- علم المعاني بين الاصل النحوي والموروث البلاغي، د. محمد حسين علي **الصغير**، سلسلة الموسوعة الصغيرة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٩م.

- علم المعاني ودلالات الامر في القرآن الكريم دراسة بلاغية ، د. مختار **عطية**، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية، جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٤م.
- علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) ، د. أحمد مصطفى **المراغي** ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٩م.
- علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) ، د. احمد مصطفى **المراغي**، راجعه واشرف على تصحيحه : أبو الوفا مصطفى المراغي، المكتبة المحمودية التجارية، مصر، ط٥ ، د.ت .
- علوم القرآن ، السيد محمد **باقر الحكيم** ت(٢٠٠٤م)، النخيل ، النجف الاشرف ،د.ط ، ٢٠١٠م.
- على طريق التفسير البياني ، د . فاضل **السامرائي** ، جامعة الشارقة ، الإمارات ، د.ط ، ٢٠٠٢م.
- عمدة الحفَّاظ في تفسير شرف الألفاظ (معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم) ، **السمين الحلبي** ت(٧٥٦هـ) ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ،١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبو علي الحسن بن رشيق **القيرواني** ت(٤٥٦هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٢م.
- عيون أخبار الرضا ، ابن بابويه القمي (**الشيخ الصدوق**) ت(٣٨١هـ) ، صححه وقدم له وعلق عليه : الشيخ حسين الأعلمي ، الأعلمي ، بيروت ، ط١، ١٩٨٤م.

حرف الفاء

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد **الشوكاني** ت(١٢٥٠هـ) ، تحقيق : سيد إبراهيم ، دار الحديث ، القاهرة ، د.ط ، ٢٠٠٣م.
- فقه الإستنباط ، السيد محمد تقي **المدرسي** ، دار المحجة البيضاء ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٣م.
- الفقه الإسلامي (أحكام العبادات) ، السيد محمد تقي **المدرسي** ، دار محبي الحسين ، طهران ، ط٣ ، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
- الفقه التشجيري عند السيد محمد تقي المدرسي (النية إنموذجاً) ، الشيخ إبراهيم الأشتري ، مخطوط .
- الفكر السياسي عند المرجع **المدرسي** ، رغد إبراهيم علوان ، مركز العصر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٤م.
- فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، رجاء **عيد** ،مطبعة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، ط٢ ، د.ت.
- فهم الخطاب القرآني بين الإمامية والأشاعرة ، د. صباح عيدان حمود **العبادي** ، الفيحاء للطباعة والنشر، البصرة ، ط١ ، ٢٠١٣م.
- الفوائد الغياثية في علوم البلاغة ، عضد الدين **الآيجي** ت(٧٥٦هـ) ، تحقيق : عاشق حسين ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م.
- في النحو العربي قواعد وتطبيق ، د. مهدي **المخزومي** ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٦م.
- في النحو العربي نقد وتوجيه ، د. مهدي **المخزومي** ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٦م.
- في ظلال القرآن ، **سيد قطب** ت(١٩٦٦م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧١م.

- في فلسفة البلاغة العربية (علم المعاني) ، د. حلمي علي **مرزوق** ، لا توجد معلومات نشر في الكتاب سوى سنة الطبع ، ١٩٩٩م.

حرف القاف

- قطر الندى وبل الصدى ، ابن هشام **الأنصاري** ت (٧٦١هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، أمير ، قم ، ايران ، ط٢ ، ١٣٨٢هـ.
- قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ، د. سناء حميد **البياتي**، دار وائل للنشر، الاردن (عمان) ، ط١، ٢٠٠٣م.

حرف الكاف

- الكافي في البلاغة ، أيمن أمين **عبد الغني** ، دار التوفيقية للتراث ، القاهرة ، د.ط ، ٢٠١١م.
- الكامل في اللغة والأدب ، أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بـ (**المُبرِّد**)، ت(٢٨٥هـ)، تحقيق : د. محمد أحمد الداني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٣، ١٤١٨ هـ -١٩٩٧م.
- كتاب الصناعتين الكتابة، والشعر ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل **العسكري** ت(٣٩٥هـ)، حققه وضبط نصه : د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٩ م.
- كتاب العين ، الخليل بن أحمد **الفراهيدي** ت (١٧٥هـ) ، تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، د.ط ، ١٩٨١م.
- كتاب الفهرست ، أبو الفرج محمد بن ابي يعقوب (الوراق) **ابن النديم** ت(٩٩٥هـ) ، تحقيق : رضا تجدد بن علي بن زين العابدين المازندراني ، لا يوجد معلومات نشر ، طهران ،١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.
- الكتاب، كتاب **سيبويه**، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت(١٨٠هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، جار الله **الزمخشري** ت(٥٣٨هـ) ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد عوض ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٨م.
- الكشف والبيان (تفسير الثعلبي) ، الهمّام أبو إسحاق **الثعلبي** ت(٤٢٧هـ) ، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م.
- كمال الدين وتمام النعمة ، ابن بابويه القمي (**الشيخ الصدوق**) ت (٣٨١هـ) ، تحقيق : علي أكبر غفاري مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، د .ط ، ١٤٠٥ هـ .

حرف اللام

- اللباب في تفسير الكتاب ، السيد كمال **الحيدري** ، دار فراقد ، قم ، ايران ، ط١ ، ٢٠١٠م.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي **بن عادل** الدمشقي الحنبلي ت(٨٨٠هـ)، تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود ،والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ـ١٩٩٨م.

- اللغة ، جوزيف **فندريس** ، ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ، محمد القصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٥٠م.
- لسان العرب ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم المعروف **بابن منظور** ت(٧١١هـ)، حققه وعلّق عليه، ووضع حواشيه: عامر احمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

حرف الميم

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين **أبن الأثير** الجزري (ت٦٣٧هـ) ،تحقيق : كامل محمد عويضة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م.
- مجاز القرآن ، معمّر بن المثنى **أبو عبيدة** ت(٢١٠هـ) ، عارضه بأصوله وعلق عليه : د. محمد فؤاد سركين ، نشر مطبعة سامي الخانجي ألكتبي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط١ ، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن ، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن **الطبرسي** ت(٥٤٨هـ)، تحقيق : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، قدم له : السيد محسن الأمين العاملي (مؤلف كتاب الغدير) ،مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو عليّ الفضل بن الحسن **الطّبرسيّ** ت(٥٤٨هـ) ، طبعة جديدة منقّحة ، دار المرتضى ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.
- محاضرات في علم المعاني ، د٠محمد هيثم **غرة**، د٠منيرة محمد **فاعور**، منشورات جامعة دمشق، كلية الآداب، ٢٠٠٤م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق **ابن عطية** الأندلسي ت(٥٤٦هـ) ، تحقيق : الرحّالة الفاروق ، عبد العال السيد إبراهيم ، وآخرون ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، ط٢ ، ٢٠٠٧ م.
- المحكم والمحيط الأعظم ، ابو الحسن علي بن اسماعيل (**ابن سيدة**) ، ت(٤٠٨هـ) ، تحقيق :عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ط ، ٢٠٠٠ م.
- محمد تقي **المدرسي** ، نبذة مختصرة عن حياته الشخصية ومسيرته العلمية ، دار الهدى ، كربلاء ، ط١ ، ٢٠٠٥م.
- محمد تقي **المدرسي** سيرة ومسيرة، هيئة قائم آل محمد ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٩.
- المختصر في تاريخ البلاغة ، د. عبد القادر **حسين** ، دار الشروق ، ط١ ، ١٠٤٢هـ ــ ١٩٨٢م.
- مدخل إلى البلاغة العربية ، يوسف مسلم **أبو العدوس** ، دار الميسرة ، عمان ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٧ م.
- المرجع والأمة (إطلالة على السيرة العلمية والعملية لسماحة المرجع الديني آية الله العظمى الحاج السيد محمد تقي **المدرسي**)، دار الهدى ، كربلاء ، ط٦ ، ٢٠٠٩م.

- مصباح الكفعمي ، تقي الدين إبراهيم بن علي بن محمد **العاملي** ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥ م.
- المصباح في المعاني والبيان والبديع ، أبو عبد الله بدر الدين بن مالك الشهير **بابن الناظم** ت(٦٨٦هـ) ، تحقيق : د.عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١م.
- المطوَّل شرح تلخيص مفتاح العلوم ، سعد الدين **التفتازاني** ت (٧٩٢هـ) ، تحقيق : د. عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٣٣هـ ـ٢٠٠١م.
- معاني القرآن ، سعيد بن مسعدة (**الاخفش الأوسط**) ، ت(٢١٥هـ) ، تحقيق : د. فائز فارس ، دار الرشيد للنشر ، ط٢ ،١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى ابن زياد **الفراء** ت(٢٠٧هـ) تحقيق : د. محمد علي النجار، واحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٠م.
- المعاني في ضوء أساليب القرآن ، د. عبد الفتاح **لاشين** ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٧٨م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن ، أبو الفضل جلال الدين **السيوطي** ت(٩١١هـ) ، ضبطه وصححه وكتب فهارسه: احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م.
- معجم اعراب ألفاظ القرآن الكريم ، محمد **سيد طنطاوي** ، ذوي القربى ، قم ، ط٦ ، ١٤٢٩هـ.
- معجم الفاظ القرآن الكريم ، لجنة في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، الهيأة العامة لشؤون المطابع المصرية ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٩م.
- المعجم القرآني (دراسة معجمية لألفاظ القرآن الكريم) ، د. حيدر علي **نعمة** ، د. أحمد علي **نعمة** ، مطبعة السيماء ، بغداد ، د . ط ، ٢٠١٣ م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد **مطلوب** ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد، ١٩٨٦م.
- المعجم الوسيط ، اخراج ابراهيم **مصطفى** ، احمد **الزيات** ، حامد **عبد القادر** ، محمد على **النجار** ، تحقيق: لجنة في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، دار الدعوة ، إسطنبول ، ١٩٨٩م.
- مغني اللبيب عن كُتُب الأعاريب، ابن هشام **الأنصاري** ت(٧٦١هـ) :خرج آياته وعلق عليه : ابو عبد الله علي عاشور الجنوبي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ،ط٢، ٢٠٠٨م.
- مفاتيح الجنان ، الشيخ عباس **القمي** ت(١٣٥٩هـ ـ ١٩٤٠م) ، الفجر، بيروت ، ط١، ٢٠٠٩م .
- مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي **السكاكي** ت(٦٢٦هـ)، حققه وقدم له وفهرسه: د. عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- المفردات الفذة في القرآن الكريم ــ دراسة لغوية (البحث التكميلي الثاني لنيل شهادة الماجستير من كلية الآداب ــ الجامعة الإسلامية ببغداد) ، خالد حامد عطية **الربيعي** ، ٢٠٠٣م.
- المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ت(٥٠٢ هـ) ، تحقيق ، صفوان عدنان داودي ، دار القلم ، دمشق ، ط٤ ، ٢٠٠٥م.

- مقاييس اللغة ، أحمد **ابن فارس** ت(٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م.
- المقتصد في شرح الإيضاح ، عبد القاهر **الجرجاني** ، تحقيق : د. كاظم بحر المرجان ، دار الرشيد للنشر ، د.ط ، ١٩٨٢م.
- من أسرار اللغة ، د. إبراهيم **أنيس** ، مكتبة الأنجلو ، مصر ، ط٥ ، ٢٠٠٣م.
- من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد **بدوي** ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، الجيزة ، مصر ، د. ط ، ٢٠٠٣م.
- منة المنان في الدفاع عن القرآن ، السيد محمد محمد **صادق الصدر** ت(١٩٩٨م) ، البصائر ، بيروت ، ٢٠١٢م.
- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا محيي الدين يحيى **النووي** ت (٦٧٦هـ) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٢هـ .
- المنهاج في القواعد والإعراب ، محمد **الأنطاكي** ، دار التربية ، بغداد ، د.ط ، ١٩٨٨م.
- من هدى القرآن ، السيد محمد تقي **المدرِّسي** ، دار القارئ ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٩هـ ـ٢٠٠٨م.
- من هدى القرآن ، السيد محمد تقي **المدرِّسي** ، دار الهدى ، قم المقدسة ، ط١ ، ١٤٠٦هـ .
- مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، السيد عبد الأعلى الموسوي **السبزواري** ت(١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م) ، دار التفسير ، مطبعة شريعت ، ايران ، ط٢ ، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.
- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ، أبو العباس **المغربي** ت(١١٢٨هـ) ، تحقيق : د. خليل إبراهيم خليل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣م.
- مُوضح أسرار النحو ، محمد بن الحسن (**الفاضل الهندي**) ت(١١٣٥هـ) ، تحقيق : د. علي موسى الكعبي ، مجمع الامام الحسين العلمي لتحقيق تراث أهل البيت (عليهم السلام) ، كربلاء ،الطبعة الأولى، ٢٠١٥ م.
- الميزان في تفسير القرآن ، السيد محمد حسين **الطباطبائي** ت(١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م) ، الأعلمي ، بيروت، ط٣ ، ١٣٩١هـ.

حرف النون

- نحو التيسير ، د. احمد عبد الستار **الجواري** ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٨٥م.
- نحو القرآن ، د. احمد عبد الستار **الجواري** ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٧٤ م.
- النحو القرآني في ضوء لسانيات النص ، د. هناء محمود **إسماعيل** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ٢٠١٢م.
- النحو القرآني قواعد وشواهد ، د . جميل أحمد **ظفر** ، مطابع الصفا ، مكة ، ط ٢ ، ١٩٨٨م.
- نحو النص ، د. عمر **أبو خرمة** ، عالم الكتب ، أربد ، ط١ ، ٢٠٠٣م.
- النحو الوافي : **عباس حسن** ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، (د . ت).

- نظرية المعنى في الدراسات النحوية ، د. كريم حسين **ناصح** ، دار صفاء ، عمان ، ط١ ، ١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦م.
- نهاية الإحكام في معرفة الأحكام ، الحسن بن يوسف **بن المطهَّر الحلي** المعروف بـ (العلامة الحلي) ت(٧٣٦هـ) ، تحقيق : السيد مهدي الرجائي ، دار الأضواء ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
- نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ، فخر الدين **الرازي** محمد بن عمر ت(٦٠٦هـ)، تحقيق : د.احمد حجازي السقا ، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع ، الازهر ، القاهرة ، مصر ، ط١ ، ١٩٨٩ م.
- نهاية الايجاز في دراية الإعجاز، محمد بن عمر فخر الدين **الرازي** ت(٦٠٦هـ) ، تحقيق وتقديم : د.إبراهيم السامرائي،د. محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ١٩٨٥م.
- نهج البلاغة ، **الإمام علي** (عليه السلام) ، جمع : الشريف **الرضي** ت(٤٠٦هـ) ، شرح : الشيخ محمد عبدة ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٨م .

الرسائل والأطاريح

- اسلوب الخبر في القرآن الكريم، (رسالة) ، **احلام موسى** حيدر ، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، ١٤٠٦هـ ـ١٩٨٢م.
- الإحتمال الدلالي لألفاظ البعث والنشور في القرآن الكريم على ضوء التحليل اللساني ، (أطروحة) ، د. مجيب سعد **أبو كَطيفة** ، جامعة كربلاء ، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٥م.
- الأساليب الإنشائية غير الطلبية في أحاديث رياض الصالحين للنووي ت(٦٧٦ هـ) ، (رسالة) ، أحمد محمد **أمين**، جامعة الموصل ، كلية الآداب، ٢٠٠٢م.
- الأساليب البلاغية في تفسير نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسّور)،(اطروحة) ، عقيد خالد **العزاوي** ، جامعة بغداد ، ابن رشد ، ٢٠٠٢م.
- الأسرار البلاغية للتقديم والتأخير في سورة البقرة "دراسة تطبيقية" ، (رسالة) ، خالد بن محمد **العثيم** ، جامعة ام القرى ، كلية اللغة العربية، السعودية ، ١٩٩٨م.
- البحث البلاغي في تفسير اللباب لإبن عادل الحنبلي ت(٨٨٠هـ) ، (أطروحة)، شاكر محمود **عبد العزيز** ، الجامعة العراقية ، كلية الآداب، ٢٠١٢م .
- التعجب في القرآن الكريم ـ دراسة نحوية أسلوبية ، (رسالة)،علي فاضل **الشمري** ، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٩٩٨م.
- التكرار مظاهره وأسراره، (رسالة)،عبد الرحمن محمد **الشهراني** ، جامعة أم القرى ، السعودية ، ١٩٨٣م.
- المباحث البلاغية في حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي،(رسالة) ، سارة علي ناصر **العامري**، جامعة ذي قار ، التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٢م.

- أنماط التراكيب القرآني (دراسة في سور ال حم) ، (رسالة) ، **علي ميران** جبار ، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ٢٠٠٩م.
- بلاغة الإطناب ، دراسةٌ تطبيقية في القرآن الكريم ، (رسالة) ، شكر محمود مهوس **الجبوري** ، جامعة تكريت ، كلية التربية للبنات ،١٤٢٠هـ-١٩٩٠م.
- جهود الفراء البلاغية في كتابه معاني القرآن ، (رسالة) ، قيس خلف إبراهيم **ألبياتي** ، جامعة تكريت ، كلية التربية، ٢٠٠٤م .
- سورة الإسراء دراسة بلاغية ، (رسالة) ، **فاضل ضايف** سلطان ، جامعة الكوفة ، كلية الآداب، ٢٠٠٧م.
- سورتا المائدة ومريم ، موازنة بلاغية ضمن علم المعاني،(رسالة)،حسين علي عزيز **الطائي** ، جامعة الموصل ، كلية الآداب،٢٠٠٤ م .
- علم المعاني في كتاب الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (رسالة) ، ريان جبار صالح **البرزنجي** ، جامعة تكريت ، كلية التربية للبنات، ٢٠١٣م .
- البحث البلاغي في تفسير الميزان (للسيد محمد حسين الطباطبائي) ، (أطروحة) ، **حيدر هادي** أحمد ، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية، ٢٠٠٧ م .
- البحث البلاغي في تفسير الميزان (للسيد محمد حسين الطباطبائي) ، (رسالة) ، رياض خلف خزي **المرشدي** ، جامعة القادسية ، كلية التربية، ٢٠٠٦م .
- بدر الدين الزركشي وجهوده البلاغية ، (رسالة) ، مكي محي عيدان **الكلابي** ، الجامعة المستنصرية ، كلية الآداب ، ١٩٩٧م .

الدوريات

- أثر الحذف في إثراء المعنى عند البلاغيين ، (بحث) ، د. **مزاحم مطر** حسين ، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ، العددان (١ ــ ٢) ، ٢٠٠٨م.
- التشخيص في القرآن الكريم (دراسة فنية)، (بحث) ، د. مسلم مالك **الأسدي** ، د. **بشرى حنون** مجلة دراسات إسلامية معاصرة ،،العدد (٨) ، ٢٠١٢م.
- التعجب بين البصريين والكوفيين ، د . محيي الدين **توفيق**، مجلة آداب الرافدين ، العدد (٥) ، السنة ١٩٧٤م.
- التقديم والتأخير في ترتيب الأشياء في القرآن الكريم دراسة دلالية ، (بحث) : د. **تومان غازي** حسين ، د. **خالد كاظم** حميدي ، مجلة دواة ، تصدر عن العتبة الحسينية المقدسة ، قسم الإعلام ، دار اللغة العربية، العدد السابع ، ٢٠١٦ م.
- تجليات الجمال في أسلوب القصر ، د. عبد الرحيم محمد **أبو الهبيل** ، جامعة القدس المفتوحة ، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية المجلد التاسع عشر) ، العدد الثاني ، ٢٠١١م.

•ثقافة القراءة وقراءة الثقافة ، نظرة في أدوات الفهم القرآني ، (بحث) ،د. علي مجيد **البديري**، مجلة مآب، العدد (١١) ، ٢٠٠٩م.
• فن الالتفات في مباحث البلاغيين. جليل رشيد **فالح**. مجلة آداب المستنصرية ،العدد التاسع ١٩٨٤م .

Research summary

the interpretation of Huda al- Quran

This research highlights the rhetorical effort to the world of Shiite contemporary of the holy city of Karbala, Mr. (**Mohammad Taqi al-mudaresi**) in his book **(the interpretation of Huda al- Quran)** and this effort also taught a branch of rhetoric which (**semantics**) flag which connects the rhetoric and science as such, it is a link between them, and did not lose sight of the interpreter of this science in its interpretation (of Huda Quran), where mention all his joints and his things and leaving for appropriate if the face of it, we looked at the most prominent patterns this renewed science, which studies the aesthetics of the Quranic text of the installation of the quality of the wholesale (newsworthy or construction) or the study of the conditions of sentence of fluctuations in their structures (such as the introduction delays) and (palace style) and (Chapter interfaces) and (definition and saying that the indefinite) and (pay attention), on the other hand, considering the length of sentence and confined in the (brief) and (redundancy) and (above), we found that the interpreter was not closed to the sect or doctrine, but he would take out all the communities multiplicity of backgrounds and patterns of thinking, and it was his opinion present leading in most cases, and often starts from where the others ended, and this demonstrates that the interpreter was a informed most of the commentaries,

this does not prevent its approval for them in some of the texts that it deems correct

After this attempt in this study to publicly we will have contributed to the Arab Arpad library service of the Qoran, the guide us thank God otherwise nothing else we tried, God of the intent behind .

And thank allah the god of everything …

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Karbala University / College of Islamic Sciences

The Department of Arabic language

Mubahith al-Ma’ani in Tafsir (From Huda of the Qur’an) Mr.Muhammad Taqi Al-Modrasi

A letter submitted by the student

Khaled Abdul-Nabi Idan Al-Asadi

To the Council of the College of Islamic Sciences - University of Karbala It is part of the requirements for obtaining a master’s degree in the language and literature of the Qur’an

Supervisor

Assistant Professor Dr.

Hazem Allawi Obaid Al-Ghanimi

2017م **1438هـ**